مجلة البحوث التاريخية

❖ السنة السابعة عشرة ❖ العدد الأول ❖ يناير 1995



مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية



مجلة علمية تهتم بالدراسات التاريخية الموثقة تصدر مرتين كل عام عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

❖ لا تعبر الآراء المنشورة في هذه المجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر هيئة التحرير.

يرجى إرسال نسختين من كل بحث أو مقال إلى أحد العنوانين التاليين:

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
ص. ب. (5070) – طرابلس
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

أو

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
ص. ب. (17991) -بنغازي
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

الإشتراكات والتوزيع: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان -طرابلس ص.ب. 959

قيمة العدد الواحد : دينار ليبي.

قيمة الاشتراك السنوي: ديناران ليبيان.

تُضاف أجور البريد العادي أو الجوي إلى قيمة النسخ المرسلة إلى خارج الوطن العربي

المقالات المنشورة في هذه المجلة ملخصة ومفهرسة في مجلة

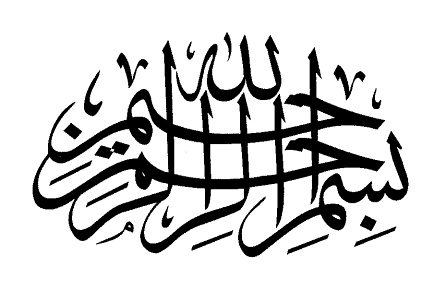
Historical Abstracts ومجلة 1America: History and life



مجلة البحوث التاريخية

العدد الأول 1995

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
شارع سيدي منيدر/طرابلس
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

شروط نشر البحوث والمقالات في مجلة البحوث التاريخية

أولاً: تهدف المجلة إلى نشر الأنماط التالية من البحوث والمقالات:

أ ـ بحث أو مقال يعتمد أساساً على دراسة وثائقية لم يسبق استخدامها من قبل، أو دراسة قائمة على استخدام مخطوطات أو وثائق سبق استعمالها شريطة أن يتناولها الباحث بطرح مغاير ينتهي فيه إلى نتائج جديدة.

ب ـ بحث أو دراسة قائمة على دراسة التاريخ الشفوي.

جـ ـ بحث أو مقال يعتمد على افتراضات نظرية على أن تكون دراسة رائدة لم يسبق نشرها.

د ـ تقارير أو مخطوطات قصيرة محققة أو مترجمة تتعلق بتاريخ المغرب العربي اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو دينياً.

إن الفرق بين البحث والمقال لدى مجلة البحوث ينحصر في تقييم هيئة التحرير للعناصر الأساسية الآتية الواردة في كل بحث أو مقال:

أولاً: الأصالة في البحث.

ثانياً: حجم الدراسة ومدى الجهد الذي بذل فيها.

ثالثاً: نوعية المصادر التي اعتمد عليها الكاتب في حالة استخدام أية مصادر.

ثانياً: تطلب هيئة التحرير من صاحب المادة المقدمة للنشر ما يلي:

1 ـ أن تكون للبحث أو المقال مقدمة تثار فيها المشكلة الماثلة للبحث بوضوح وأن تطرح الإجابة أو الإجابات في متن البحث أو المقال بأسلوب سلس ومن ثم الوصول إلى نتيجة أو نتائج للقضية أو المسائل المطروحة.

2 ـ فيما يخص استعمال المصادر فإن من سياسة المجلة أن يأخذ المؤلف في الاعتبار ما يلي:

1) أن تعطى الاقتباسات والتعليقات أرقاماً مسلسلة في المتن وتلحق هوامش كل صفحة بآخرها.

2) أن يكتب الباحث تباعاً المعلومات التالية إن وجد معظمها: اسم المؤلف الذي اقتبس منه ثلاثياً، وعنوان المصدر كاملاً والجزء إن وجد ومكان النشر والناشر والسنة وتاريخ النشر أو الصفحات التي اقتبس منها.

3) فيما يتعلق بحجم البحث المطول يمكن نشره على عدة مراحل تحددها هيئة تحرير المجلة مع الكاتب.

4) أما المقال فينبغي ألا يقلّ عن عشر صفحات ولا يزيد عن خمس وعشرين صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة.

5) يمكن نشر المقال الذي يعتمد كاتبه على المصادر الثانوية إذا ما جاء بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها.

6) تنشر المجلة البحوث والتقارير المترجمة بشرط ألا تكون هذه المواد قد سبق نشرها في مجلة علمية أو قدمت إلى مؤتمرات.

7) المجلة لا تنشر أي بحث أو مقال سبق نشره لنفس الكاتب.

8) من سياسة المجلة أن تحال المادة المقدمة للنشر إلى ثلاثة خبراء مختصين كحدّ أقصى لتقييمها وإبداء الرأي فيها حذفاً أو إضافةً وإذا ما نالت المادة استحسان أغلبية المقيّمين فإنها تعاد إلى الكاتب لإبداء الرأي وإجراء التعديلات النهائية إذا تطلب الأمر قبل نشرها.

9) يجب أن يكتب عنوان البحث أو المقال على صفحة منفردة بوضوح، إضافة إلى اسم الكاتب أو الكتاب ثلاثياً مع العنوان الثابت للمراسلة وبعض المعلومات الأساسية عن الكاتب نفسه كالعمل الذي يقوم به ومنشوراته.

ثالثاً: تدفع المجلة مكافأة تقديرية لكاتبي المواد التي تنشر فيها.

هيئة التحرير



شواهد على تزوير التاريخ

د. محمد الطاهر الجراري

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

ديودوروس سيكيلوس Diodorus Siculus مؤرخ إغريقي من صقلية عاش في القرن الأول قبل ميلاد المسيح، وكتب تاريخاً للعالم المعروف وقتها في أربعين كتاباً ومما ذكره الآتي:

«الملك الأشوري نينوس عقد تحالفاً مع أرايوس ملك شبه جزيرة العرب التي يبدو أنها كانت مليئة بالرجال الشجعان في ذلك الزمن».

بعد أكثر من ألفي سنة كتب الأستاذ أدوين مورفى Edwin Murphy كتاباً حول آسيا القديمة The Antiquities of Asia مستعرضاً فيه كل ما قاله المؤرخ ديودوروس حول آسيا في كتابه الثاني ترجم الأستاذ مورفي كل الكتاب إلى الإنجليزية وقام بالتعليق والتوضيح على كل ما هو غامض أو منقوص.

وعندما وصل إلى فقرة ديودوروس حول تحالف نينوس مع ملك العرب استرعى انتباهي أنه لم يتكلم عن زمن المعاهدة ولا عن حقيقتها التاريخية ولا عن أريوس هل هو حقيقي أم أسطوري ولا عن الكثير من الأسئلة التي كنت أتمنى أن يعيرها الأستاذ مورفي حادق انتباهه وواسع علمه بآسيا وتاريخها والتي هو أحد أكبر خبرائها.

التعليق الوحيد الذي حرص الأستاذ مورفي على وضعه على هذه الجملة هو:

«ملاحظة ديودوروس حول الشجاعة (الأصيلة) أو القديمة لدى العرب القصد منها هو معارضتها بما شهد عن العرب في الفترة الأخيرة من أنهم قطاع طرق جبناء ومرتزقة خونة وحلفاء لا يوثق بهم». حاولت أن أتتبع هذه السمعة التي اكتسبها العرب قبل وبعد ديودوروس، وبدون ادعاء المسح الكامل لكل ما قيل عن العرب إلا أنني اطلعت على ما قاله هيريدوت (القرن الخامس قبل ميلاد المسيح) فوجدته في الكتاب الثالث في الفصل 107 يتحدث عن غنى الجزيرة العربية ورفاهية أهلها وأهميتهم في التجارة الدولية ومراعاتهم للاتفاقيات المبرمة بينهم وبين ملوك الدول الكبرى من حولهم بنا فيها ملك فارس الذي حافظوا على دفع ضريبة سنوية له (الكتاب الثالث فقرة 97) غير أنه أكد على شجاعتهم وحبهم للحرية لدرجة أنه كرر أنهم لم يخضعوا لملك مارس قط (الكتاب الثالث فقرة 88).

خلال القرن الثاني قبل الميلاد كرر اجاتار خيدس Agatharchides مدير مكتبة الاسكندرية نفس المعلومة. وزادها حول أهمية العرب في التجارة العالمية وجمعهم لثروات طائلة منها وتكوين مستعمرات كثيرة على شواطىء أفريقيا والشاطىء الغربي للهند.

خلال القرن الأول قبل الميلاد أكد الملاح والكاتب الإغريفي ارتيميدورس Artemidorus ثراء العرب وبراعتهم التجارية.

أما بلنى الأكبر (القرن الأول بعد الميلاد) فإنه أكد هو الآخر في كتابه «التاريخ الطبيعي» الجزء الثاني عشر، الفصول 51 ـ 79) على ثراء الجزيرة العربية وغنى أهلها وكرر تلقيبهم بالسعداء العرب أو جزيرة العرب السعيدة Arabia Felix.

أما الشاعر ستاتيوس (45 ـ 95م) فإنه في قصيدته الأول في ديوانه المعنون سيلفياً تمنى على الأمبراطور الروماني أن يسعى لضم الجزيرة العربية لأملاكه وذلك نظراً لثرواتها الطائلة.

مؤلف كتاب رحلة البحر الأريثري (Periplus of The Erythrean Sea) حوالي 60 ميلاد، والتاجر كوسماس انديكو بلوستيس Gosmas Indicopleustes خلال القرن السادس الميلادي كلاهما دعما فكرة اشتغال العرب بالتجارة وأرباحهم الطائلة منها مما يدل على أمانتهم وثقة الآخرين بهم وإلا لفشلت تجارتهم.

القصد من هذا الاستدلال أن بعض المؤرخين الغربيين تنقصهم الموضوعية ويحرك بعضهم دوافع سياسية لدرجة أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويحملون الجُمل غير ما تحتمل.

وإضافة عليه أسوق نموذجاً آخر متمثلاً هذه المرة في الطبيب اليوناني ديوسكورودوس Dioscorides عاش ما بين 50 إلى 70 ميلادي. ذكر في كتابه حول طب الأعشاب أن مدينة البتراء العربية يوجد بها العديد من النباتات الطبية.

المحقق المعاصر مناحم شتيون Menahem Stern في كتابه «الكتاب الإغريق واللاتين حول اليهود واليهودية» «Greed and Latin Authous on

«Jews and Judaisne» وفي صفحة 422 علق على حملة ديوسكوريدوس السابق بقوله:

«يجب ملاحظة أن البتراء وصفت مرة بأنها قريبة من جوديا».

ولا أعرف إن كان القصد هو القول بأن نفس النباتات توجد في جوديا أيضاً أم الإيحاء بأن الكاتب الإغريقي أخطأ المكان فكتب البتراء بدلاً من جوديا وهذا بالطبع يحتاج لتدليل لم يسقه الكاتب، أم أنه لا هذا ولا ذاك وإنما هو التعصب والا علمية.

وهذا ما أراه

الأرض، الماء والنفوذ في واحات وادي الشاطىء بفزان في عهد أولاد محمد

د. حبيب وداعة الحسناوي

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

يعتبر وادي الشاطىء من المناطق الغنية بالمياه الجوفية، إن لم يكن أغناها في فزان، بل وفي ليبيا كلها. ولعل أقدم مناطق الاستقرار والعمران في فزان، والتي حافظت على وجودها التاريخي حتى الآن، هي المناطق التي تكونت ونمت حول ينابيع المياه في وادي الشاطىء مثل أدرى، ومحروقة، وتامزاوة. والمناطق الأخرى التالية التي تكونت وانتشرت على طول وادي الشاطىء إنما تمركزت حول آبار أو عيون طبيعية، وأصبحت هذه العيون بالتالي المصدر الذي يغذي المزارع التي نشأت حول هذه القرى، ومحور الحياة الاقتصادية وما يتعلق بها من النواحي العمرانية والاجتماعية في هذه القرى؛ بحيث أصبحت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، أو بعبارة أخرى، أساس تطور

وازدهار هذه القرى مرهون بمدى توفر المياه السطحية، وأرتفاع أو انخفاض منسوبها، وبمدى قدرة الأهالى على استغلال تلك المياه الجوفية.

وبالرغم من أن هذه العيون هي عيون طبيعية، وملكيتها واستغلال مياهها كانت ملكية جماعية مشاعة في بدايتها، إلا أنه في مراحل تالية حصلت تبدلات في الملكية وحق استغلال الماء، وكيفية توزيعه في بعض المناطق.

وفي هذا البحث سنحاول مناقشة وتحليل ظاهرة الأرض والماء في الشاطىء وتأثيرها في البنية الاجتماعية والسياسية في المنطقة في زمن أولاد وادى محمد الذين حكموا فزان منذ حوالي بداية القرن السادس عشر، وحتى سنة 1813م، عندما قضى عليهم يوسف باشا القرمانلي (1795 ـ 1832)، وأصبح فزان منذ ذلك التاريخ يحكم بواسطة موظف مقيم بمرزق يعين مباشرة من طرابلس. وسنقتصر في معالجتنا للموضوع على ثلاث واحات وهي واحة براك وعينها المسماة عين «القصر»، وواحة أشكدة وعينها المسماة «عين البلاد». وهاتان العينان مياههما تعتبر ملكية عامة، يحق لكل فرد من سكان هاتين القريتين أو الواحتين سحب الماء من النبع وسقي مزروعاته منه. أما النموذج الثالث فواحة آقار التي تعتبر مياه عينها والمسماة عين القصر مملوكة فقط للذين لهم أسهم في الماء عائدة عليهم بالإرث أو الشراء، حيث يحق لكل واحد منهم سحب حصصه في اليوم المعين إلى حيث يشاء من أراضيه وريها، أو تأجير هذا الماء لمن هو يحتاج إليه.. وقد جرت العادة أن تخصص وجبات ماء إضافية في مياه عيني براك وأشكدة لمتولي الوظائف العامة كالقاضي والمفتي، وكذلك لري أوقاف الزوايا القائمة في هذه البلدان. وقد أصبح موضوع المياه والأرض في هذه الواحات جميعاً أحد المجالات التي تثير

المشاكل وتولد المنافسات التي تغذيها أحياناً السلطة بين القوى المتنفذة فيها. وهذا النظام استمر في الوجود إلى وقت قريب إلى بداية السبعينات من هذا القرن، أي إلى الوقت الذي جفت فيه هذه العيون، ولم تعد كمية مياهها تستجيب لمتطلبات المزروعات القائمة، علاوة على أن المواطنين أنفسهم انصرفوا عن الزراعة، وأهملوا أراضيهم الأمر الذي تسبب في انتشار النباتات الضارة كالديس الذي أضعف الأرض وذهب بخصوبتها، وأضر النخيل ضرراً بالغاً، وبدأت الأشجار تجف وتموت، وكادت تتوقف عن الإنتاج. وسنعتمد في دراستنا هذه إلى جانب الروايات المتداولة، والمقابلات الشخصية التي أجريناها مع أهل المعرفة وكبار السن في كل من براك، وأشكدة وأقار، والذين لهم دراية واسعة بتقاليد توزيع الماء والأعراف والعادات المتبعة في ذلك، سنعتمد أيضاً على وثائق هامة تتعلق بالموضوع، وتعود لمرحلة أولاد محمد، حصلنا عليها من بعض الأفراد في القرى المذكورة أثناء إعدادنا لرسالة حول تاريخ المنطقة في مرحلة أولاد محمد.

* * *

لقد كانت الأرض هي المورد الأساسي للسكان، والمصدر الرئيسي للثروة في دولة أولاد محمد، كما هو الحال في المراحل السابقة لأولاد محمد، والمراحل اللاحقة لهم، باعتبار أن الزراعة، وإلى اليوم، هي المصدر الرئيسي للحياة في فزان. وكانت الزراعة، ولا زالت، تعتمد على المياه الباطنية أو الجوفية. وتبعاً لذلك، فإن الزراعة تتركز في الواحات الغنية بالمياه الجوفية، وبالتالي، فإن الحياة النباتية، والحيوانية والبشرية تكاد تكون مقصورة على أشرطة محدودة من المنخفضات التي تعرف بالوديان واشتهرت منها ثلاث مناطق زراعية متفاوتة المياه هي وادي الشاطىء الذي يعتبر أغزر هذه المناطق مياهاً، ووادي الآجال الذي

أصبح يعرف اليوم بوادي الحياة وأراضيه من أجودها من حيث الخصوبة، ومرزق والحفرة والشرقيات.

وبالإضافة إلى الأراضي المروية، أو المسقية بالمياه الجوفية كانت هناك أراضٍ بعلية تعتمد في ريها على مياه الأمطار، وهذه الأراضي توجد في المناطق الجبلية والرعوية المحيطة بمنخفض فزان. ولكن يجب الإشارة هنا إلى ضآلة المطر وعدم انتظامه[1].

وعلى العموم فإن مصادر المياه سواء كانت عيوناً، أو آبار ارتوازية، أو آباراً عادية عميقة أو قليلة العمق، بالإضافة إلى نوع التربة تحدد إلى حد كبير أهمية وكمية مردود الأرض. والعمل الزراعي في بيئة، كالبيئة الفزانية، يتطلب بذل مجهودات جبارة كتقليب الأرض وحراثتها، وتخصيبها بالسماد العضوي وتنظيفها من الحشائش والنباتات الضارة... الخ. وهذه العمليات ليست بالشيء السهل نظراً لبدائية تقنيات وأدوات العمل المستخدمة في الزراعة.

وتعتبر قريتا أشكدة وآقار أقدم في التأسيس من بلدة براك، ولكن الأخيرة التي أسست حوالي منتصف القرن التاسع الهجري سرعان ما انطلقت في عملية تطوير عمراني وبناء اقتصادي شامل مكنتها من تجاوز أشكدة، وربما آقار أيضاً. وقد ساعدها على ذلك وجود القاضي وبعض موظفي المخزن (الحكومة) فيها، وواحات أشكدة وبراك وآقار من الواحات المميزة في وادي الشاطىء خلال المرحلة التي ندرسها، حيث تتميز بخصوبة التربة، وتوفر مياه الري بغزارة التي تخرج طبيعياً من العيون

(1) حول جغرافية فزان ومظاهر السطح فيها والمناخ، انظر، جمال الدين الدناصوري، **جغرافية فزان دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية**، منشورات كلية الآداب 4 الجامعة الليبية، بنغازي. دار ليبيا للنشر والتوزيع (1967).

التي اشتهرت بها هذه الواحات. ومع ذلك فقد كان نظام توزيع الماء يسبب في بعض التجاوزات، وفي قيام كثير من النزاعات والخصومات بين سكان القرية الواحدة[2]. والفتاوى الشرعية المنتمية للمرحلة التي ندرسها مليئة بالقضايا التي أثارها هذا العنصر الحيوي الهام[3]. وكما سنرى، فإن الأمر يستدعي أحياناً تدخل السلطان لفض النزاعات، أمام عجز القاضي في إجبار بعض أطراف النزاع الامتثال لأوامره وأحكامه، وقد يتدخل فقهاء آخرون بفتاوى لحلها طبقاً للشرع بناء على عرض أحد المتخاصمين أو كل أطراف النزاع[4].

لقد عرفت السياسة المائية تطوراً ملموسا على يد أولاد محمد. فتأسيس الدولة، وتحقيق الاستقرار ساعدا في تطوير وسائل ونظم الري في واحات أشكدة، وبراك وآقار، فتم إنشاء وظائف يقوم شاغلوها بالإشراف على توزيع الماء، ومتابعة الفلاحين في تطبيق حصص الماء، وعدم مخالفة القواعد المرعية في نظام توزيع الماء. ففي براك يسمى المشرف على الري «تباع الساقية»، وفي آقار يسمى الشخص المسؤول عن توزيع الماء «شيخ العين» أو رئيس العين. ويختار هؤلاء من بين أكثر السكان خبرة ودراية، ومن بين المشهود لهم بالاستقامة والعدل.

إن التجاوزات والمشاكل التي تنجم بسبب توزيع الماء سببها الأساسي النظام نفسه، حيث يتم توصيل الماء إلى الحقول والبساتين

---

(2) رواية المرحوم عبدالله أحمد بن عطية من أهالي قرية آقار.

(3) انظر:

Habib Wada El - Hesnawi, *«Fazzan Under The Rule of the Awlad Muhammad: Astudy in Political, Economic, Social and Intellecual History»*, vol, ll, Appendeces. P.hD. Thesis, University of London, 1986, 26.

وثائق الأجواد، وثيقة رقم 26.

(4) نفس المصدر، وثائق القاضي، 15، 24، 34، 35، 36، 37، 38، 41، 46، 52، أبو جنيبة، وثيقة رقم 2، والعاشوري، وثيقة رقم 2، أبو قيلة، وثيقة رقم 2، الجراري، وثيقة رقم 27.

بواسطة السواقي، ويتم توزيع الماء حسب نظام معلوم يحظى بموافقة الجميع. والماء يوزع على الأرض المزروعة، أما الأرض غير المزروعة فلاحق لها في ماء السقاية. وكان بعض المزارعين أو الملاك تحت ضغط الحاجة يعملون على كراء حصصهم من الماء في عين آقار للراغبين في الاستزادة منه، أو غير الملاك المؤجرين لأراضي غيرهم بهدف ريها واستغلالها؛ حيث كان نظام الإعارة والتأجير معروفاً[5]. وفي خضم هذه العلاقات المتشابكة يحدث النزاع والخصومات حول التوقيت واستيفاء الحصص... الخ[6].

وبالإضافة إلى وفرة الماء، تشتهر واحات براك، وآقار وأشكدة بكثرة نخيلها، وتنوع أصنافه، ونمو النخيل هناك معتمد على الري أو بعلى في المناطق المنخفضة التي يعلو فيها منسوب المياه السطحية إلى الحد الذي يسمح بنمو أشجار النخيل في ميدتها. كما تشتهر هذه الواحات ببعض المزروعات الأخرى كالشعير، والبرسيم، واللوبية التي تنمو بين أشجار النخيل، وعلى ضفاف قنوات الري. وقد استطاع إنسان تلك الواحات في عهد أولاد محمد الذين وفروا قدراً كبيراً من الأمن والاستقرار، مد قنوات طويلة نسبياً لنقل الماء من البئر الارتوازية الرئيسة، التي تسقي مزروعات القرية في كل من براك، وأشكدة وآقار إلى مناطق أبعد من حول النبع؛ لاستصلاح واستزراع أراضٍ جديدة سميت «بدعوات»، وتطوير الزراعة في هذه الواحات بما يلبي حاجات السكان في هذه الواحات، وتبادل فائض المحصول الزراعي، وخاصة التمر مع سكان الوديان «بادية القبلة»، وبادية خليج سرت مقابل ما ينتجه الأخيرون من حيوانات، وعبى وجرود، أو يستوردونه كالزيت وغيره من إنتاج المناطق الشمالية (الساحلية).

(5) رواية المرحوم عبدالله أحمد بن عطية.

(6) نفس المصدر.

لقد لعبت الثروة المائية دورها أيضاً في ازدهار الحياة الحضرية القروية في فزان وخاصة في بلدان أشكدة، وبراك وآقار، حيث نلاحظ الانصهار البشري الذي تحقق في الجماعات المستقرة في هذه الواحات على صعيد الأنساق القبلية مع مرور الزمن، ثم تمازج القبائل والأفراد من أصول مختلفة (المهاجرين، المشتغلون مع المخزن، الفارون. . الخ)، إلى حد أنه لا نكاد نلاحظ النزعة القبلية، كإطار وكعقلية، لدى القاطنين في أية واحة، والذين أصبحوا يسمون «أهالي»، وهم المستقرون، تميزاً لهم عن غير المستقرين أو الرحل الذين يسمون «البادية». ومما ساعد على ذلك هو ارتباط الحياة البدوية بالواحات التي كانت حياتها الاقتصادية مبنية، كما أشرنا، على الزراعة أساساً. وكان السلاطين من أولاد محمد قد بدأوا في الاعتماد على رؤساء العشائر والقبائل واتباعهم في حل مشكلة الدفاع عن البلاد، وتشجيعهم على الاستقرار ومشاركتهم في النشاط الاقتصادي في البلاد، ومنحهم الأراضي الزراعية وغابات النخيل، وقد حققوا نجاحاً ملحوظاً بهذه السياسة[7].

إن عمليات الهجرة والاستقرار والتعمير في فزان، خلال المرحلة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، قد استغلها المخزن (الحكومة) كما سنرى، في تدعيم التوازن السياسي لصالحه، وساعدت على التمازج القبلي وتدمير العصبية القبلية إلى حد كبير من الداخل في التجمعات القروية، ونتج عن هذا السلام الاجتماعي، بين مختلف الجماعات البشرية المكونة لمجتمع القرية أو الواحة، نوع من الألفة، والتعاون والتكافل لكي يؤمنوا الدفاع، ولكي يحموا الحقوق في استغلال الموارد

(7) انظر:

Habib W. El - Hesnawi, *Fazzan Under The Rule of the Awlad Muhammad, A stndy in Political, Economie, Social and Intellecual History*. Sebha, The Centre for African Researches and Studies (1990) pp. 175 - 176.

المتاحة في القرية لإشباع حاجاتهم الأساسية، وتطوير الزراعة؛ بما يحقق تأمين ضرورات معيشتهم في إطار حياة مادية بسيطة، وفق نسق من القيم التي تؤكد على التعاون، والتكافل، والتعاضد الجماعي الفعال؛ وتبلورت هذه القيم في شكل عادات وتقاليد تنظم جميع الأنشطة الرئيسية، وعلى رأسها النشاط الزراعي، وأنظمة الري.

والتطوير الحاصل في الزراعة تم في اتحاد وثيق مع المعطيات الجغرافية (نسق إنتاج زراعي ـ رعوي، زراعي ـ مغارسة)، مع المعطيات البشرية (حضر ـ بادية)، (قدماء ـ ووافدون، أو مهاجرون). فوجود الماء غزير ينساب على سطح الأرض مع إمكانيات مفتوحة لاستصلاح وتطوير أراضٍ زراعية جديدة، مع تسامح سكان الواحات، وقبولهم استقرار الوافدين من كل جهة. شجعت هذه الأوضاع جماعات متعددة للهجرة والاستقرار في فزان. ووجود واحات فزان على طرق الحج والقوافل التجارية أسهم إلى حد كبير في استقرار بعض هؤلاء المسافرين من الحجاج، والتجار، وطلاب العلم في قرى فزان المختلفة، وزيادة النمو الديمغرافي[8]، وزيادة الرقعة الزراعية في الواحات التي يتوفر فيها الماء، ويمكن سحبه واستغلاله دون جهد كبير، كما هو الحال في بعض واحات وادي الشاطيء، كمحروقة، وآقار، تامزاوة، وبراك، وأشكدة، وأدرى، وواحة تراغن في الحفرة.

* * *

لقد حافظ أولاد محمد أثناء حكمهم لفزان على النظام الاجتماعي الذي كان سائداً، أو في طور التكوين، فبقيت الأرض والسلطة بيد القوى الاجتماعية المحلية القوية المتمثلة في المرابطين، والأشراف، والأسر

(8) Ibid, P.

الغنية وموظفي الدولة والزعامات القبلية البدوية المتمركزة بشكل أساسي في وادي الشاطىء.

وكان نظام ملكية الأرض مقسماً إلى ثلاثة أصناف:

1 ـ أراضي مملوكة للدولة (المخزن)، وتسمى «دارمال» وكان السلطان يعتبر مالكها الأعلى[9].

2 ـ أراضي الأوقاف، وهي أراضي المؤسسات الدينية كالمدارس القرآنية، والمساجد والزوايا، وأماكن البر الأخرى. وتمتاز هذه الأملاك عن غيرها من الأملاك بأنها غير خاضعة للضرائب والالتزامات المالية. ولكن الذين يستفيدون من خيرات هذه الأملاك كمدرسي القرآن الكريم، والأئمة، والمؤذنين يدفعون ضرائب نظير انتفاعهم بالمحصول[10]. وأراضي الأوقاف تتكون من أراضٍ شاسعة مصدرها التبرعات. فقد كان السلاطين والقادرون من الملاك، وخاصة الأغنياء منهم، يهبون العقارات والمزارع، وإرهاط النخيل إلى المؤسسات الإسلامية أي المساجد، والمدارس القرآنية الملحقة بالمساجد، والزوايا وغير ذلك، باعتبار أن الانفاق على مثل هذه المؤسسات، وخاصة على طلبة العلم والمعلمين، فيه ثواب وأجر عظيم. وهذه الأراضي لا يجوز بيعها بمال.

3 ـ الأراضي الخاصة، أي الملك الصرف، ولصاحب مثل هذا الملك حق التصرف في أراضيه حسبما يشاء، إذ يستطيع بيعها، أو إهداءها، أو الايصاء بها إلى ورثته. وتتقاضى الدولة عن هذه الأرض فقط ضريبة الأرض؛ وهي رسوم العشر، أو الخراج، أو حق الزكاة.

---

(9) وثائق القاضي، وثيقة رقم 32، 42، El - Hesnawi, «Fazzan».. Vol. II,

(10) نفس المصدر، وثائق الأجواد، وثيقة رقم 11، وثائق الجراري، وثيقة رثم 9.

وبشكل عام فقد كانت الأرض الخاصة تعود إلى فئة الأغنياء (الذين يشكلون فئة، أو طبقة الملاك)، ويقوم بالخدمة فيها وزراعتها الفلاحون على أساس المحاصصة أو المشاركة.

4 - الأراضي المشاعة كأراضي المراعي التي تستغل جماعياً للقبائل البدوية التي تقوم بتربية المواشي، كما أن سلطة الدولة لا تستطيع الوصول إليها.

إن التوسع في مشاريع الري، والاتجاه إلى استصلاح أراضٍ جديدة، والحاجة، كما يبدو، إلى المال، أدت ببعض سلاطين أولاد محمد إلى بيع بعض الأراضي، أو بالأصح بيع حصص الدولة في بعض الأراضي التي اشتراها المتمولون[11].

هذا بالإضافة إلى سفر بعض الناس إلى طرابلس وبلاد السودان وانقطاع أخبارهم فيتم التصرف في أراضيهم بالبيع بمعرفة القاضي، علاوة على أن بعض الفلاحين، الذين يعجزون عن تسديد الضرائب يضطرون إلى بيع، أو رهن أراضيهم إلى ملاكين كبار، وعندما يعجزون عن تسديد الرهن، وهذا هو الحاصل في أغلب الحالات، تعود الأرض إلى المرتهن له.

وهكذا بدأت تظهر وتنمو فئة الملاكين الكبار للأراضي من الأسرة الحاكمة، ومن الموظفين الكبار، والعلماء، والفقهاء، والمرابطين، وشيوخ القبائل ومن المتمولين والتجار مما أدى إلى تحولات جديدة في الوضع الاجتماعي - والاقتصادي لهذه الفئات التي تمثل الشريحة العليا في المجتمع، وتتكون من العائلات المرابطية والشريفية التي لها ملكيات

(11) نفس المصدر، وثائق أبو قيلة، وثيقة رقم 1، الأجواد، وثيقة رقم 21، الغزالي، وثيقة رقم 1، 2، 3 القاضي، وثيقة، 12، الشريف، وثيقة رقم 3.

أراضٍ، أو تشرف على أوقاف عامة. وتضم الوجهاء وشيوخ القبائل الذين يتمتعون بنفوذ أراضٍ، أو تشرف على أوقاف عامة. وتضم الوجهاء وشيوخ القبائل الذين يتمتعون بنفوذ سياسي واجتماعي مما أدى، مع عوامل أخرى، إلى قيام فجوة بين هذه الفئة وعامة الشعب. وبدأت هذه الفئة كقيادات محلية تمثل عائلاتها وقبائلها أمام السلطة، وتنطق باسمها. وأخذ (المخزن) يعتمد على هذه القيادات المحلية في تصريف الشؤون المحلية، إلا أن المخزن كان يعمل، في إطار الحفاظ على لعبة التوازن السياسي بين هذه الفئات، على الحيلولة دون قيام قيادة محلية كبرى. وتعدد القيادات الجهوية وتنافسها جعل هذه القيادات تزود المخزن بأخبار ما يدور في مناطقهم، وكانت تلح على أن يكون السلطان هو الحكم الذي تفض على يده كل النزاعات[12]. وللقيادات المحلية أدوار أخرى كإخضاع العامة، ومراقبة القيادات الأخرى، كما كانت تلعب دور الوساطة بين العامة والسلطان لقضاء بعض مصالح العامة، وكذلك التدخل لتخفيض بعض الغرامات على بعض الأشخاص، وطلب الشفاعة، وكذلك طلب العفو والأمان للبعض الآخر؛ ممن ارتكبوا أخطاء في حق الدولة والآخرين[13].

إن القيادة المدنية والدينية تركزت في أيدي العلماء والمرابطين فدور هذه الفئة لم يقتصر على الحياة الدينية والتربوية فحسب، بل شمل الحياة السياسية والاجتماعية. وهم الذين كانوا يقومون بدور الوساطة بين السلطان والعامة؛ نظراً لتأثيرهم الفعال في أوساط العامة ـ وقد حاولوا

---

(12) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثائق 4، 13، 15، 23، 34، 38، 53، الأجواد، وثيقة رقم 19، 20، 22، الجراري، وثيقة رقم 25، 27، 30، 31.

(13) نفس المصدر، وثائق الأجواد، وثيقة رقم 17، 18، العزومي، وثيقة رقم 3، 8، بدر الدين، وثيقة رقم 6، القاضي، وثائق رقم 11، 70، 82، 84.

تأكيد مصالحهم وتوسيع أملاكهم، بالإفادة من مراكزهم في الإدارة والقضاء؛ فاشتروا أملاكاً واسعة من الدولة والأفراد. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النشاط التعليمي والتربوي لهذه الفئة لم يكن مهنتهم الوحيدة، فإلى جانب نشاطهم العلمي والتربوي، نجد أن بعض أفراد هذه الفئة يباشرون نشاطات أو أعمالاً أخرى كالتجارة والزراعة، ومنهم من يخدم أرضه بنفسه، ومنهم من يستغل أراضيه عن طريق إجراء أو شركاء. وبرز دور المال في العلاقات الاجتماعية. وفي هذه الفترة استقرت فكرة السلطة على أساس المال، والنفوذ الأدبي، والأسري والقبلي.

* * *

إن مايميز اقتصاد فزان في تلك الحقبة، هو أن نشاط الناس كان منصباً في الأساس على تلبية الحاجات الأساسية لمعيشتهم، وقلة هم أولئك الذين ينتجون أكثر من حاجتهم، وتسخير هذا الفائض في زيادة مصادر ثروتهم كشراء الأراضي، والمزارع، والحصص في ماء العيون لري تلك الأراضي الجديدة.

وإذا كانت البساتين والحقول الزراعية، وبالأخص في المناطق الخصبة كوادي الآجال، تسمح، بفضل الري، الحصول على محاصيل عالية، فإن الشكل الزراعي السائد يبدو، هو زراعة الحبوب، ولكن بانتاجية منخفضة نسبياً. وقد كان سكان فزان يغطون النقص في المواد الغذائية بمبادلة ما يحتاجون إليه من حبوب مما يأتي به أصحاب القوافل من سكان منطقة سرت، والقبلة، والجبل الغربي، وقت الخريف، ومبادلتها بالتمر. علاوة على أن النشاط الزراعي كان يخضع أيضاً للمعطيات الطبيعية وفي طليعتها مشكلة المياه؛ حيث أن بعض الواحات كانت تعاني من نقص المياه الصالحة للزراعة وعمق منسوبها النسبي عن سطح الأرض. ولكنها تسمح في بعض السنوات بتصدير كميات من هذا المحصول إلى المناطق المجاورة. ولكن

سنوات العوز والجفاف، وفي أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية، وانعدام الأمن، تفرض على الفلاحين إنتاج الحد الأدنى من الغذاء خوفاً من عمليات النهب والعزو التي تمارس في ظل مثل هذه الظروف ضد المناطق الحضرية المستقرة والمتمثلة في الواحات[14]. وتستهدف إنتاج الفلاحين على وجه الخصوص، وبالتالي تمنع هذه العمليات الفلاحين من التوسع في الإنتاج الزراعي.

ويجب أن نلاحظ أن هذا التقسيم للنشاطات الاقتصادية ليس حدياً؛ بمعنى أنه توجد إلى جانب سكان الواحات الذين يتعاطون الزراعة، وإلى جانب بعض سكان البادية، الذين يقومون بالرعي وتربية الحيوانات، توجد فئة أخرى يمكن أن نطلق عليها فئة أنصاف البدو الذين يجمعون بين الزراعة وامتلاك غابات النخيل في الواحات، مع تربية الحيوانات مثل الغنم، والماعز والإبل. وعلى الرغم من أن القبائل البدوية لم تكن تعرف فلاحة الأرض ولا زراعتها؛ لإعتمادها أساساً على رعي الماشية، كما هو معروف، فإن استقرار بعض عناصر هذه القبائل بوادي الشاطىء، ولتعايشها مع السلطة المركزية التي أنشأها أولاد محمد، وحاجة هذه القبائل إلى واحات يجعلونها مراكز لتموينهم وقواعد لتنظيماتهم، فرض على هذه العناصر الاهتمام بالزراعة، والمزاوجة بين النشاط الزراعي والرعوي من أجل تلبية حاجياتها، وحاجيات بقية العناصر من أفراد القبيلة المشتغلين بالرعي والعيش في الوديان البعيدة عن الواحات، أو ممارسة الحرب والغزو. لقد شجع على ممارسة هذا النشاط خصوبة التربة، وتوفر مياه الري، ووجود تقاليد زراعية بواحات فزان، وفوق هذا

(14) كان الفلاح يعبر عن خوفه على محصوله في أهازيجه وأغانيه وخاصة وقت الحصاد حيث يردد: يا زرعنا يا زرعنا يا حصاد القايلة الله يحفظك من بوبشير (نوع من الطيور) أو بدوى يرفعك في غرايره

وذاك، وجود فئة من الممتهنين للعمل الزراعي بدون أرض، والذين كانوا يؤجرون جهدهم العضلي للعمل مع الغير كإجراء، ويعمل قسم منهم لحساب هؤلاء الملاك الجدد، الذين استثمروا جزءاً من أموالهم لشراء المزارع والنخيل، كعمال شركاء يطلق عليهم «الوبارة» و«الجبابدة». ومهمة «الوبار» تذكير النخيل وتعكيسه، وجني محصوله. ويعطي مقابل ذلك سبع الإنتاج. أما «الجباد» فمهمته تسيير نظام الري الصعب، والقيام بالعمليات الزراعة الأخرى بعد أن يوفر صاحب المزرعة أو السانية البذور، والآلات، والحيوانات اللازمة لسحب الماء. ويتقاضى «الجباد» مقابل جهده ربع الإنتاج، والذي، عادة في ظل ضعف مردودية الأرض وهزالة الإنتاج، لا يكفي لإشباع الحد الأدنى لحاجاته الأساسية. فقد كانت الأراضي الزراعية مقسمة قطعاً صغيرة، وإنتاجها بالضرورة محدود، وحصة الفلاح «الجباد» في الإنتاج قليلة ولا تفي بمتطلبات أسرته الأساسية، والإنتاج السيء يؤدي حتماً إلى زج الفلاح ـ الجباد للوقوع في عبودية الدين الذي يأخذ عادة من المالك الشريك، وكل موسم زراعي يؤدي إلى تضخم ديون الجبابدة الذين يسمون في بعض مناطق الصحراء «بالخماسين»، وإلى زيادة تبعيتهم للمزارعين الملاك، وبالتالي، الوقوع في عبودية لا أمل في الخلاص منها[15]. وهكذا كان الوضع الاقتصادي يدفع بالفلاح الجباد إلى الحياة ضمن حدود العيش الدنيا، وسد أود حياته وحياة أسرته يكلفه أغلى ثمن؛ حيث أنه كثيراً ما يحصل على سلف من رب عمله أو غيره تزيد على حصته، وتحت ضغط الحاجة يشتري الحد الأدنى من لوازمه بأسعار غالية تفوق أسعارها الحقيقية على أمل تسديدها من غلة الموسم التالي، ولكن لا يستطيع دفع كل ما عليه من ديون. وهكذا ترحل ديون العام السابق إلى ديون العام المقبل وهكذا دواليك. وفي ظل هذا النوع من المشاكل التي يعاني منها الفلاح ـ الجباد،

(15) انظر، القاضي، وثيقة رقم El - Hesnawi, «Fazzan»,... vol. *II*,67 .

وكذلك صغار المزارعين الملاك، بوجه عام، مع الصعوبات الأخرى المتصلة بمزاولة العمل الزراعي، تجعل هؤلاء لا يستطيعون توفير أي مال لتنمية زراعتهم وتطويرها، أو إنشاء مزارع أو استصلاحها لأنفسهم، بل غالباً ما يضطر صغار الملاك إلى بيع أملاكهم، والتحول إلى جبابدة وإجراء. وتبقى الأملاك بالتالي محصورة في أيدي كبار الملاك. وهكذا شكلت العشائر والعائلات الكبيرة، والحرفيين، والمجموعات الدينية دوائر مستغلة بداخل الواحات بيدها السلطة والثروة.

وإذا كانت الزراعة والرعى، إلى جانب بعض الصناعات الحرفية البسيطة، تشكل النشاطات الاقتصادية الأساسية لفزان في مرحلة حكم أولاد محمد، فإن الصفة البارزة لاقتصاد فزان تنشأ في جزء كبير من مساهمته في تجارة القوافل. ففزان كان في تماس مع المراكز الحضرية في أفريقيا الصحراوية وأفريقيا جنوب الصحراء، ومع شواطىء البحر المتوسط، والمشرق العربي. ففزان خلال هذه المرحلة كان يقوم بوظيفة هامة؟ فخلال مراكزه الحضرية كمزرق وغات تمر السلع، وإعادة توزيعها في الاتجاهات المختلفة. وهكذا كانت مدن وواحات فزان تشكل جزءاً من الشبكة الواسعة لمدن البحر المتوسط والصحراوية التي تجمع فيما بينها روابط تجارية وثقافية[16]. وبشكل عام كان تجار القوافل يأتون من واحات ومدن أخرى كأوجلة، وسوكنة، وغدامس وطرابلس. أما سكان

---

(16) يقول الشيخ علي الحضيري من علماء القرن السابع عشر في فزان عن حال فزان:

فزان بالمرور للخطار	قنطرة للحجيج والتجار
لأنها ضعيفة المعاش	بغير خطار فلا فيها شيى

المصدر السابق، وثائق الحضيري، وثيقة رقم 5. وللمزيد حول تجارة القوافل الفزانية، وعلاقة فزان بالممالك السودانية انظر:

Habib W. El - Hesnawi, *Fazzan Under The Rule of the Awlad Muhammad,* PP. 229 - 268.

واحات فزان الذين يشتغلون بتجارة القوافل فكانوا قلة مقارنة بالتجار الوافدين من مناطق أخرى، وظل نشاطهم الاقتصادي منصباً على الزراعة وبيع وشراء المزارع وحصص الماء، وغابات النخيل، كما تعالجه هذه الورقة، في كل من واحات أشكدة، وبراك، وآقار كمثال. والذين استفادوا من محاولات السلطان أحمد المنصور (1187 ـ 1204هـ) 1773 ـ 1790م في إطار تشجيعه الزراعة، وأحكام سيطرته على البلاد عن طريق إصدار تشريع جديد، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزاً، قانون إحياء الأرض «الموات»، ومفاده أن كل من قام بإحياء بئر سادمة فله ثلث ملكيتها. وقد تسابق أهل أشكدة، وبراك وآقار في استغلال هذا القانون لمصلحتهم، وقاموا بتعمير مزارع عديدة كانت سادمة، وتم تناقل وشراء حصص ماء في العيون المذكورة، وشهدت الزراعة انتعاشاً غير معهود خلال تلك المرحلة.

* * *

أولاً: واحة أشكدة:

تعتبر أشكدة بداية وادي الشاطىء من ناحية الشرق، وقد تطورت عن بلدة دبدب التي تعتبر أحد أقدم مواطن الاستقرار في فزان. وقد نمت القرية حول عين ارتوازية متوسطة الاندفاع، ونظراً لبعد القرية وعزلتها النسبية عن قرى الشاطىء فإن نموها كان بطيئاً. وبعد انتقال المرابطين إليها من أولاد أبو القاسم في القرن السابع عشر وتكاثرهم هناك بدأت القرية تشهد انتعاشاً بطيئاً، كما تشهد بذلك الوثائق التي وصلت إلينا، وتعكس انخفاض مستوى معيشة سكان القرية، وضعف الإنتاج كما يعبر عنه مقدار الالتزامات الضريبية المفروضة على السكان في شكل عشور وقطيع. وبالنظر لشهرة القرية في إنتاج اللولبية فإن عدداً من المرابطين وهم أولاد إسماعيل يدفعون ضرائبهم على شكل قطيع معلوم من اللوبية

مقدر بحسب إمكانياتهم وقدراتهم الاقتصادية والزراعية[17].

وفي عهد السلطان أحمد الناصر (1122 ـ 1180هـ) 1710 ـ 1760م الذي استهل عهده برفع راية الثورة والعصيان ضد سلطة أحمد باشا القرمانلي (1711 ـ 1745) بطرابلس، والذي وجد صعوبة كبيرة في القضاء على الثورات التي انفجرت في وجهه كالفقاع، ومنها ثورة أحمد الناصر[18]. وفي إطار المواجهة مع أحمد القرمانلي سعى أحمد الناصر إلى تقوية دفاعات القرى والواحات الواقعة على الطريق إلى مرزق كتجديد وترميم قلاعها، وبناء أسوارها ومن بينها بناء وترميم قلعة وسور بلدة أشكدة، وحفر وإصلاح العين التي تزود القرية ومزروعاتها بحاجتها من الماء. وقد قاد عملية البناء والتجديدات المرابط محمد بن أبي بكر، والمرابط يوسف بن أبي القاسم بناء على أمر السلطان أحمد الناصر عام 1136هـ (1723 ـ 1724) وحررت مضبطة بذلك وقع عليها أهل القرية[19]. وقد جرت العادة أن يمنح كبير المرابطين في القرية غرزة ماء إضافية نظير أعماله المتمثلة في رعاية شؤون القرية، والعناية بالمسجد والزاوية، وإكرام الضيف وغيرها من الأعمال الإنسانية التي يعجز بقية سكان القرية عن أدائها[20]. أيضاً فإن إمام المسجد مخصص له غرزة ماء إضافية أيضاً[21].

لقد تأسست رئاسة مرابطي أشكدة في بيت الرشيد، وتعززت مكانة أبناء هذا البيت بما كانوا يحظون به من جاه وتقدير من قبل الحكام من

(17) انظر: El - Hesnawi, «Fazzan»... vol. ll,
وثائق أبو القاسم، وثيقة رقم 1، 2، والرشيد وثائق رقم 6، 8، 13.

(18) لتفاصيل أكثر حول ثورة أحمد الناصر انظر: Habib W. El - Hesnawi, *Fazzan Under The Rule of the Awlad Mohammad.* PP. 126 - 131.

(19) وثائق الرشيد، وثيقة رقم 9، El - Hesnawi, *«Fazzan»... vol. ll,*

(20) نفس المصدر، وثائق الرشيد، رقم 7، 12، 14.

(21) نفس المصدر، وثائق الرشيد، وثيقة رقم 7، 14.

أولاد محمد، وأهل بلدتهم أشكدة، وتشير إحدى الوثائق إلى أن المرابط فتح الله بن محمد بن أبي بكر، الذي تولى رئاسة القرية بعد وفاة والده، قد تصدق عليه، لوجه الله تعالى، السلطان أحمد الناصر بأرض زراعية محددة عام 1155هـ الموافق 1739م، «نظراً لحسن اهتمامه بالبلد وعنايته بزاويتها، ومسجدها وبالعين» وكان السلطان محمد الناصر قد تصدق على والده بأرض مماثلة لنفس السبب[22].

وهكذا تعززت مكانة الفئة العليا في المجتمع الاشكداوي من المرابطين بما توفر لها من مكانة اجتماعية ونفوذ سياسي وقوة اقتصادية استغلتها في الحصول على المزيد من الأراضي عن طريق الشراء، والمنح والصدقات السلطانية، أو بحق المغارسة وتعمير السواني والعيون السادمة وفقاً للمبدأ الذي سنه السلطان أحمد المنصور، وسبق الإشارة إليه[23]. وقد كانت تكاليف التعمير والاستصلاح مكلفة، لا يقدر عليها إلا الذين لهم موارد مالية من الزراعة أو التجارة، أو يتمتعون بإعفاءات من بعض الالتزامات السلطانية؛ كتقديم الطعام لضيوف القرية من الزوار الرسميين، والعلف اللازم لحيوانات ركوبهم، هذه الالتزامات التي كانت وقتها تكليفاً باهظاً، وعبئاً ثقيلاً على كاهل البسطاء والفقراء من الناس. وكثيراً ما طفت رسائل سكان قرية أشكدة، وبلدة براك إلى السلطان بمر الشكوى من عسف وجور الموظفين والزوار إلى قراهم، وما يصاحب تدخل شيوخ القرى والقبائل في توزيع الوجبات الغذائية على السكان من محاباة وانعدام عدالة التوزيع، وفرض مكملات ليست في متناول الناس[24]. وتشير الوثائق إلى أن الالتزامات السلطانية الباهظة كثيراً ما

(22) نفس المصدر، وثائق الرشيد، رقم 1، 2، أ2.

(23) نفس المصدر، وثائق القاضي، رقم 32.

(24) نفس المصدر، وثائق العزومي، رقم 4.

أجبرت بعض المواطنين على التخلي عن الزراعة لعدم قدرتهم على تمويل العملية الزراعية[25]. في حين كان أفراد الشريحة العليا في المجتمع يتسابقون على الحصول على الإعفاءات من هذه الالتزامات من السلطان، ويتوارثون هذه الاعفاءات في أسرهم[26]. وكما حدث في براك، وآقار، ومناطق أخرى في وادي الشاطىء وفزان عامة بدأت قوى اجتماعية أخرى تبرز إلى الواجهة، وتنافس المرابطين السلطة والنفوذ، كما أن المرابطين أنفسهم كعائلات سياسية، تسلمت الإدارة وبعض الوظائف الإدارية، برز فيها خلال المرحلة الأخيرة من حكم أسرة أولاد محمد تنافس وانقسام داخل هذه الأسر، ويغذيه بعض القادة الإداريين الذين كانوا يخافون الشخصيات القوية في هذه الأسر ويريدون أضعافها[27]، فيجدون في أحد أقربائهم الطامعين فريستهم فيدعمونه ليكون طوع بنانهم، وكذلك تقوية نفوذ فئات وأسر (جديدة) طفت على السطح في إطار التطور السياسي والاجتماعي في فزان في النصف الأخير من القرنين الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر لقوى محلية تستمد نفوذها من أساسها القبلي، أو وظيفتها الحكومية، أو مكانتها الدينية والاجتماعية. ولعل أحد ميادين الصراع والتنافس الداخلي بين الأسر المرابطية كان حول الزعامة والرئاسة؛ فرئيس المرابطين في قريته كان حلقة الوصل بين المرابطين والحكومات المتعاقبة على حكم فزان، يستقبل الزوار الحكوميين، وغيرهم من عابري السبيل، ويقدم لهم

---

(25) نفس المصدر، وثائق بدر الدين رقم 6، الأجواد وثائق رقم 2، 4، 8، العزومي، وثائق 2 - 8 إسماعيل، وثائق، 5، 6، 7، القاضي، وثائق 43، 68، 69، 70.

(26) انظر على سبيل المثال، نفس المصدر السابق، وثائق بدر الدين، ووثائق العزومي.

(27) نفس المصدر، وثائق الجراري، وثيقة رقم 25، وانظر محاولات القائد محمد بن الحاج صالح التدخل في شؤون القاضي محمد الرشيد وتأليب أعيان الشاطىء ضده، القاضي وثائق رقم 38، 49، 51، 52، 53، 63، 64، 82، 87.

الضيافة اللازمة من مأكل ومشرب لهم ولحيواناتهم، طيلة بقائهم في قريته. ولهذا الواجب الاجتماعي الهام خصصت له أراضٍ ونخيل وساعات ماء (غرز) من وقف الزوايا المرابطية في أشكدة وآقار، وبراك، لاستخدام محصولها في الصرف منه على عابري السبيل، ويستفيدُ من الفائض من الماء والغلال للصرف منه على نفسه وأسرته وزيادة ثروته، وتعزيز وتقوية مركزه في قريته، وفي المنطقة عموماً، ولدى السلطة المركزية وأعوانها في مرزق. ولهذا فإن هذا المركز في خضم هذه التطورات أصبح يغري الكثيرين من أعيان المرابطين بالتطلع إلى شغله؛ وإحدى معارك الصراع في قرية أشكدة كانت حول شرعية غرز الماء الإضافية المخصصة لمتولي الزاوية ورعاية شؤون القرية بشكل عام، وهذه الوظيفة التي كان يقوم بها عمداء بيت الرشيد من مرابطي أشكدة، قد ثار حولها جدل كبير ومحاولات من أقربائهم أولاً، بالغاء غرز الماء الإضافية الممنوحة لهم بحكم العادة، وثانياً، بإزاحتهم عن رئاسة القرية. غير أن القضاة الذين نظروا في هذه القضية قد حكموا بأن هذه الغرز المقررة بحكم العادة للذين يؤدون خدمة عامة للمجتمع صحيحة ويجب أن تستمر[28]. كما أن المواطنين قدموا بتاريخ أواسط ربيع الثاني 1221هـ الموافق يولية 1806م مضبطة قدمت للسلطان محمد المنتصر (1219 ـ 1228هـ/ 1804 ـ 1813م) يعارضون فيها دعوة بعض المتنفدين عزل آل الرشيد، ويعلنون فيها أن المرابطين أبا بكر بن فتح الله، وابن عمه الرشيد للذين ورثا منصب رئاسة القرية عن أبويهما وجدهما محمد بن أبي بكر الذي كان السلطان أحمد الناصر قد كلفه بإصلاح عين أشكدة وقصبتها عام 1136هـ/ 1723 ـ 1724)، كما مر بنا، هما أصلح من يقوم بهذه المهمة، وإن سكان القرية الموقعين على

(28) نفس المصدر، وثائق الرشيد رقم 7، 9، 10، 12.

المضبطة المذكورة لا يرضون بأي تغيير في رئاسة القرية نظراً لما لهذين المرابطين من فضل على أهل القرية ولسدادهما أجل الخدمات للقرية كقيامهما بواجب الضيافة للوافدين للقرية[29]. لقد أسهمت جملة من المعطيات لعل أهمها التجانس العرقي وعدم وجود شرائح أو عائلات غير مرابطية منافسة، وبعد القرية عن مواقع التأثير السياسي، وانخفاض المستوى التعليمي، مقارنة ببلدتي براك وآقار، وضعف الامكانيات الاقتصادية لأغلب مرابطي أشكدة، جعلت الصراع على السلطة والزعامة بين مرابطي أشكدة محدوداً بمعطيات الزمان والمكان. ولم يأخذ أبعاداً خارج المألوف في النزاعات القروية. وهذا غير الحال في آقار وبراك اللتين كان سكانهما ينتمون إلى أصول قبلية مختلفة والصراع على النفوذ بين القوى السياسية المحلية فيهما يعكس طبيعة التركيبة السكانية في الشاطىء والإساليب المختلفة في اصطناع الأعوان أو محاربة الخصوم، وهنا أيضاً تبرز قضية الأرض والماء كسلاحين ماضيين استخدما بمهارة في كسب الأعوان، وضرب الخصوم.

ثانياً: واحة آقار:

ليس فيما أطلع عليه الباحث ما يفيد بتحديد تاريخ إنشاء قرية آقار أو الأقوام الذين سكنوها أول مرة، غير أنه من المؤكد أنه في بداية القرن السادس عشر وفد عليها أولاد نعسان ثم المرابطون والذين أصبحوا فيما بعد وحتى اليوم، يشكلون سكان آقار الرئيسيين وبدأت هذه القرية خلال القرن السابع عشر تشهد تطوراً عمرانياً وتوسعاً زراعياً مهما حيث

(29) نفس المصدر، وثائق الرشيد، وثيقة رقم 10، وتشير الوثيقة رقم 14 في مجموعة الرشيد أن القاضي أبا بكر بن عبد الكريم قد عين المرابط قاسم بن عبد الله كرئيس لقرية أشكدة مزوداً بسلطات واسعة من القاضي المذكور ليحل محل آل الرشيد في قيادة بلدة أشكدة.

تشير الوثائق المحلية أن البحريات أو البحارى؛ وهي المزارع الواقعة إلى الشمال من القرية الحالية ما بين الطريق المعبد والقرية القديمة[30]، يعود إنشاؤها إلى هذه المرحلة. كما أن القرية بدأت تشهد استصلاح الأراضي الواقعة إلى الجنوب الشرقي والمسماة بدعوات. وهذه الأراضي تعود ملكيتها إلى السلطان، وقد باشر عمارتها السلطان محمد الناصر عن طريق منحها للمرابطين بالمغارسة[31]. وهذه الأراضي تسمى (بدعوات) من الفعل بدع، وهي الأراضي المستصلحة حديثاً في ذلك الوقت، وتشمل كل الأراضي الواقعة تقريباً إلى جنوب شرقي قرية آقار، ولا زالت تحمل هذا الإسم إلى اليوم. وكانت هذه الأراضي تسقى كل جمعة من عين أقار، حيث كان السلطان يملك مياه ذلك اليوم، حيث يسقي منها أملاكه، والتي سميت (بوطي) أو أراضي الجمعة نسبة إلي يوم الجمعة، وهو اليوم الذي تروى فيه هذه الأراضي.

وقد قام هامل المطرفي الذي انتقل للإقامة بآقار في مطلع القرن العاشر الهجري بتجديد بناء قصبة القرية. وقد بنى هامل ومن بعده أحفاده بيوتهم حول هذه القلعة التي لا زالت آثارها باقية. وقد ازدهرت هذه القصبة في مرحلة ما في تاريخ بلدة آقار، وهي مرحلة حكم أولاد محمد. ثم عندما بدأت آقار تفقد أهميتها بعد زوال حكم أولاد محمد عام 1813 قل الاهتمام بالقلعة، وأهملت حتى كادت أن تندثر[32]. وهذه

(30) نفس المصدر، وثائق بن عطية، وثيقة رقم 1.

(31) نفس المصدر، أبو قيلة وثيقة رقم 1 الترجمة الإنجليزية وانظر أيضاً:

Habib W. El - Hesnawi, Fazzan Under The Rule of the Awlad Muhammad. PP 158 - 159.

(32) في أوائل هذا القرن، قامت سيدة معينة اسمها عائشة ببناء كوخ لها من جريد النخيل داخل قصبة آقار بعد أن أهملت تماماً فعلق أحد الشعراء الشعبيين من أهل البلدة واسمه عبد الرحمن بن عمير على ذلك بقوله حسب رواية المرحوم/ عبد الله أحمد بن عطية. =

القرية شأنها شأن بقية قرى وادي الشاطىء تمركزت حول العين، وهي بئر ارتوازية طبيعية تقع في قدم سور القرية الجنوبي، ومعظم مزروعات القرية كانت تسقى منها. وبالتالي، فالعين كانت محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقرية أيضاً. وهي بئر مملوكة للأفراد، والتملك فيها يتم عن طريق الشراء بعكس عين براك التي كانت سبيلاً يحق لكل القاطنين ببراك سحب الماء منها، لاستصلاح أراض وسقيها. فعين آقار لا يسقى منها إلا الذين يملكون أسهماً فيها، وبمقدار ما يملك الشخص من أراض ونخيل، وحصص من ماء العين، بمقدار ما يحسب نفوذه وثروته.

والواقع أن المصادر التاريخية المتوفرة بين أيدينا لا تسعفنا بشيء عن الأقوام الذين كانوا يسكنون آقار قبل مجيء المرابطين وبني نعسان إليها، كما لا نعرف عن نشأة نظام توزيع الماء، وتفسير أسماء أيام دورة الماء التي تحمل أسماءة غريبة، وأية معلومات حول هذه الأسماء قد تسلط أضواء هامة على تاريخ القرية والأقوام التي سكنتها قبل القرن السادس عشر الميلادي. وكما هو معروف فإن دورة الماء في عين آقار تبلغ 31 يوماً، وكل يوم من هذه الأيام يحمل إسماً خاصاً وهي:

(1) يوم شبون	(2) يوم عمران	(3) يوم مسعود
(4) يوم السلاميات	(5) يوم حمور	(6) يوم هدية الأولى
(7) يوم الجمعة	(8) يوم هدية الثانية	(9) يوم أولاد علي الأول
(10) يوم أولاد علي الثاني	(11) يوم ثلث الخندق	(12) يوم بن فحل
(13) يوم الحوش	(14) يوم الجمعة	(15) يوم التلالة الأولى

= عمرت القصبة يا عيشة — بعد درتي فيها طعيليشه
عمرت هالقصبة كالعادة — بعد جتها قوم هالحشادة
عمرها هامل لأولاده — نبتت فيها هالعتريشة
علاها لين فاتت العادة — طاحت لين ولت حنيشه

(16) يوم التلالة الوسطى (17) يوم التلالة الثالثة (18) يوم السودان الأول
(19) يوم القبر (20) يوم الحدبة (21) يوم الجمعة
(22) يوم بدر (23) يوم السودان الثاني (24) يوم لنصاف
(25) يوم مناع (26) يوم غابة مناع (27) يوم حمد
(28) يوم الجمعة (29) يوم الوالي (30) يوم الثلاث

وكل يوم من هذه الأيام مقسم إلى (33) ذراعاً نهاراً، و28 ذراعاً ليلاً. ويقسم اليوم إلى سدسين، ومنقار، والسدس يساوي 14 ذراع ماء، ويمثل المنقار الجزء الباقي[33].

ومنصب شيخ العين أو رئيس العين كما تغلب تسميته أهم المناصب الإدارية في قرية آقار. والذي يشغل هذا المنصب لا بد أن يكون من ذوي الوجاهة والاستقامة، وعلى معرفة ودراية تامة بأمور العين، والمساهمين فيها، ونظام الحصص، وتوزيع الماء وفق الأسس والمعايير المتبعة، ومراقبة تطبيق نظام الحصص وتخزين الحصص والاستلاف والتأجير التي تجري بين المتشاركين في العين. وقد استمر منصب شيخ العين قائماً حتى أوائل السبعينات من هذا القرن، حيث توقف استخدام الناس لماء عين آقار القديمة وأهملوها بشكل نهائي.

ويشير أحد الباحثين المعاصرين من قرية آقار نفسها أنه عندما كان طفلاً صغيراً في بداية الخمسينات يقرأ القرآن في الحضرة الملحقة بمسجد القرية، كان يجتمع في الصحن الخارجي للمسجد صباح كل يوم أهل القرية، ويبدأ الجدال بينهم وبين شيخ العين حول توزيع حصص الماء، ويعلو صوت بعضهم لدرجة تهدد سير العملية التعليمية للصغار، فينبه

(33) محمد البشير بن محمد، نصوص أدبية ط2، جمع محمد الطاهر الجراري، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة نصوص ووثائق ـ 10، ص 164.

الفقيه المتخاصمين إلى ضرورة خفض أصواتهم لكي لا يؤثر ذلك على تعليم الصغار[34]. وهذا المشهد المتكرر يومياً يعكس مدى أهمية الماء وحرص الفلاحين على ري مزروعاتهم في موعدها، وإلا فإن بعض هذه المزروعات ستهدد بالعطش إذ سوف لن تروى قبل شهر. وتظهر مدى أهمية منصب شيخ العين الذي يحفظ ويحتفظ بالسجلات وحصص الماء الزائدة، والحصص التي لم يحضر أهلها لاستغلالها، وله حق التصرف فيها بما يتفق ومصالحه، حيث يحولها إلى أراضيه أو يمنحها لبعض الأفراد ممن يرى فائدة منهم، وبالتالي فإن إغضاب شيخ العين آخر شيء يمكن أن يفكر فيه أي مزارع. وأهل السطوة والنفوذ في القرية هم السكان المالكون لحصص الماء. وبالتالي النفوذ السياسي والاجتماعي ارتبط منذ البداية في آقار بالأرض والماء.

ويعتبر السلطان من أولاد محمد هو حامل الأسهم الأكبر في ماء عين آقار حتى سنة 1146هـ (1733/ 1734) حيث كان مخصصاً لري أراضيه حتى هذا التاريخ، كامل يوم الجمعة، ولا نعرف بالضبط متى وكيف آل إليه هذا التخصيص، ولكن بحكم العلاقة التي تكونت بين المرابطين وسلاطين أولاد محمد، قام السلطان محمد الناصر بمنح مياه يوم الجمعة للمرابطين لاستصلاح وسقي الأراضي البور الواقعة إلى الجنوب الشرقي من العين، والتي تسمى بدعوات، بالمغارسة[35] فزاد نفوذهم في القرية. وبحكم سيطرتهم على سبع ماء العين أصبح رئيس العين عادة ما يختار من قبيلة المرابطين. بيد أن تطور الأوضاع السياسية في منطقة طرابلس وثورة علي بن محمد أبا قيلة من بادية القبلة جنوب طرابلس ضد أحمد

(34) نفس المصدر، ص 164.

(35) انظر الهامش رقم 31، أعلاه.

القرمانلي، وقتله من قبل الأخير[36]، جعلت ابنه محمداً أبا قيلة يتجه إلى فزان ويتصل بالسلطان أحمد الناصر الذي كان في حالة ثورة هو أيضاً ضد أحمد القرمانلي ويقدم خدماته له. وقد قام السلطان ببيع نصيبه في أراضي الجمعة والبالغة أربعة أخماس هذه الأراضي إلى محمد بن علي بوقيلة بمبلغ مالي قدره مائة مثقال ذهب عام 1136 هـ[37]، وهكذا دخل عنصر جديد مجال المنافسة على النفوذ وامتلاك الأرض والماء في أقار الا وهو عائلة أبي قيلة البوسيفي. ويلاحظ أن أراضي يوم الجمعة المذكورة أصبحت مثار جدل ومناقشات مع سلاطين أولاد محمد اللاحقين، وبين المرابطين وأحفاد محمد بن علي أبي قيلة بالرغم من أن السلطان أحمد الناصر، كما تنص وثيقة البيع، لم يبع إلا نصيبه في الأرض والماء، أما حصة المرابطين العائدة لهم عن طريق المغارسة، فقد احتفظ لهم بها، ولم تشملها عملية البيع. وهذا ما أكدته كل الوثائف التالية المتعلقة بالموضوع[38]، ومع ذلك فإن المرابط علي بن محمد رفع قضية أمام القاضي يطلب فيها إخراج حصة المرابطين من حبس أبي قيلة.

---

(36) لتفاصيل أكثر حول الثورات التي قامت ضد حكم أحمد القرمانلي انظر:
- ابن غلبون، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة: الطبعة السلفية (1349هـ/ 1931م).
- اتورى روسي، **طرابلس منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت: لبنان: دار الثقافة (1974).
- شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع هوامشها النقدية محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر (1983).
- كوستانزيو برنيا، **طرابلس من 1510 إلى 1850**، تقديم عبد اللطيف الشويرف وترجمة خليفة محمد التليسي، طرابلس: مكتبة الفرجاني (1969).

(37) انظر هامش 31 أعلاه.

(38) Habib W. El - Hesnawi, *Fazzan Under The Rule of the Awlad Muhammad*, PP 158 - 159.

والواقع أنني لم أفهم معنى هذا الطلب إلا إذا أدرج في نطاق المنافسة وتعزيز النفوذ.

وفي هذا النطاق، أيضاً يمكن تفسير تسابق المرابطين وبعض أفراد بني نعسان على شراء واسترجاع، من بعضهم بعضاً، حصص الماء المحبسة التي لا يجوز بيعها أو التصرف فيها حسب ما تنص المواثيق والأعراف المرعية في هذا الشأن، وبالتالي يحق لأهل البائع امتلاك حق الشفعة واسترداد الملك المباع متى ما ثبت أن هذا الملك حبس(39).

وكما أشرنا في هذا البحث فإن قوة المرابطين ونفوذهم السياسي والاجتماعي أخذ يتناقص في أواخر عهد أولاد محمد، وخاصة في عهد السلطان محمد المنتصر الذي اتخذ موقفاً عدائياً من علي بن محمد شيخ أو نقيب المرابطين بآقار، وبراك وأشكدة والذي كان يمارس نوعاً من الأشراف على أموال السلطان، ويمثله لدى الغير في الخصام في الأمور المتعلقة بأملاك السلطان، وله الحظوة والتقدير، وقد جعل له السلاطين مجعولاً معلوماً نظير تعاونه مع السلطة(40).

ولكن السلطان محمد المنتصر بعد أن نظر في عدد من القضايا كان

---

(39) وثائق المرحوم عبدالله أحمد بن عطية الخاصة، حيث يوجد نص حكم في قضية بين المرابطين عبدالله بن يوسف وعمه علي بن محمد مع محمد بن أحمد بن طراد بن عيسى بن عطية، حيث طالب الأخير باسترداد ما اشتراه المرابطون من أملاك جدة عطية من أراضٍ ومياه ببلد آقار؛ كون تلك الأملاك حبس لا يجوز بيعها أو شراؤها حسب الأعراف المتبعة، وقد حضر المجلس القضائي برئاسة السلطان محمد المنصور الذي نظر في هذه القضية عدد من القضاة والعلماء من أنحاء مختلفة من قزان، وقد صدر الحكم لصالح إثبات صحة حبس ابن عطية، وبالتالي بطلان ما اشتراه المرابطون من أملاك ورثة بن عطية بها، وذلك بتاريخ أول ربيع عام 1213هـ. وحول مشكلة صحة أو عدم صحة حبس بن عطية انظر: الحسناوي، وثائق القاضي، وثيقة رقم 53.

(40) نفس المصدر، وثائق الجراري رقم 8، 11، 12، 13، 15، 17، 02، 21، 22، 24أ.

علي بن محمد طرفاً فيها، ولم تكن له حجة رسمية في إثارتها سوى حذاقة اللسان[41]، جعلت السلطان، فيما يبدو، يفقد ثقته في أقوال علي بن محمد، ولم تعد تسره تصرفاته الأمر الذي جعل السلطان يتصرف معه بقسوة أحياناً[42]. وفي إطار جهود السلطان تقليل صلاحيات المرابطين يبدو أنه قام بسحب صلاحيات أمر الإشراف من علي بن محمد على الأموال وعوائد بيت المال، أو كلها إلى القائد الجديد لبلدان الشاطىء، محمد بن الفقيه، وهو من أصل نوبي جاء جده في القرن السابع عشر، واستقر بالشاطىء ببراك، أحد مراكز المرابطين القوية، والتحق وأفراد أسرته من بعده بخدمة دولة أولاد محمد. وعمل محمد الفقيه هذا موظفاً لدى قائد بلدان الشاطىء المسمى محمد بن أبي صالح الوليد[43] قبل أن يعين في منصب قائد لبلدان الشاطىء.

وكان قد أشار محمد بن الفقيه، عندما كان مشرفاً على عين براك، على محمد بن الحاج صالح الوليد قائد بلدان الشاطىء الأسبق، والذي كان على خلاف مع القاضي محمد الرشيد[44] والمرابطين عموماً، بمنع القاضي ومتولي الزاوية في براك من الانتفاع بغرز الماء المقررة لهم، كما سنشرح بعد ذلك، ومنعهم من الحصول على إذن من السلطان باسترجاع حقهم في هذه الغرز[45].

---

(41) جاء في محضر القضية التي نظرها السلطان محمد المنصور (انظر هامش 39 أعلاه) وصف المرابط محمد بن علي «فلم يأتي (هكذا) بشيء يقيده إلا التلذذ في الكلام بغير وجه سايغ شرعاً».

(42) وثائق الجراري، رقم 19، 25، El - Hesnawi, «Fazzan»... vol. II, وانظر وثائق أبو قيلة، وثيقة رقم 4، في نفس المصدر.

(43) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 82.

(44) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 53، 63، 64.

(45) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 82.

ثالثاً: واحة براك

تعتبر واحة براك قاعدة وادي الشاطىء الأدنى، ومركز النشاط السياسي والإداري فيه. يعود تاريخ إنشائها إلى زمن غير معروف، ولكنها مثل بقية واحات الشاطىء نشأت حول عدد من الينابيع جذبت جماعات بشرية للاستقرار حولها، وربما كان أساس النشأة حول العين المسماة (أبرو)، التي أصبحت مع مرور الزمن مملوكة ملكاً خاصاً للأفراد بالشراء والإرث، ويقسم ماؤها على الملاك بالجابية ونصف الجابية وربعها، والدرج، والشبر، وتتناقل الملكية بين الأفراد والعائلات بالبيع والشراء، وكان القصر هو الرباط الذي تحلق حوله السكان الذين كانت أهم مجموعاتهم الشابات.

ومع منتصف القرن العاشر الهجري وفد للمنطقة رجل يدعى عبدالله، ويرد اسمه في بعض الوثائق عبدالله بن الحاج محمد بن فضل بن عمر بن علي الجداوي الخزرجي الأنصاري، ونزل بإزاء نبع فحفره وعمقه حتى أصبح نهراً جارياً إلى الشرق من عين (إبرو) وأقام حوله، وأخذ هذا المكان في النمو والتطور خاصة بعد أن سمح هذا الرجل للنازلين الجدد بحق استغلال ماء النبع الزائد عن حاجة مزروعاته في انشاء مزارع لهم، وقد جعل هذا الحق وقفاً جارياً، بحيث أن كل من له قدرة على استصلاح أرض له الحق في جر الماء إلى تلك الأرض، والدخول في الدورة المائية للعين[46] كما قام ببناء زاوية للتعليم وإيواء عابري السبيل، وأوقف عليها أملاكاً وجعل لها يوماً في ماء العين لري أوقاف الزاوية التي ستنفق ريعها على عابري السبيل.

وهكذا تكونت قرية براك التي كان بها هذا النبع من ثلاثة أحياء

(46) نفس المصدر، وثائق الأجواد، وثيقة رقم 26.

وهي القصر، الزاوية والعافية. أما المصلى فقد نشأ أخيراً وأغلب سكانه من أولاد وافى، ومع وجود الماء ينساب غزيراً من العين، مع وجود إمكانيات مفتوحة أمام كل قادر على استصلاح وتعمير أراض جديدة، انتقل إليها كثيرون من القرى المجاورة كزلواز وتامزاوة وعمروها، ومع تسامحهم وقبولهم استقرار الوافدين الجدد، وفد عليها آخرون من أماكن متعددة خلال المرحلة ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. ومع مرور الزمن تحقق في براك نوع من الانصهار البشري بين هذه الجماعات حتى أنه تكاد تختفي فيها النزعة القبلية، كإطار وكعقلية.

لقد لعب الماء دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الحضرية في براك، ولكن النفوذ السياسي والثقل الاجتماعي للأفراد والجماعات ظل في جانب الأفراد والأسر التي تملك المال والخدم، وبالتالي القدرة على استغلال الأرض واستصلاحها، أو شراء المزارع والنخيل، وربط الصلات مع السلاطين والحصول على الإعفاءات والمزايا المحروم منها المواطنون العاديون، فبقيت الأرض بيد الشريحة العليا من الفئات الاجتماعية المحلية القوية.

وكما هو الحال بأشكدة وآقار، استمر المرابطون في براك كفئة مميزة اجتماعياً حيث كل القاضي ببلدان الشاطىء عادة ما يأتي من هذه القبيلة، علاوة على الوظائف الكتابية والإشرافية الأخرى، والتي سبق الإشارة إليها، ولكن براك، كما أشرنا، كانت تضم عائلات وعشائر أخرى كان من بين أفرادها موظفون، وعلماء وفقهاء، وشيوخ، ومتجولون وتجار، وتستعين بهم إدارة أولاد محمد في تصريف شؤون المنطقة أسوة بالمرابطين، وينافسون المرابطين على النفوذ السياسي والاجتماعي محلياً وجهوياً، خاصة في الدور الأخير من عهد دولة أولاد محمد بفزان، حيث

بدأت الشرائح العليا من القوى الأخرى في براك كالعواشير، والرواقات، أبناء بن الفقيه، أولاد وافى، والأشراف يلعبون دوراً متزايداً في الحياة العامة، وتتشابك مصالح هذه الفئات في مواجهة الأوضاع القديمة، وقد وجد عمال السلطة الموفدون من مرزق فرصتهم في تنفيذ السياسة الجديدة التي تهدف إلى تقوية سلطة الحكومة المركزية، وأضعاف قوة ونفوذ القوى المحلية في الأقاليم للدرجة التي تجعل كل جماعة تجد قوتها ونفوذها من ارتباطها بالدولة وإخلاصها في خدمة السلطان، واستخدام سلطان الدولة في ضرب خصومها بحيث لا يسمح بقيام قيادة محلية قوية. وهكذا نلاحظ أنه من أولويات سياسات قائد بلدان الشاطىء محمد بن الحاج صالح الوليد هو ضرب نفوذ القاضي محمد الرشيد وعزله عن قاعدته الاجتماعية، تمهيداً لعزله من منصبه الشريف الذي كان شبه احتكار في أسرته، تم تحريض المتنفذين في براك على تفجير الصراع حول الماء في براك، وإثارة مدى أحقية القاضي، ومتولي الزاوية، والمفتي في غرز أو وجبات ماء إضافية، كما جرت العادة باعتبارهم يقدمون خدمة عامة، ثم منعهم من الاستفادة من هذا الامتياز على أساس أنه لاحق لهم في ذلك[47].

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى برزت مجموعة من الأشخاص من براك والزاوية وغيرهما على رأسها العالم عبدالله بن عبد الجليل العاشوري تقود حملة ضد القاضي محمد الرشيد بهدف التشكيك في أحكامه وكفاءته توطئة لعزله وتعيين شخص آخر مكانه. وقد نجحت هذه المجموعة التي كانت تحظى بتأييد القائد محمد بن الحاج صالح الوليد في التأثير على السلطان محمد الطاهر بن السلطان محمد المنصور (1790 ـ 1804) بإيقاف القاضي وإبطال حكمه على مجموعة من الأشخاص بمقتضى

(47) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 82.

رسائل رسمية صادرة عن السلطان[48] واعتبر السلطان، طبقاً لهذه الرسائل حكم القاضي على هؤلاء باطلاً، ولهم حرية التقاضي أمام قاضي سبها أو مرزق. بيد أن القاضي محمد الرشيد قام بحملة مضادة، يقصد تبرئة نفسه فحصل على توقيعات شخصيات مهمة في الشاطىء تؤكد صدقه واستقامته[49]. وقد نظر السلطان في الأمر من جديد، واكتشف بأن قراره القاضي بإسقاط حكم القاضي الرشيد على أي شخص إجراء غير سليم، وفيه إهانة للقضاء والشريعة، فأبطله وأعاد للقاضي كافة الصلاحيات التي تخوله أداء مهمته على خير وجه، بما في ذلك حق إصدار حكم الإعدام[50]. بيد أن الصراع الحقيقي على السلطة، والنفوذ السياسي، الذي استهدف أضعاف قوة المرابطين جملة، تركز على غرز الماء المنفل بها القاضي، ومتولى الزاوية والمدرس الذي يتولى تدريس العلوم الشرعية بالزاوية. وينتمي القاضي محمد الرشيد، كما هو معروف، وكذلك متولي الزاوية علي بن محمد، إلى قبيلة المرابطين، أما المدرس فقد كان الشيخ عبدالله بن عبد الجليل العاشوري، والأخير كان ينافس القاضي محمد الرشيد ويقود حملة ضارية ضده، وكثيراً ما أفتى بما يناقض الأحكام التي يصدرها القاضي. وكان قائد المنطقة محمد بن الحاج صالح الوليد يستعين بهذه الفتاوى للتدخل في شؤون القضاء وتهديد القاضي الرشيد وإجباره بالتراجع على بعض الأحكام التي أصدرها ضد بعض الفئات الاجتماعية بآقار[51] هذه الفئات التي أراد القائد المذكور إدخالها في الصراع كقوة مناوئة للمرابطين. وقد أثار تدخل رجال الإدارة في شؤون

(48) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 15، 38، 52، 87.

(49) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 49.

(50) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 23، 38.

(51) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 23، 38.

القاضي ردود فعل واسعة النطاق في المنطقة الأمر الذي جعل السلطان يتدخل شخصياً، ويأمر عمال الإدارة بالتزام حدودهم وعدم التدخل في شؤون القاضي. بيد أن حملة القائد ضد القاضي ومتولي الزاوية ومنعهما من سقي مزروعاتهما بغرز الماء المنفلين بها شملت العالم عبدالله بن عبد الجليل. وهكذا وجد الأخير نفسه ينسى خلافاته مع القاضي ويوحدان جهودهما في مواجهة القائد وصنائعه في براك[52] ويقودان حملة واسعة استخداما فيها كل خبرتهما العلمية والقانونية من أجل الإبقاء على غرز الماء المخصصة لمنصب القاضي، والمفتي، ولري أوقاف الزاوية بما في ذلك الحصول على فتاوى شرعية من علماء خارج قطر فزان تؤكد على وجوب استمرار هذه الغرز لما فيها من مصلحة عامة[53]، باعتبار أن القاضي، والمفتي، والزاوية يقدمون خدمة عامة لكافة الناس.

وقد وقع في يدنا أكثر من عشر وثائق بين رسائل وتقارير رسمية وشهادات أهلية وفتاوى شرعية تتعلق بهذا الموضوع، وقد تم النظر في القضية أمام قاضي مرزق الذي حكم لصالح المنتفعين بهذه الوجبات المائية الإضافية لسقي مزروعاتهم. وقد استند القاضي في حكمه الذي صدق عليه السلطان على تلك الوثائق المشار إليها وأهمها الفتوى الشرعية[54].

وبالرغم من فشل تحالف القوى المناهضة للقاضي في إزاحته من منصبه أو ضربه في مصالحه الاقتصادية والزراعية، كرمز لقوة المرابطين، إلا أن هذه القوى التي بدأت تعزز مواقعها في الإدارة الحكومية لأولاد محمد في أواخر عهدها أصبحت تحتل مناصب تنفيذية مؤثرة مثل منصب

(52) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 53.

(53) نفس المصدر، وثائق القاضي، وثيقة رقم 82.

(54) نفس المصدر، وثائق الأجواد، وثيقة رقم 26، والقاضي وثائق رقم 34، 36، 37، 41.

قائد بلدان الشاطىء الذي شغله محمد بن الفقيه والذي جعل نفسه خصماً مناوئاً للقاضي محمد الرشيد وللمرابط علي بن محمد، رئيس أو نقيب المرابطين بأقار[55]، وأصبحت بالتالي هذه القوى الاجتماعية الجديدة، غير المرابطين، هي القوة السياسية الجديدة المؤثرة في بلدان الشاطىء[56]. ولعل وفاة القاضي محمد الرشيد عام 1220هـ الموافق 1805م، وتولى القاضي عبد الكريم من أولاد وافى ببراك مكانه، تعتبر بداية النهاية لنفوذ المرابطين بالشاطىء، وظهور دور أولاد وافى الذين تصدروا العمل السياسي، وقدموا خدماتهم منذ ذلك الوقت للإدارات المتعاقبة على حكم الشاطىء وفزان حتى نهاية عقد الستينات من هذا القرن.

(55) انظر نص الفتوى الشرعية، وثائق الأجواد، وثيقة رقم 26.

(56) نفس المصدر، وثائق الجراري، وثيقة رقم 25. وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة غاضبة أرسلها علي بن محمد إلى محمد بن الفقيه بعد أن أصبح قائد بلدان الشاطىء ويتهمه بمحاباة بعض الأفراد، وبالفساد الإداري، ومعاداة المرابطين وحلفائهم ممن لا يسيرون في ركابه.

الغدامسيون
هم فينيقيو الصحراء

‹د. محمد مصطفى الشركسي›

المقدمة:

«الفينيقيون قوم ساميون أصلاً إلى حد أن عدداً غير قليل من المؤرخين العرب يعتبرونهم عرباً، ومنذ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد امتد نفوذ الفينقيين البحري غرباً حتى شمل الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط وهاجر فريق كبير من أبناء صور إلى الشمال الأفريقي وأسسوا قرطاجة في عام 814 ق. م، كما أسسوا مراكز ومحطات تجارية كبيرة على طول معظم الساحل الشمالي الأفريقي الواقع على طريقهم»[1].

وكان الفينيقيون أول من أسس صبراتة

(1) الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي ـ التاريخ الليبي القديم، منشورات الجامعة الليبية، بيروت 1971م صفحة 299/ 301.

بعد فترة قصيرة من تأسيس لبدة التي أنشأت في بداية الألف سنة قبل الميلاد، وكانت صبراتة تحتفظ من الناحية التجارية بالوقع الأكثر ملاءمة حيث كانت المنفذ الطبيعي لأحد طرق القوافل التي تأتي عن طريق غدامس من المناطق الجنوبية الغنية وينسب إلى الفينقيين كذلك تأسيس أويا (Oea) حوالي القرن السادس أو السابع ق.م.[2]

وبينما كان الفينيقيون يملكون السفن ويعبرون البحار، وكانت لديهم محطات على سواحل البحر الأبيض لتوسيع نفوذهم التجاري في دواخل بلدان أفريقيا، كانت الصحراء بالنسبة للغدامسيين مثل البحار بالنسبة للفينيقيين وكانت الأحصنة ثم الجمال(بعدد القرن الأول الميلادي) هي سفنهم.

وكتب مارك فورنيل (Marc Fournel) مشيراً إلى الغدامسيين ما يلي: «ونظراً لميولهم إلى الأعمال التجارية يجعلنا نفترض بأنهم من أصل فينيقي وكانت مراكزهم التجارية توجد على حافة الصحراء في الواحات والمدن بأفريقيا الوسطى في كانو في كاتشينا في السودان وتمبكتو وفي غات وعين صلاح وفي طرابلس وتونس والجزائر»[3].

ويتضح حسب المؤرخ الروماني بلينيو (Plinio) بأن (Cidamus) (غدامس) كانت خاضعة لحكم الجرمانتيين وكانت من أهم المراكز التجارية لهم، كما يعتقد بلينيو بأن الأصنام الموجودة بغدامس تابعة للحضارة الجومانتية[4].

ويؤكد البرغوش ذلك حيث كتب: «لقد استقر الجرمنتيون في

---

(2) Antonio Merighi, La Tripolitania Antica, Airoldi Editore, 1940, Vol. I, PP. 15 - 27.

(3) Marc Fournel, La Tripolitaire, Librairie Coloniale, Paris, 887.

(4) انتونيو ميريجي (Antonio Merighi) نفس المصدر صفحة 166.

المنطقة من غدامس وغيرها من الواحات في الغرب إلى الكفرة في الشرق وكانت الصحراء إلى الجنوب من مساكنهم تقوم بالنسبة لهم بمثابة الساحل للفينقيين والقرطاجيين فقد كانوا يقطعونها بعرباتهم ذات الخيول الأربعة ويقيمون الحصون على مصادر المياه».

«ولعل التجارة كانت أهم مرفق اقتصادي للجرمانتيين.. والطرق التجارية عبر الصحراء الليبية ليست اكتشافاً من إنجاز الجرمانتيين، فقد كانت فيها طرق ترجع إلى ما قبل التاريخ، وسنجد أنهم (الجرمانتيون) ظلوا يعتمدون على الخيل حتى في القرن الرابع الميلادي عندما شاع استخدام الجمل»[(5)].

وكتب فرانشيسكو كورو بأن التجارة الصحراوية مع مناطق أفريقيا الداخلية قديمة جداً فهي ترجع إلى أبعد القرون: فقد زاولها البونيقيون والرومان والبيزنطيون والعائلات العربية في القرون الوسطى، وفيما بعد زاولها القرمانليون والأتراك واستمرت تجارة القوافل الصحراوية حتى الاحتلال الإيطالي لليبيا[(6)].

فبعد نبذة تاريخية عن مدينة غدامس يتضمن هذا البحث جزئين: يتناول الجزء الأول (تحت عنوان الغدامسيون) معلومات عامة عن غدامس وطبائع الغدامسيين وميولهم في نطاق النشاط التجاري وازدهارهم، وذلك حسب آراء بعض المؤرخين والرحالة.

أما الجزء الثاني فيستعرض أسباب انحطاط غدامس وافتقارها.

---

(5) الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي، نفس المصدر الصفحات 314/ 319.

(6) Francesco Goro, Gli Annali dell'Africa Italiana, Roma, Dicembre 1941, P. 1236.

نبذة تاريخية عن مدينة غدامس:

تاريخ غدامس قديم جداً، فحسب ما جاء في مخطوط لمؤلف مجهول عاش فيما بين النصف الأخير من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (السادس عشر والسابع عشر الميلادي) أن تاريخ نشأة مدينة غدامس يرجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل البعثة النبوية(7).

وحسب معتقدات السكان يرجع تاريخ غدامس إلى عهد نيمرود ابن سام ونوح، فقد اكتشف أحد فرسان نيمرود العين (عين الفرس) حيث أخذت المياه تنبع بمجرد حك الأرض(8).

وتوجد قصة غدامسية بأن التارجي اكدامس (Ikdames) رئيس أهالي أولاد بني مازق هو الذي اكتشف العين وقام بتأسيس مدينة غدامس(9).

وكان للفينيقيين والإغريق الذين يحتلون المنطقة الساحلية الليبية روابط ونفوذ مع هذه المدينة، ومما يدل على ذلك هو المكتوب باللغة الإغريقية الذي عثر عليه الرحال الفرنسي دوفيرير (Duveyrier) على نقش ضئيل يمثل جواداً من النوع البونيقي، وفي الهضبة حيث يوجد فيها مكان التوارج توجد الأصنام التي كانت مقابر قديمة جداً ويعتقد دوفبرير الذي زار غدامس بأن هذه الأصنام تأتي بعد عهد الفراعنة المصريين وقبل العهد الروماني(10).

فبعد سقوط قرطاجة تحت الحكم الروماني وسعت روما احتلالها

---

(7) حبيب وداعة الحسناوي - حملة رمضان باي على غدامس سنة 1018هـ 1609 كما يصورها مخطوط عن غدامس، مجلة البحوث التاريخية يناير 1979 صفحة 79.

(8) Ilo Perugini, Gadames - Monografia del Territorio, 1929, P. 63.

(9) Francesco Coro, Rivista delle Colonie Italiane, Agosto 1931, p. 614.

(10) نفس المصدر صفحة 63 Ilo Perugini

إلى غدامس ففي عام 19 ق. م تحول لوشيو كورنيليو بالبو (Lucio Cornelio Balbo) نائب القنصل الروماني - من طرابلس إلى غدامس، والمقابر الموجودة حول واحة غدامس تدل على الوجود الروماني في هذه المدينة حيث تم العثور فيها على مدافن جميع الفترات منذ العهد الوثني.

فقد عثر دوفيرير في إحدى الحدائق على قطعة من مخطوط روماني ترجع إلى عهد اليساندور سيفيريو (Alessandro Severio) (221 - 235) بعد الميلاد تذكر بأنه خلال تلك الفترة أن الفيلق الثالث الروماني الذي كان لديه حامية في لاميسا (Lambessa) بمنطقة كوستنتينا بالجزائر كان يمتلك كذلك فصيلة في غدامس وبعد سقوط الأمبراطورية الرومانية (الغربية) في القرن الخامس تعرضت ولاية طرابلس بما في ذلك واحة غدامس إلى غزو الفندال ثم إلى الاحتلال البيزنطي[11].

وخلال القرن السابع أثناء فترة خلافة عمر بن الخطاب ثم فتح غدامس من قبل عمر بن العاص (عام 22هـ 643م) ثم أعاد فتحها عقبة بن نافع (عام 661 بعد الميلاد) بمرافقة سيدي البدري أحد المرابطين المقدسين المدفون في غدامس[12].

وشهدت الفترة 686 - 703 بعد الميلاد أعمال التمرد ضد الفتح العربي من قبل البربر بقيادة الملكة كاحينا، وخلال فترة الفتح العربي اتخذت غدامس نوعاً من الاستقلال السياسي والإداري نظراً لبعدها وانعزالها عن المناطق الساحلية[13].

واحتفظت غدامس بهذه الاستقلالية خلال معظم مراحل القرون الوسطى وكانت تتمتع بنفوذ كبير في جميع أنحاء البلدان الأفريقية

(11) نفس المصدر صفحة 63 (Ilo Perugini)

(12) ايلوبيروجيني Ilo Perugini نفس المصدر صفحة 64/ 65.

(13) ايلوبيروجيني Ilo Perugini نفس المصدر صفحة 64/ 65.

الوسطى[14] وخلال القرن السادس عشر كذلك بينما كانت تركيا تتحكم في معظم أجزاء أفريقيا تمتعت غدامس بنوع من الاستقلال[15].

وتعرضت غدامس إلى حملات من قبل دايات تونس لحمل سكانها على دفع الأتاوات، فقد قام درويش باي (سنة 1000 هـ 1592/ 1593م) بعملية هجومية لإرغام السكان على دفع خمسة آلاف مثقال، وفي شهر رمضان سنة 1018هـ (ديسمبر 1609) جاءت حملة رمضان بك قائد القوات البرية التونسية، وبعد قتال مرير صالح أهل البلاد على أن يدفعوا خمسة آلاف مثقال[16].

وكان القرن التاسع عشر يتميز بالرحلات الاستكشافية من قبل (Richardson, Laing, Foureau, Duveyrier, Vatonne, Son) لاينج ريشاردسون، فاتون دوفيريو فورو) وغيرهم إلى غدامس[17].

وفي عام 1842، أعلنت فزان وغدامس اعترافهما بالسلطنة العثمانية الجديدة. التي ظهرت بعد انهيار الأسرة القرمانلية، وعين أحد المدراء كممثلٍ لتركيا[18] وفي عام 1864 تم تعيين قائمقام المدينة، وفي عام 1874 أرسلت هناك حامية تركية (الفرقة الأولى)[19] وفي عام 1911 خلال الحرب الليبية الإيطالية احتلت القوات الإيطالية مدينة غدامس ولكن تركت إيطاليا غدامس في عام 1915 نتيجة للتوسق من قبل الايطاليين. في فزان والجبل، وفي عام 1923 تم إعادة احتلال غدامس[20].

(14) Francesco Coro, Rivista delle Colonie Italiane, Agosto 1931, P. 615.

(15) Francesco Coro, Rivista delle Colonie Italiane, Agosto 1931, P. 615

(16) حبيب وداعة الحسناوي - مجلة البحوث - يناير 1979 صفحة 79 - 84.

(17) فرانشيسكو كورو - نفس المصدر المذكور صفحة 616.

(18) د. حبيب وداعة الحسناوي - مجلة البحوث التاريخية - يناير 1980 صفحة 31.

(19) ايلو بيروجيني، نفس المصدر صفحة 65.

(20) فرانشيسكو كورو، نفس المصدر صفحة 616.

الغدامسيون

نقدم في هذا الجزء كما أشرنا في المقدمة آراء بعض المؤرخيين والرحالة عن غدامس وأهلها مركزين بوجه خاص على ميولهم التجارية وازدهارهم الاقتصادي.

بلغ سكان غدامس في عام 1856 حسب ش هـ تيستا (Ch. Testa) عشرة آلاف نسمة، وتعتبر مدينة غدامس من أغنى المناطق في إيالة طرابلس وجميع سكانها يعملون في التجارة، والعديد من رجال القوافل الغدامسيون يملكون الملايين من الأموال ولم يعرفوا هم أنفسهم مقدار الثروات الهائلة التي توجد في حيازتهم، فهم لا زالوا يباشرون منذ مدة طويلة رحلاتهم من طرابلس إلى غدامس وإلى منطقة الآير (Air) والبورنو، والسودان وتمبكتو والخ.. وهم يشربون الشاي الذي يشترونه من طرابلس وتونس ويدخنون قليلاً ولكنهم يدغون نوعاً من القول الذي يتحصلون عليه من الجنوب ويتناولون رائحة من نوع المسك.

فالغدامسيون ماهرون في البيع والشراء فهم لا يشترون شيئاً قبل زيارة مختلف المحلات لمقارنة أسعار السلع على سبيل التوفير[21].

وحسب الرحالة والكاتب الفرنسي هينري دوفيرير (Henri Dubeyrier) الذي زار غدامس حوالي عام 1860 يشمل سكان غدامس أربع مجموعات: بني وازيت (Beni Ouasit) الذين يعتبرون من النبلاء فهم من البربر - بني أوليد (Beni Oulid) هم أيضاً بربر ونبلاء ومن سكان المدينة القدماء - أولاد بليل (Oulad Belil) يرجع أصلهم إلى مدينة سيناون القريبة العطرية (Les Atriya) خليط من السود المتحررين وأطفال من الدم المختلط الذين ولدوا نتيجة لروابط الغدامسيين مع نساء من الخدم.

(21) Ch. Testa, Regence de Tripoli de Barbarie, Le Haye, 1856, P. 19.

وأهم أحياء مدينة غدامس حسب رأي دوفيرير أيضاً هي: ابن دجورة (In Djoura) تاسكو (Tasko) تين جوزين (Tin Guezzi) تافرفار (Taferfar) العوينة (El Aouina) أو بني مازق أمامندي (Amaendy) ايدرار (Aydrar) دجيرايسان (Djer Essan) وأولاد بليل (OUlad Belil).

ويبلغ عدد السكان الذين يسكنون هذه الأحياء 7000 آلاف نسمة ويتغير عدد سكان مدينة غدامس حسب رحيل ووصول القوافل[22].

وجاء أيضاً في مؤلف دوفيري قيد البحث ما يلي: إن طباع سكان غدامس رزين، فهم يشعرون بالوضع الشاذ لمدينتهم في وسط صحراء غير منتجة تجبرهم في النظر إلى الحياة من الناحية الجدية ويحاولون تدبير أمورهم بالتعويض بالتجارة والصناعة لمواجهة الفقر والعزلة.

وتجدر الملاحظة لميولهم نحو التجارة الكبرى، وليس من النادر العثور في غدامس على ديار تجارية لديها فروع في كانو وفي كاتسينا (Datsena) بالسودان وفي تمبكتو بالنيجر وفي غات (Rhat) وفي عين صالح وفي وسط الصحراء وفي طرابلس وتونس[23].

وواصل دوفيرير كلامه على النحو الآتي: «إن ملامح مدينة غدامس تشهد على مستوى النمو الصناعي والتجاري لسكانها وعلى ازدهارهم وحسن أخلاقهم، كما أن منازل مدينة غدامس واسعة وذات التهوية الجيدة واللون الأبيض لحمايتها من الحر وأحياناً ذات طابقين»[24].

وكتب الفرنسي مارك فرزنيل (Marc Fournel) ما يلي: «يبلغ سكان مدينة غدامس عشرة آلاف نسمة معظمهم تقريباً من التجار، ونظراً لميولهم إلى النشاط التجاري يجعلنا نفترض بأنهم من أصل فينيقي، إن سكان

(22) Henry Duveyrier, Les Touareg gu Nord, Paris, 1864, P. 256 & 263.

(23) نفس المصدر صفحة 257/ 258.

(24) دوفيرير نفس المصدر صفحة 257/ 258.

غدامس لم يكتفوا بأعداد قوافل ولكن قاموا في نفس الوقت بافتتاح وكالات في جميع بلدان أفريقيا الوسطى وفي طرابلس وتونس والجزائر وحتى في نهاية السنين الأخيرة معظم تجارة أفريقيا مع ساحل البحر الأبيض أصبحت في أيديهم أن استقامتهم التجارية الكبيرة والروابط المتينة مع رؤساء التوارج جعلهم يحتكرون التجارة في الوقت الحالي»[25].

وكتب ب. جيرارد (B. Girard) ما يلي «توجد غدامس وواحاتها عند الحدود الغربية لولاية طرابلس الغرب، وترجع أهميتها إلى المبادرات التجارية لسكانها الذين هم من وسطاء المبادلات بين موانىء البحر الأبيض والأسواق الجنوبية السوداء، إن غدامس (Gidamus) الرومان القديمة هي الموقع الذي تنطلق منه القوافل التي تمر من محيط الرمال الصحراوية للوصول إلى النيجر».

وواصل الكاتب الفرنسي جيرارد كلامه على النحو الآتي: «يتكون سكان غدامس من عرب القبائل المتاخمة وبصورة رئيسية من البربر الذين يغطون وجوههم جزئياً عندما يقابلون الجمهور (ربما الكاتب يشير هنا إلى التوارق». إن سكان غدامس الناشطين يتعاملون في التجارة مع السودان ومعظم سكان أفريقيا حيث تبلغ معاملاتهم التجارية مع السودان حوالي مليونين من الفرنكات[26].

وقام الضابط ميرشير (Mircher) في عام 1862 برحلة استطلاعية حول مدينة غدامس بناء على طلب والي الجزائر العام، وجاء في تقرير ميرشير ما يلي: «.. لقد تمكن الإسلام من الانفتاح نحو السودان حيث

(25) Marc Fournel, La Tripolitaine, Librairie Coloniale, Challamel Aine Editeur, Paris, 1887, P.99.

(26) B. Girard, «Tripolitaine où Regence de Tripoli», Extrait du Bulletin de la Societé de Geographie Commerciale de Bordeaux, 1897, P.18.

أصبح دين الدولة في هذا البلد، إن هذا الاعتناق لدين الإسلام ساعد سكان غدامس في الاتجاه نحو طرق السودان حيث ميولهم التجارية ونشاطهم الكبير مكنهم من اكتساب نفوذ كبير في هذه البلدان السوداء التي أصبحت إسلامية، وبالفعل يمتلك أهالي غدامس - منذ القرن الخامس عشر - في تمبكتو منازل مخصصة لهم ويمتلكون كذلك أجمل منازل كانو التي تعتبر مدينة تجارية مزدهرة وتمكن العديد من الغدامسيين كذلك من التغلغل حتى نوفى (Nuffe) في النيجر)[27].

ويؤكد أحمد الفيتوري ذلك حيث كتب: «وقد برزت تمبكتو واحتلت أهمية كبرى في عهد الاسقاي محمد العظيم (1493 - 1549) ويبدو أن أفراد جالية أوجلة وغدامس وتوات كانوا ذوي مراكز اجتماعية وسياسية مرموقة.. والجالية الغدامسية بصفة خاصة احتلت أهمية كبيرة وذلك مرجعه إلى الأثر التجاري المهم والعريق الذي أسهم أفراد تلك الجالية، وكان أفراد الجالية الغدامسية من الكثرة بحيث أنهم شيدوا حياً خاصاً بهم في تمبكتو...»[28].

وتناول فرانشيسكو كورو نفس الموضوع حيث كتب: «أن الغدامسيين لديهم مقر دائم في الأماكن التي يزاولون فيها أعمالهم مثل تونس والجزائر وكانو وتمبكتو حيث توجد فيها أحياء تابعة لأهالي غدامس، ولكن لا أحد من الغدامسيين ينسى مدينته، فالمواطن الغدامسي يرجع في آخر الأمر، حتى بعد مدة طويلة إلى واحته وهذا الحب نحو موطنهم الصغير يجعل هؤلاء الناس من الظرفاء بالرغم من جميع عيوبهم[29].

(27) Micher, Mission de Ghadames, Rapports Officiels, Alger, 1863, P. 172.

(28) أحمد الفيتوري - الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية يوليو 1981 صفحة 249/ 250.

(29) Francesco Coro, «Rivista delle Colonie Italiane», Agosto 1931, P. 798.

وكتب الحشائش عن الغدامسيين: «هم أول من أحيا التجارة السودانية مع أهل تونس ودخلوا ممالك السودان وانتشروا في أصقاعه وتسلطوا على تجارته وربحوا الأرباح الباهظة».

ويذكر الحشائش أسماء التجار الذين يعيشون في أماكن مختلفة من أفريقيا السوداء وهذه الأماكن هي: برنو وتشاد ودامرقو وكنو ونوفى وادمار وزارية وتبكتو وسكتو وبوشي والوادي وكانم وغات، ثم يذكر التجار القاطنين بغدامس والغدامسية التجار بتونس[30].

ويتضح من هذا العرض بأن عدد التجار الغدامسيون القاطنين بغدامس قليل جداً بالنسبة للذين يقيمون في المناطق المختلفة من أفريقيا السوداء.

وانتقد بشير قاسم يوشع ما جاء في كتاب الحشائش بشأن الغدامسيين الذين يعيشون خارج بلادهم مؤكداً بأن هؤلاء التجار ليسوا مقيدين في تجارتهم ببلد واحد فكثير منهم يسافر إلى تونس وطرابلس وبلاد السودان دون أن يتخذوا مقراً دائماً لهم إلا القليل النادر فقط[31].

ومما يدل كذلك على ثراء الغدامسيين ما جاء في إحدى الوثائق بأن مجموع قسمة تركة أحد تجار مواطني غدامس في أواخر القرن التاسع عشر بلغ سبعة عشر ألفاً وأربعة وثمانين ريالاً سبيلية وخمس خرارب وثلثا[32].

---

(30) رحلة الحشائش إلى ليبيا - تأليف محمد بن عثمان الحشائش التونسي - تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي - بيروت 1965 صفحة 127.

(31) بشير قاسم يوشع - الغدامسيون في رحلة الحشائش - مجلة البحوث التاريخية يوليو 1983 صفحة 240.

(32) بشير قاسم يوشع - تقسيم تركة أحد مواطني غدامس في أواخر القرن التاسع عشر كما جاء في إحدى الوثائق، مجلة البحوث التاريخية يناير 1984 صفحة 182.

وحسب الرائد ايلر بيروجيني (Ilo Perugini) ينقسم سكان غدامس إلى ثلاث طوائف كبيرة:

ـ الأحرار: ينتمون إلى الجنس الأبيض الحر، فهم من النبلاء ويزاولون التجارة.

ـ الحمران: من أصل أجنبي متزوجون من نساء من العبيد المحليين ويتمتعون بنفس الحقوق وحريات الأحرار.

ـ العطارة والشواشين والعبيد هم من العبيد ثم استيرادهم من أفريقيا السوداء، فالعطارة يعيشون في غدامس منذ مدة طويلة ويمكن اعتبارهم من الأحرار والعبيد يعملون كخدم[33].

أما عن نشاط الغدامسيين جاء في كتاب ايلو بيروجيني ما يلي: «إن الغدامسيين لديهم طباع لطيفة وحسنة ويحترمون السلطة التي تحكم ولكنهم يكرسون أنفسهم في التجارة حيث لديهم ميول متميزة مثل أو أكثر من يهود الساحل، بالفعل لديهم مراسلون في السودان وفي نيجيريا وتونس وفي طرابلس، ففي غدامس يوجد تجار لديهم أموال تصل إلى آلاف الليرات ويبلغ سكان غدامس (2909) نسمة منهم (2176) مقيمون و (733) من المهاجرين».

وكتب فرانشيسكو كورو (Francesco Coro) الذي زار غدامس عام 1934 «حسب أقوال يوسف بن عيسى (من سكان جبل نفوسة) والذي عاش 6 سنوات في غدامس كسكرتير قائمقام المدنية، إن سكان غدامس هم من الانتهازيين، وحتى في الدين يجدون الوسيلة للحصول على الفوائد، فهم يسمون أنفسهم من المرابطين محبين للسلام وأعداء الحروب وكل ذلك خوفاً من فقدان تفوقهم الاقتصادي، وفي نطاق هذه السياسة

(33) Ilo Perugini, Gadames Monografia del Territorio. Timo - Litografia della Tripolitania, Anno 1929, PP. 69, 70, 81.

ظلت اتجاهاتهم عبر القرون مبنية على التسالم مع جميع الشعوب الذين تربطهم معهم علاقات تجارية.

«لذا هم ضد جميع الحروب ويعملون من أجل الصلح، ومن أجل ذلك يسعون دائماً إلى الحفاظ على علاقات طيبة مع الجميع حيث يشترون أحياناً بأسعار مرتفعة حتى العيش بسلام، وذلك بالأخص مع التوارق للحصول على حرية التنقل لقوافلهم التي تربط مدينتهم مع جميع مناطق أفريقيا»[34].

وواصل فرانشيسكو كورو تقريره عن غدامس على النحو الآتي: «وقال عنهم البكري بأنهم فاسقون وقال أبو الفيدة بأن ديانتهم هي الربح، وقال عنهم سيدي محمد بكائي أحد شرفاء تمبكتو بأنهم تنقصهم الاستقامة فهم بدون أخلاقية وأنانيون»[35].

وكتبت مجلة بوليتينو دي انفورمازيوني (Pollettine it Informazioni): وصلت بتاريخ 16/ 6/ 1914 إلى طرابلس قادمة من غدامس قافلة تتكون من 200 جمل و70 جمال منهم 40 من الطوارق و30 من الغدامسيين، وكان يرافق هذه القافلة التاجر عبد السلام بن حاج بشير الثني الذي يعتبر من أغنى عائلات مدينة غدامس».

فعبد السلام بن حاج بشير الثنى هو حفيد الحاج على الثني الذي قام بالسفر في شهر يونيو 1913 (شهور عديدة قبل الاحتلال الأول لغدامس من قبل إيطاليا) من غدامس إلى طرابلس في قافلة تتكون من أكثر من 100 جمل[36].

---

(34) Francesco Coro, «Come vidi Cadames nella rioccupazione del 1924», Rivista delle Colonie Italiane, Octobre, 1931, P. 796.

(35) Francesco Coro, «Come vidi Cadames nella rioccupazione del 1924», Rivista delle Colonie Italiane, Octobre, 1931, P. 796.

(36) Bolletino di Informazioni, Settembre 1914, PP. 666 - 667.

ويذكر انجيلو بيشيولي (Angelo Piccioli) في مقالة صدرت في عام 1934 بشأن الشيخ عبد السلام الثني على النحو الآتي «يعتبر الشيخ عبد السلام الثني أحد تجار غدامس النبلاء من أغنى الأشخاص في غدامس وهو أخ الشيخ أحمد الثني الذي تعرفنا به في طرابلس، ولاحظ الشيخ عبد السلام المذكور بأن سكان غدامس لديهم متاجر وفنادق في طرابلس وتونس والجزائر وفي الاسكندرية وفي تنبكتو وفي تشاد وفي الوادي وفي البوركو وفي التيبيستي[37].

إن عائلة الثني هي أحدى العائلات الغدامسية المشهورة التي ذكرها بشير قاسم يوشع في العديد من الوثائق التي يتضمنها كتابه «غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية.

أسباب انحطاط مدينة غدامس

السبب الرئيس:

كان البرتغاليون أول من قام بالاتجار بالرقيق الأسود عام 1442[38] ويعتبر الانجليز - الذين زاولوا هذه التجارة منذ القرن السادس عشر - من أكبر مناصري هذه المهنة، ويأتي بعدهم الفرنسيون والهولنديون، والدنماركيون، واستمرت فرنسا وانجلترا في ممارسة تجارة الرق خلال القرنين السابع والثامن عشر[39].

وأوقفت هاتان الدولتان خلال القرن التاسع عشر، هذه المتاجرة نتيجة لاحتلالهما معظم مناطق أفريقيا الشرقية والوسطى والغربية[40] - فقد

(37) Angelo Piccioli, La porta Kagica del Sahara, Seconda Edizione, 1934, P. 286.

(38) Encyclopedia Britannica, Vol. 20, 1963, P. 779.

(39) Hosea Jaffe, Dal Tribalisme al Socialismo, Edizioni Jaka Book, Milano, 1971, P. 130.

(40) نفس المصدر صفحة 130.

ألغت بريطانيا تجارة الرقيق في عام 1807 والولايات المتحدة في عام 1808، وهولندا في عام 1814[41].

«فقد أوقف السماسرة الأوروبيين هذه التجارة عندما أصبحت أقل ربحاً من العمل بأجر وتجارة العرب للرقيق هي اختراع أوروبي، فالتجار العرب والأفريقيون كانوا مجرد مساعدين للسماسرة الغربيين، وكانت معاملات العرب للرق تمثل جزءاً صغيراً بالنسبة للأوروبيين»[42].

وحرمت تجارة الرق في ليبيا على أثر أمر حاكم طرابلس في عام 1855 بناء على أوامر استلمها من القسطنطنية تمشياً مع قرار مؤتمر فينا لعام 1814[43].

وفي هذا الخصوص يمكن الاطلاع على الوثيقة رقم 29 في كتاب غدامس: تحتوي هذه الوثيقة على رسالة من محمد بن يوشع إلى عثمان بن يوشع أرسلت في عام (1271هـ (1853) حيث يعبر فيها عن قلقه بشأن خبر الغاء تجارة الرقيق[44].

ويعتبر إلغاء تجارة الرقيق السبب الرئيسي لانحطاط غدامس ويمكن مقارنة آثار هذا الحدث بالأزمة المالية التي أدت إلى انهيار حكم الأسرة القرمانلية بسبب ايقاف أعمال الغزو نهائياً في عام 1830 نتيجة لقراراي أكس لاشابيل (Aix la Chapelle) منذ عام 1818 والتدخل اللاحق لفرنسا وانجلترا لإجبار السلطات العثمانية بتطبيق هذا القرار[45].

---

(41) نفس المصدر صفحة 131.

(42) نفس المصدر صفحة 133.

(43) Ettore Rossi, Storia di Tripoli e della Tripolitania dalla Conouista Araba al 1911, Istituto Per l'Oriente, Roma 1968, P. 317.

(44) بشير قاسم يوشع ـ غدامس ـ وثائق تجارية تاريخية اجتماعية (1228 ـ 1310هـ) منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1982 صفحة 81.

(45) Ettore Rossi, Op. cit., P. 317.

وكانت تجارة الرقيق قبل منتصف القرن التاسع عشر تقدر بثلثي تجارة القوافل[46] ويتضح ذلك من هذا الجدول الذي يبين قيمة السلع الاستوائية التي صدرتها غدامس في عام 1767[47].

عدد ٢٠٠ من الرقيق	بقيمة ٨٠٠٠ زكيني
٧٠ قنطار من السنا	بقيمة ٥٢٥ زكيني
عدد ٨٠٠ رزمة من تبر الذهب	بقيمة ١٠٠٠ زكيني
كمية من ريش النعام	بقيمة ٢٠٠ زكيني
المجموع ٩٧٢٥ زكيني تساوي ٤١٣٣ استرليني	

بلغت قيمة صادرات غدامس لسلع تجارة القوافل، حسب الجدول المذكور 9725 زكيني التي تعادل 4133 جنيهاً استرلينياً منها 8000 زكيني تمثل صادرات الرقيق حيث تشكل هذه القيمة 80% من قيمة الصادرات المبينة في الجدول المذكور.

ويتضح من جدول آخر أن السلع التي استوردتها غدامس في عام 1767 أيضاً عن طريق ميناء طرابلس (وتتضمن هذه السلع ملابس قطنية والورق والأعمدة واللوحات النحاسية ومواد مصنعة مختلفة) بلغ مجموعها 7610 زكينات أي ما يعادل 3244 استرلينياً[48] وهذا يعني بأن الميزان التجاري لمدينة غدامس حقق في هذه السنة فائضاً بمقدار 2115 زكينياً.

وعلى أثر منع تجارة الرقيق أكد دوفيفيري الذي زار واحة غدامس

(46) مصطفى عبدالله بعيو ـ المختار في مراجع تاريخ ليبيا ـ ليبيا ـ تونس 1975.

(47) John E. Labers, Department of History, Bayero University, Kano, Nigeria, August 1979, Appendix VI.

(48) John E. Lavers, Op. cit.

في عام 1860 بأن هذه الواحة ستصبح مدينة لا يمكن السكن فيها[49] ويشاطر الكاتب مينوتيلي هذا الرأي حيث كتب (في بداية القرن العشرين) بأن تجارة منطقة فزان وجميع الواحات التي توجد بين السودان والبحر الأبيض أخذت في الانهيار بسبب منع تجارة الرقيق[50].

وكتب ايدموند بيرنيت الذي زار غدامس في عام 1911 «عن طريق غدامس كانت تمر القوافل الكبيرة المحملة بالعبيد لإرسالهم إلى الأسواق الشرقية قبل أن يقوم الباب العالي بمنع هذه التجارة.. وعن طريق غدامس كذلك كان يمر جزء كبير من تجارة السودان حيث كان يصل منها القوافل الكبيرة المليئة بالجلود وتبر الذهب ومقابل ذلك كانت تتجه نحو الجنوب المنتوجات المصنوعة ولكن أهمية غدامس انخفضت بسبب نهاية تجارة الرقيق.. وهكذا أخذت الواحات في الاختفاء بسبب اقتحام الصحراء مما أدى إلى هجرة العرب من تلك الواحات وحتى في الوقت الحالي العديد من القوافل تمر من غدامس ولكن تعتبر لا شيء بالنسبة للمبادلات القديمة»[51].

ويؤكد كذلك فرانسيسكو كورو تفوق تجارة الرق على جميع السلع الأخرى حيث جاء في تقريره ما يلي: «.. ولكن السبب الرئيسي لانهيار تجارة غدامس، يكمن في منع تجارة الرقيق، فقد كانت هذه الواحة أهم مركز لتجميع العبيد القادمين من أوساط أفريقيا والذين يرسلون إلى أسواق طرابلس وتونس، ومن هذه الأسواق يتم تصدير هذا الرقيق إلى تركيا وآسيا الصغرى وبلدان أخرى.. وبفضل تجارة الرقيق كانت تتدفق على غدامس عائلات كبيرة كانت تعيش في الرخاء، أما الآن مخازن كبيرة

(49) Henry Duveyrier, OP. cit., P. 265.

(50) F. Minutilli, La Tripolitania, Fratelli Bocca Editori, Torino 1902, P. 223.

(51) Edmond Bernet, En Tripolitaine - Voyage à Chadames, Paris, P. 134.

أصبحت خالية من البضائع وأنشئت هذه المخازن في الماضي كمقر مؤقت لايواء العبيد.. إن نهاية تجارة الرقيق سببت توقف ازدهار واحة غدامس»[52].

الأسباب الأخرى:

بعد أن استعرضنا السبب الرئيسي لانحطاط غدامس نتناول هنا الأسباب الأخرى التي أدت إلى انهيار تجارة القوافل التي تعتبر العامل الرئيسي للازدهار التي شاهدته هذه الواحة عبر القرون.

اعتبر الكاتب الإيطالي مينوتيلي ـ كما شاهدنا ـ منع تجارة الرقيق السبب الرئيسي لكساد تجارة القوافل، وبالنسبة للأسباب الأخرى لهذا الكساد كتب مينوتيلي «إن تبر الذهب والعاج والمطاط كانت بالنسبة للرقيق تمثل بضاعة من المرتبة الثانية، وتأثرت غدامس كذلك بسبب الضرائب التي فرضتها السلطات العثمانية منذ عام 1843 وبمنع المتاجرة مع الجزائر وتونس، وكانت الحكومة التركية تستلم من أهالي غدامس ضريبة سنوية قدرها 250 ألف ليرة، وبالرغم من ذلك فإن هذه الواحة لا زالت تحتفظ بالمرتبة الأولى في التجارة بين السودان والبحر الأبيض، ولكن يفتقر سوق غدامس إلى البضائع لأن التجارة هنا لا تهدف إلى الاستهلاك الداخلي وإنما للتصدير»[53].

وحسب وجهة نظر الكاتب والرحال الإيطالي فرانشيسكو كورو أن انحطاط التجارة الصحراوية للواحات الليبية يرجع إلى هذه الأسباب:

1 ـ التغييرات السياسية في بلدان أفريقيا السوداء.

---

(52) Francesco Coro, Rivista delle Colonie Italiane, Ottobre 1931, PP. 796 - 797.

(53) F. Minutilli, Op. cit., P. 224.

2 - افتتاح طرق جديدة ذات تكلفة أقل بين سواحل أفريقيا الشمالية والمناطق الواقعة في أفريقيا الاستوائية.

3 - الانخفاض في أسعار المنتوجات الأفريقية بسبب المنافسة العالمية.

4 - تدهور مبادرات تجار القوافل الليبيين بسبب المنافسة من قبل السماسرة اليهود والأوروبيين[54].

وتتضح الأسباب المذكورة، كذلك من خلال تقرير الرحالة الفرنسي ايدموند بيرنيت حيث جاء في التقرير ما يلي: «بينما اختفاء تجارة الرقيق عند منتصف القرن التاسع عشر تعتبر الضربة الحاسمة الأولى في انحطاط تجارة القوافل فقد انهارت تجارة القوافل الصحراوية نهائياً في القرن العشرين بسبب تدفق الأوروبيين نحو الجنوب والشرق وقاموا بتخفيض أسعار البضائع التي يبيعونها للسودانيين منافسين بذلك التجار العرب»[55].

وواصل ايدموند بيرنيت تقريره على النحو الآتي: «إن الأوروبيين - بفضل الشركات التي أسسوها - في إمكانهم بيع منتوجاتهم بأسعار منخفضة بالنسبة لأسعار العرب، ومن ناحية أخرى أن السكك الحديدية ستقوم بربط الأماكن التي توجد في وسط السودان مع موانىء أفريقيا الغربية، إن سهولة النقل تفيد العملاء الأوروبيين الذين سيقضون على تجارة القوافل الصحراوية وتلك العوامل بالإضافة «في المرتبة الأولى» إلى إلغاء تجارة الرقيق هي التي أدت إلى انهيار ازدهار واحة غدامس نهائياً»[56].

---

(54) Francesco Coro', «Un documento inedito sull'antico commercio carovaniero fra Tripoli e l'Uadai», Cli Annali dell'Africa Italiana, Dicembre, 1941, P. 1236.

(55) Edmond Bernet, op. cit., P. 141 - 142.

(56) ايدموند بيرنيت نفس المصدر صفحة 142 (Edmond Bernet).

ومما يدل على انهيار تجارة غدامس يسبب منافسة الأوروبيين هي الوثيقة رقم 20 التي تتضمن رسالة من كبار التجار الغدامسيين إلى «وكيل ولاية طرابلس» (1326 هـ 1908م) يعبر هؤلاء التجار في هذه الوثيقة عن مخاوفهم بسبب استيلاء الفرنسيين على تمبكتو والانجليز على كانو حيث انقطعت تجارة غدامس مع هذين البلدين على أثر هذا الاحتلال، ونتيجة لذلك أصبح أهالي غدامس من الفقراء بعد أن كانوا يتمتعون بثروات كبيرة، ويطلب مرسلي الرسالة النظر في حالتهم التي أصبحت سيئة وللتحقيق على المعاناة والمتاعب التي تواجههم بسبب هذه العوامل[57].

وجاء في تقرير الرائد ايلو بروجيني الذي حرره في عام 1929 ما يلي: «إن تجارة غدامس التي كانت مزدهرة بالأخص بفضل تجارة القوافل أخذت اليوم في الانهيار والسبب في ذلك يكمن في أن البضائع القادمة من أفريقيا الوسطى تصل إلى سواحل المحيط عن طريق الأنهار والسكك الحديدية بأكثر سهولة وتقتصر تجارة غدامس في الوقت الحالي إلى استيراد المواد الغذائية الأساسية في الحياة»[58].

ويحتوي كتاب غدامس المشار إليه لبشير قاسم على 150 وثيقة تتضمن رسائل بعثت من تجار غدامسيين - مقيمين في كانو وبرونو وتمبكتو ودرفور إلى عائلاتهم ووكلائهم في غدامس وطرابلس ورسائل أخرى أرسلها تجار غدامسيون يعيشون في غدامس نفسها، إلى وكلائهم من الغدامسيين المقيمين في البلدان المذكورة.

وتتناول معظم هذه الوثائق المعاملات والأحوال الاقتصادية التي تتعلق بغدامس وتلك البلدان خلال الفترة (1228 - 1310هـ) (1810 - 1892م)[59].

(57) أحمد سعيد الفيتوري - ليبيا وتجارة القوافل الإدارة العامة للآثار 1972 صفحة 53.

(58) Ilo Perugini, op. cit,. P. 91.

(59) بشير قاسم يوشع - غدامس وثائق تجارة تاريخية اجتماعية (1228 - 1310هـ) منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1982م.

وتستحق هذه الوثائق المزيد من العناية والتحليل، ولكن سنقتصر هذه المرة على تسليط الأضواء على الوثائق رقم 60، 62، 63، 67، 68 التي تتضمن رسائل تم إرسالها خلال 1398هـ/ 1880م من محمد الحبيب هيبة المقيم في غدامس إلى محمد بن محمد بامتيضا المقيم في كانو، يعبر مرسل هذه الرسائل عن مخاوفه بشأن تجارة ريش النعام التي أصبحت غير مربحة ويطلب من وكيله بإرسال الأبوطير (إحدى العملات التي كانت تتداول في غدامس) بدلاً من ريش النعام الذي انخفض سعره حيث (الذي يشتري في كانو بعشرة ينباع في طرابلس بخمسة أو ستة... ابعد واتركوا الريش البضاعة التي تخسر النصف... والريش لا تقربوه أبداً والنصح يجب لك مسلم».

وتناول مارك فورنيل (Marc Faurnel) هذا الموضوع بشأن كساد تجارة ريش النعام في نطاق تجارة القوافل الصحروية: «إن تجارة القوافل التي كانت ذات أهمية كبيرة أصبحت ضئيلة بسبب انخفاض سعر ريش النعام إلى العراقيل من قبل الطوارق إزاء مرور القوافل ويرجع انخفاض سعر ريش النعام إلى المنافسة من قبل المستعمرين الانجليز في رأس الرجاء الصالح حيث أخذوا في تأنّس النعام وبالفعل بينما كان رأس الرجاء الصالح يرسل في عام 1867 إلى لندن وباريس خمسة صناديق من ريش النعام أخذ الآن (عام 1887) في إرسال أكثر من ألف صندوق سنوياً ومنذ أن بدأ في تأنس النعام أخذ سعر ريش النعام في الانخفاض بصورة ملحوظة حيث أن سعر ريشة النعام التي كانت تباع في طرابلس في عام 1870 بسعر 75 فرنكاً للقطعة يمكن شراؤها الآن (1887) بخمس فرنكات»[60].

(60) Marc Fournel, op. cit., p. 103.

الخلاصة:

هكذا ـ كما شاهدنا ـ أخذ الازدهار الاقتصادي لمدينة غدامس في الزوال منذ منتصف القرن التاسع عشر لأسباب مختلفة يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1 ـ التقدم الحضاري للمجتمع الذي أدى إلى رفض تجارة الرقيق التي كانت تحقق أرباحاً ضخمة للتجار الغدامسيين.

2 ـ ركود تجارة بعض السلع مثل ريش النعام الذي كان يستعمل لأغراض الزينة خصوصاً من قبل السيدات الأوروبيات، وكان يستعمل كذلك في الكتابة.

3 ـ احتلال الانجليز والفرنسيين لأفريقيا الغربية والشرقية حيث أخذت هذه المناطق الواقعة في أفريقيا الوسطى بالاستغناء عن طريق القوافل التي تمر عبر فزان وغدامس.

4 ـ مزاحمة الأسواق الليبية من قبل التجار اليهود والأوروبيين الذين كانوا يبيعون سلعهم بأسعار منخفضة جداً بالنسبة لأسعار سلع التجار الغدامسيين.

أما زوال فينيقيا (غدامس البحار) فيعود إلى سيطرة الحضارة الأغريقية على المدن الفينيقية في آسيا والذي أدى في نهاية المطاف إلى استسلام فينيقيا تحت حكم الاسكندر الأكبر في عام 332 ق. م، ومن ناحية أخرى إلى خضوع المستعمرات الفينيقية غرب البحر الأبيض على أثر سقوط قرطاج الفينيقية تحت حكم الرومان في عام 146ق.م. والآن أخذت مدينتنا غدامس العزيزة في عهد الجماهير تزدهر في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفنية.

المصادر

- الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي - **التاريخ الليبي القديم**. منشورات الجامعة الليبية بيروت (١٩٧١).
- **مجلة البحوث التاريخية**: يناير ١٩٧٩، يناير ١٩٨٠، يوليو ١٩٨١، يوليو ١٩٨٣ يناير ١٩٠٤. منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي
- **رحلة الحشائش إلى ليبيا**: تأليف محمد بن عثمان التونسي تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي. بيروت ١٩٦٥.
- بشير قاسم يوشع: **غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية** (١٢٢١ - ١٣١٠هـ) منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ١٩٨٢.
- أحمد سعيد الفيتوري: **ليبيا وتجارة القوافل**، الإدارة العامة للآثار، ١٩٧٢.
- مصطفى عبدالله بعيو: **المختار في مراجع تاريخ ليبيا**. الدار العربية للكتاب ١٩٧٥.
- الدكتور أحمد صدقي الدجاني: **وثائق تاريخ ليبيا الحديث**. منشورات جامعة بنغازي ١٩٧٤.

- Edmond Bernet, En Tripolitaire - Voyage a Ghadames, Paris.
- Salvatore Bono, I Semsari Barbareschi, Torino, 1964, Edizione RAI Radiotelevisione Italiana.
- Fransesco Coro, Gli Armali dell'Africa Italiara, Roma, Dicemore, 1941.
- Fransesco Coro, Rivista delle Colonie Italiane, Agosto, 1991.
- Henry Duveyrier, Les Touareg du Nora, Paris, 1864.
- Marc Fournel, La Tripolitaine, Librairie Coliniale, Paris, 1887.
- B. Girard, «Tripolitaire our Regence de Tripoli», Extrait du Bulletin de la

Societe de Geographie Commerciale de Bordeaux, 1897.

- John E. Lavers, Publication of the «Department of History», Bayero University, Kano, Nigeria, August, 1979.
- Antonio Merighi, La Tripolitania Antica, Airoldi Editore, 1940, Vol. I.
- F. Minutilli, La Tripolitania, Fratelli Boock Editori, Torino, 1906.
- Mircher, Mission de Ghadames - Rapports Officiels, Alger, 1663.
- Ilo Perugini, La Porta Kagica del Sahara, Seconda Edzione, 1994.
- Ettore Rossi, di Tripoli e della Tripolitania, dalla Araba al 1911 Istituto per l'oriente, Roma, 1966.
- Ch. Testa Regence de Tripoli de Barbarie, Le Haye, 1656.

التحديث وتحطيم النمط التقليدي للحياة الاجتماعية بالواحة: مثال المجتمع الليبي

مصطفى عمر التير
أستاذ علم الاجتماع ـ جامعة الفاتح

1 ـ تمهيد

الواحة إحدى أقدم وأهم أنماط الاستقرار البشري في المجتمعات الصحراوية وتوضح البيانات الأثرية والتاريخية أن الإنسان طور منذ أمد بعيد نمطاً من الاستقرار البشري في الواحات المنتشرة في الصحارى. ولا تختلف الواحة الليبية في هذا عن غيرها من الواحات. لذلك وردت أسماء بعض الواحات الليبية ضمن أقدم البيانات التاريخية المتعلقة بتاريخ ليبيا القديم. ومع أن الواحات تتشابه في صفات كثيرة إلا أن بعضها مر بظروف خاصة تركت طابعاً من الحياة في هذه الواحات كتلك التي كانت محطات رئيسية لطرق القوافل، والتي احتضنت الإدارات الحكومية ولعبت دور العواصم الإقليمية.

لكن الواحة تاريخياً مكان منزو لوحده تقطنه جماعة متجانسة تعيش حياة البساطة والكفاف، وعلاقتها بالعالم الخارجي محدودة جداً. لذلك تطور في الواحة على مر العصور نسق من القيم التي تؤكد على التعاون والتكاتف والتضامن والوضوح. وتبلورت هذه القيم في شكل عادات وتقاليد تنظم جميع الأنشطة الرئيسة وخصوصاً تلك التي تربط الفرد بالجماعة. وهي عادات وتقاليد حافظت على خصائصها الرئيسة على مدى عصور طويلة.. وقد أكسبها تاريخها الطويل الشرعية وضمن لها السيادة وحصنها ضد المكونات الثقافية الغربية.

لم تكن ليبيا في يوم من الأيام بعيدة عن الأحداث العالمية. فبحكم موقعها المتوسط ولقربها من مراكز الحضارات القديمة لعبت دوراً في أغلب الأحداث الرئيسة التي كان حوض البحر المتوسط ظرفاً فيها. لذلك كانت الأرض الليبية إحدى ساحات الصراع في الصدامات التي حدثت بين الحضارات.

تمكن الليبيون من فرض سلطاتهم على أمم أخرى خلال فترات من التاريخ، وكذلك غزت شعوب مختلفة الأراضي الليبية وأقامت بها مدناً ونظماً وإدارات. إلا أن السيطرة الأجنبية لم تبتعد كثيراً في أغلب الحالات عن الشواطىء، ولم تصل إلى الواحات إلا في حالات نادرة ولفترات قصيرة. وحتى عندما تمكن الأجنبي في أوائل هذا القرن من فرض سيطرته السياسية على جميع الأراضي الليبية فإن تواجده في الواحة كان صورياً وفي أضيق الحدود. لذلك حافظت الواحة على ذلك النمط التقليدي للحياة الذي ساد على مر العصور، لكن هذا النمط التقليدي ذا التاريخ الطويل تعرض خلال الثلاثين سنة الأخيرة لرياح التحديث فهزته هزة قوية أحدثت خلال فترة زمنية قصيرة تغيرات اجتماعية على نطاق واسع شملت جميع مظاهر الحياة المادية والمعنوية. وهي رياح لم تأت

من خارج المجتمع الليبي بل كان مصدرها قرارات الحكومة المركزية المتمثلة في الإسراع بتحديث الحياة في هذا المجتمع واللحاق بركب المجتمعات التي قطعت مرحلة متقدمة على درب التحديث.

لا تختلف هذه القرارات عن مثيلاتها في الكثير من بلدان العالم الثالث التي تحررت من نير الاستعمار وطورت حكماً وطنياً. لكن التجربة الليبية في هذا المجال تميزت بخصائص فريدة أهمها ارتفاع هائل ومفاجيء للدخل القومي نتيجة اكتشاف وتصدير النفط، والعمل لتحقيق مبدأ المساواة بين المواطنين للتمتع بالإمكانات المتوفرة. ففي كثير من بلدان العالم الثالث تعثرت برامج التحديث بسبب تدني الإمكانات المادية. وفي كثير من هذه البلدان لا توزع الإمكانات بالتساوي فتحصل بعض المناطق مثل المدن الكبيرة أو العواصم على نصيب الأسد، وتترك المناطق النائية على حالها ليعيش سكانها بنفس الأسلوب الذي تعودوا عليه منذ القدم، إلا أن الذي حدث في هذا المجتمع هو العكس. شقت الطرق والمؤسسات التعليمية والصحية والإنتاجية في جميع المناطق بغض النظر عن قربها أو بعدها من الشواطيء أو المدن أو العاصمة.

وارتبط هذا البرنامج بالتوسع في مجالات العمل وتحديثها، وارتفاع لمعدلات دخل الفرد، وانتشار واسع لمعدات التكنولوجيا والسلع الاستهلاكية. كما صاحبت هذا النشاط برامج توجهت للنهوض بالمرأة وتغير دورها التقليدي فشجعت على الخروج إلى خارج المنزل لتشارك في مختلف الأنشطة من تعليم وتدريب وعمل ومشاركة سياسية.

إن مظاهر التحديث المادية يسهل رصدها وقياس درجة التغير في ضوئها، لكن التغير المادي للبيئة يتبعه عدة تغييرات أخرى مادية وغير مادية مثل تبدل القيم والمعايير وتطوير اتجاهات ومواقف وأساليب جديدة للتعامل مع مشكلات الحياة اليومية.

ومؤشرات التغير الاجتماعي ذات الطبيعة المادية أصبحت واضحة للعيان في مختلف جوانب الحياة وفي جميع أرجاء المجتمع الليبي بما في ذلك الواحة. كما أن مؤشرات التحديث التي تطال القيم والمعايير وأساليب التفكير أصبح بعضها واضحاً، لكن سرعة التغيير في هذا الجانب عادة أبطأ وتحتاج إلى وقت أطول، كما أن طبيعة واتجاهات التغيير قد تفاجىء المخططين والراصدين.

وبالنظر إلى حجم ما تم حتى الآن من تحديث للجوانب المادية لبيئة الواحة في المجتمع الليبي فإننا نتوقع أن الخصائص الاجتماعية في هذه البيئة ستتبدل جذرياً وستزول عما قريب أغلب تلك الصفات التي طبعت حياة سكان الواحة. وقد يكون من المفيد الإسراع في تسجيل هذه الصفات قبل فوات الأوان حتى يمكن تقديم أدلة ملموسة عندما يتحدث المرء في المستقبل عن أشياء اندثرت وعادات تبدلت وأساليب حياة تمت للماضي.

ولأن هذه الورقة استكشافية في طبيعتها، وهي مقدمة لدراسة تالية، ولندرة البيانات ذات العلاقة فقد اعتمدنا كثيراً على الخبرة الشخصية. ويتضح هذا في الجزئين الثاني بعنوان «الصورة الاجتماعية التقليدية للواحة»، والرابع بعنوان «التحديث والواحة». وهذا الجزء الأخير عبارة عن ملاحظات أولية وعدد من الفروض التي تأمل التأكد من أهميتها في دراسة أمبيريقية.

2 ـ الصورة الاجتماعية التقليدية:

الواحة جزء رئيسي في جغرافية وتاريخ المجتمع الليبي فهي موجودة خلال الفترة التي وردت فيها أقدم معلومات عن هذا البلد. فقد وردت ضمن كتابات هيريدوت أسماء ببعض الواحات المعروفة اليوم. كما تعرض الرحالة والمؤرخون العرب إلى ذكر عدد من الواحات الليبية كانت

محدودة من حيث عدد الواحات وكمية ونوعية المعلومات. فقد اقتصرت الكتابات القديمة على أسماء الواحات التي كانت مراكز إدارية، ومحطات لطرق القوافل. كما اهتم المؤرخون القدماء بذكر أخبار الزعماء والصدامات المسلحة. ونادراً ما كانوا يتطرقون إلى الجوانب الأخرى كالجغرافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

وقد ظلت المعلومات عن هذه الجوانب غائبة حتى بدأ بعض المغامرين والمغامرات[1] من أوربا برحلاتهم الاستكشافية بعيداً عن الساحل الليبي لقد اهتم هؤلاء بتسجيل ملاحظات يومية يشرحون فيها أنشطتهم وأعمالهم. فكان الواحد منهم يذكر جميع ما قام به من أعمال خلال اليوم مستعرضاً أسماء الأشخاص الذين تحدث معهم، أو اجتمع بهم، وطبيعة الحديث أو الاجتماع. كما يذكر أسماء الأماكن التي زارها من مزارع أو مبان أو خرائب. كما قدم بعض الرحالة وصفاً لبعض أنشطة السكان التي أثارت اختصاصه، وتفسيرات لمعاني تلك الأنشطة الخ... ثم اهتم المستعمرون الفرنسيون والإيطاليون بتكليف باحثين اعداد دراسات مفصلة عن أجزاء من ليبيا كانت بعض الواحات من بينها.

ولكن وعلى الرغم من التفصيل الذي يرد في كتابات الرحالة والباحثين المتخصصين من بعدهم فإن الجانب الاجتماعي أغفل، وتركز الاهتمام لوصف الحياة السياسية والاقتصادية والأوضاع الجغرافية. لذلك كانت مهمة إعداد صورة للحياة الاجتماعية التي كانت سائدة قديماً في الواحة ليست سهلة. فالإشارات إلى هذه الحياة ترد في الكتابات القديمة عرضاً مختصرة متضمنة في بيانات النشاطين السياسي والاقتصادي.

---

(1) يرد في أكثر من مصدر اسم سيدة هولندية تدعى الكسندرينا قامت بأبحاث في بعض الواحات ويبدو أنها قتلت في عام 1869 بالقرب من مرزق انظر عماد الدين غانم وآخرون، الصحراء، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، 1979، ص 296 ـ 299.

لكن هذه الإشارات أخذت تكثر كلما تأخر تاريخ تحريرها فهي موجودة بكميات أكبر في الكتابات المتأخرة. وعليه يمكن رسم صورة معقولة لهذا الجانب من حياة سكان الواحة كما كان عليه في مطلع هذا القرن باعتبار أنه بالإضافة إلى الأشياء المكتوبة يمكن الرجوع إلى عدد من الذين عاشوا تلك الفترة ولا يزالون على قيد الحياة. ويمكن للمرء أن يفترض أن الأوضاع التي كانت سائدة في مطلع هذا القرن لم تكن تختلف كثيراً عن الأوضاع التي كانت سائدة في مطلع هذا القرن لم تكن تختلف كثيراً عن الأوضاع في القرون السابقة، لأن سرعة التغير في الجانب الاجتماعي كانت بطيئة جداً. فالحياة الاجتماعية تتحكم فيها القيم والمعايير وهذه لا تتغير بسهولة اللهم إلا إذا حدثت ثورة اجتماعية عارمة. ويمكن القول أن مجتمع الواحة الليبية لم يتعرض لهزة طالت القيم والمعايير بشكل واسع منذ أن دخل السكان الإسلام وحتى بداية مرحلة التغير الاجتماعي التي يمر بها هذا المجتمع في الوقت الحاضر والتي نعرفها بمرحلة التحديث.

لعبت بعض الواحات الليبية دوراً متميزاً في التاريخ ونقصد بها تلك الواحات التي كانت المحطات الرئيسية على طرق المواصلات القديمة طرق القوافل مثل جرمة وغدامس ومرزق وغات وزويلة والجغبوب. فقد كانت القوافل تقطع الصحراء الليبية عن جميع الاتجاهات من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب وبالعكس. لقد ازدهرت الحياة في هذه الواحات فقد أتاحت الأموال الناتجة عن التبادل التجاري، والعمالة، والإيجارات، وشراء المنتوجات المحلية الفرصة لتنشيط دورة الحياة الاقتصادية. وشجعت هذه الأحوال الأفراد من الواحات الأخرى ومن مناطق خارج ليبيا إلى الانتقال والإقامة في هذه المراكز مما ساعد على نموها، وتنوع الأنشطة بها بالمقارنة مع ما كان سائداً في بقية الواحات

البعيدة عن طرق القوافل. وكان نتيجة اختلاط هذه المجموعات المختلفة في هذه المراكز أن تطورت ثقافات محلية لها خصوصية تميزها. ثم ما لبثت هذه الثقافات الفرعية أن أثرت في المناطق القريبة والبعيدة وطالت أقصى مراكز التجمع السكان الليبيي وحتى خارج ليبيا كما يظهر بوضوح في مجال الايقاعات الشعبية في الغناء والموسيقى(2).

لقد كانت القوافل تنقل البضائع الأوروبية والليبية إلى أقاليم وسط أفريقيا، وتجلب معها في طريق العودة مواد أفريقية وتمور الواحات إلى الموانىء ومدن الشمال للاستعمال ولإعادة التصدير إلى أوروبا. واهتمت أسر ليبية كثيرة بهذا النشاط فأصبحت أسر تجار. وقد تمكنت بعض هذه الأسر من تكوين ثروات طائلة (نسبياً).

لم تكن الثروة النتيجة الوحيدة لهذا النشاط، فقد دخل هؤلاء الأفراد في علاقات كثيرة مع سكان وسط أفريقيا، فقد تزوج بعض هؤلاء التجار من سيدات أفريقيات وكونوا أسراً. كما ساهم بعضهم في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية وآدابها والثقافة العربية.

ثم تغيرت الأحوال، وخفت حركة القوافل التي تعبر الأراضي الليبية وتتوقف في الواحات. ولقد أدى إلى هذا التغيير عوامل كثيرة منها انتشار الاستعمار الفرنسي والبريطاني لأجزاء في القارة. فقد عمد المستعمرون إلى تغيير طرق التجارة فاستخدموا الأنهار، ثم مددوا السكك الحديدية. كما اهتم المستعمرون الفرنسيون بربط الأجزاء التي استعمروها ببعضها، فسيروا طرقاً جديدة للقوافل لا تمر بالواحات الليبية.

فقدت تلك المراكز الصحراوية أهميتها التجارية فتدهورت الأحوال

---

(2) يطلق على الألحان الغنائية الشعبية في الشمال الليبي والجنوب التونسي اسم لحن فزاني أو مرزكاوي.

الاقتصادية، وأصبحت أجزاء كاملة من كل مركز مهجورة ومهملة[3] وبقيت دليلاً مادياً على حالة الازدهار التي عرفتها تلك المراكز في يوم من الأيام.

تشتهر الواحة إلى جانب ما تشتهر به من صفات بتوفر المياه، وهي إما أن تكون في شكل عيون جارية أو آبار غير عميقة. إلا أن الزراعة في الماضي كانت محدودة، فالحيازات صغيرة، ولم تستطع الواحة في الماضي أن توفر إمكانات الحياة لعدد كبير من السكان لذلك كان عدد سكان الواحات باستمرار صغير لا يتجاوز بضعة آلاف في أحسن الأحوال[4]. لا شك أن النخلة كانت ولا تزال أهم شجرة تنمو في الواحة ولذلك انتشرت بأعداد كبيرة. وطور السكان مع هذه الشجرة علاقة متميزة. وبذلك دخلت النخلة بمنتوجها وبأجزائها في جميع الأنشطة، وفي مختلف المجالات، فثمارها تؤكل، وعصيرها يشرب، ومن جذوعها وجريدها تبنى المنازل، والأكواخ، ومن سعفها تصنع الأحذية والسلال والأطباق والحبال. ومعدات منزلية متنوعة. وتقدم التمور للحيوانات كما يتغذى الجمل على النواة. لا يكاد يجد المرء شجرة أخرى يدخل معها الإنسان في هذه العلاقات الغنية المتشعبة مثل ما يدخل سكان الواحة مع النخلة. لذلك اعتنوا بغرسها ورعايتها بغض النظر عن درجة جودة تمورها.

كما يزرع سكان الواحة الحبوب والبرسيم والخضراوات، ويربون

---

(3) ظاهرة وجود المباني الحزبة لا يقتصر ظهورها على الواحات التي كانت محطات لطرق القوافل بل هي موجودة في واحات أخرى لم تكن مزدحمة أو مزدهرة ثم هجرها بعض سكانها. ويعود السبب في هذه الحالة الأخيرة إلى طبيعة مواد البناء التي لا تساعد المبنى على أن يعمر كثيراً. وعندما يتصدع يهجره أهله ويبنون مسكناً جديداً وهكذا. وقد سجل هذه الظاهرة عدد من الرحالة انظر مثلاً: غيرهاردرولفس، عبر أفريقيا، الجزء الأول، ترجمة عماد الدين غانم، سبها: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ص 165.

(4) لم يتجاوز سكان كل الواحات الليبية المائة ألف نسمة في إحصاء عام 1954.

بعض الحيوانات، والدجاج والطيور، والزراعة التقليدية زراعة يدوية باستثناء بعض المعدات البسيطة. وهي نشاط يشارك فيه جميع أفراد الأسرة، الكبار والصغار، والذكور والإناث. ولكن التقارير التي تعد من حين إلى آخر حول الزراعة في الواحة تؤكد على أن الإنتاج الأسري محدود ولا يكاد يفي باحتياجات الأسرة. وإذا اضطرت الأسرة إلى بيع بعض المحصول لتحصل على النقود لتوفير حاجات أخرى، فإن الكمية المباعة تستقطع من مخصصات الأسرة وليست كمية فائقة. لذلك كانت الأسرة مكتفية ذاتياً من حيث الغذاء ولكنه اكتفاء ذاتي متواضع من حيث الكمية والنوعية.

ولم تكن هذه الحالة تقتصر على سكان الواحة بل أن غالبية سكان البلاد كانوا في السابق يعيشون حياة صعبة فباستثناء نسبة صغيرة من التجار والموظفين فإن باقي السكان كان يعيش حياة الكفاف.

لقد عانت غالبية السكان من سوء التغذية وقد انعكس هذا بوضوح في وفيات الأطفال وفي الهزال وفي متوسط العمر. لقد كان المستوى الصحي لسكان بعض الواحات متدنياً ليس بسبب الفقر فقط بل لوجود بعض الأوبئة في تلك المناطق التي انتشر فيها بعوض الملاريا[5]. كما انتشرت بين السكان في السابق أمراض العيون وفقدان البصر لم يكن أمراً غريباً. وكان الناس يموتون لأتفه الأسباب لعدم وجود العناية الصحية. وقد ساعدت حالة انعدام الأدوية وانتشار الأمية والجهل إلى التجاء بالأفراد إلى الأضرحة والأحجبة والتمائم لمعالجة الأمراض. وإذا كانت هذه الوسائل الشعبية مفيدة إلى درجة في مجال الأمراض ـ النفسانية فإنها لم تكن مفيدة في مجال الأمراض العضوية.

(5) لقد عاشت بعوضة الملاريا في عدد كبير من الواحات. وقد نظمت الأجهزة المسؤولة عن الصحة وبالتعاون مع منظمة الصحة العالمية برنامج مكافحة بدأ في أوائل الستينيات. وثم القضاء نهائياً على هذه البعوضة في نهاية عام 1967.

تعرض بعض الرحالة إلى ذكر حالات تدخل أعراضها ضمن الأمراض النفسانية فإن المرء لا يتوقع انتشارها على مجال واسع بالمقارنة ببقية أجزاء البلاد. فالحياة في الواحة على الرغم من المعاناة فإنها لا تخلو من وجود المتغيرات التي تمكن الفرد من حياة متوازنة. وهي حياة تتميز بالبساطة والابتعاد عن التعقيد. فحرية التعبير متوفرة بدرجة عالية للجميع بغض النظر عن الجنس والسن. والقيود على العلاقات الاجتماعية بين الجنسين محدودة. واشتراك الصغار والكبار والذكور والإناث في حفلات السمر والرقص والغناء منظر مألوف. وقد تكون هذه الظروف قد قادت إلى ظواهر اجتماعية غير صحية أخرى ولكنها غير نفسانية. فقد ذكر بعض الرحالة إن مشاهدة طفلة لا يزيد عمرها عن اثنتي عشرة سنة ترضع صغيرا ليس بالشيء الغريب(6). فبقدر ما ساهمت سياسة عدم التشدد في التفريق بين الجنسين في غياب الكثير من مظاهر الكبت والحرمان والنفاق فإنها أدت إلى ارتفاع معدلات تلك المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الإنجاب المبكر والأطفال غير الشرعيين وكثرة الأطفال.

لقد ارتبطت بحالة تدني الإمكانات الاقتصادية للواحة ظاهرة الهجرة. فقد كان بعض سكان الواحات يهاجر إما إلى واحة أخرى تتوفر فيها فرص أفضل للحياة أو إلى المدن الساحلية. وكانت أغلبية المهاجرين تتجه إلى طرابلس وبنغازي حيث وفرت هاتان المدينتان فرص عمل لهؤلاء. وكان المهاجر من سكان الواحة، يشتغل ليل نهار ليوفر بعض المال ليرسله إلى أهله في الواحة أو ليرجع به عند عودته. لقد استمرت هجرة بعض هؤلاء طيلة العمر بينما رجع بعض من تقدمت بهم السن لقضاء ما تبقى من العمر في الأماكن التي رأى فيها النور أول مرة.

(6) غيرهارد رولفس، مصدر سابق، ص 153.

لم يلتفت الباحثون القدامى إلى هذه الظاهرة لذلك لا توجد معلومات مكتوبة عن حجمها وظروفها الخ. . . ولكن يبدو من الملاحظات العامة أن المهاجرين كانوا في غالبية الأحوال رجالاً في مقتبل العمر ولم يكونوا مصحوبين بأفراد أسرهم. ولما اشتهر به أهل الواحات من أمانة وحسن خلق فإن المهاجر لا يجد صعوبة تذكر في العثور على عمل. بالطبع كان هؤلاء من العمال غير المهرة وكانوا يقبلون القيام بأي عمل يدوي يكون متوفراً.

لا شك أن طبيعة الحياة في الواحة فرضت على الأفراد تطوير نمط من العلاقات الاجتماعية التي من شأنها أن تعكس الظروف العامة وتمكن الفرد من التكيف معها. وإذا كانت المكونات الثقافية (بالمعنى الاجتماعي) تنتسب إلى الثقافة العربية فإن انعزال الواحة وبعدها عن المراكز الحضارية الكبرى ساعد على تكوين ما يمكن أن يسمى بالثقافة المحلية أو الثقافة الأم. فالحاجة إلى التضامن مثلاً هي أقوى بين سكان الواحة وبالمقارنة بسكان المدن مثلاً. فالفرد في الواحة يحتاج باستمرار للتعاون والتكاثف مع الآخرين ليتمكن من القيام بمهامه وتوفير حاجاته. فهو متعاون مع أفراد الأسرة في الأنشطة اليومية المباشرة مثل توفير الغذاء. وهو متعاون مع بقية الأفراد للقيام بالأنشطة ذات الطابع الكبير كبناء منزل، أو استصلاح أرض، أو شق ترعة. أو حفر بئر، أو الاحتفال بمناسبة اجتماعية كحفلة الزواج وهكذا. تقسيمهم العمل الذي كان سائداً في الواحة من النوع البدائي والذي لا يعرف الحدود التي تتحكم فيها الخبرة والمعرفة. لذلك يتعاون الجميع عند بناء المنزل مثلاً والذي كان بسيطاً ولا يحتاج بناؤه إلى خبرات متميزة.

كانت مناسبات العمل معاً كثيرة ومتنوعة وكانت تظهر عند تنفيذ مهام كبيرة نسبياً كحفر بئر أو بناء مسكن، تظهر عند التعبير عن الفرح في

حفلات السمر الليلية، وفي المناسبات السارة من أعياد إلى حفلات الختان أو الأعراس أو عودة الغائب كما تظهر أيضاً في مناسبات الحزن عند الوفاة. ولأن الفرد سيحتاج إلى الآخرين فإنه لا يتأخر عندما يطلب منه الآخر مساعدته في عمل ما. فتأجير المجهود غير معروف وتحل محله عملية تبادل المجهود.

لقد ساهمت هذه الحالة ـ حالة الحاجة إلى التضامن وتأكيد قيم التكاثف والتعاون إلى ظهور قيم أخرى وسيادتها كالأمانة[7] والصدق والوضوح في القول والعمل ولسيادة هذه القيم ولصغر حجم المجتمع فإن الانحراف الاجتماعي شيء نادر. وأنماط السلوك المنحرف التي نعنيها هنا هي تلك الأنماط التي تتعارض ونسق القيم الذي يؤمن به ويتبناه أفراد المجتمع. وإذا كانت بعض أنماط السلوك المنحرف واضحة ولا تحتاج إلى شرح مثل السرقة مثلاً فإن أنماطاً أخرى قد تكون منحرفة في مكان وليست كذلك في مكان آخر أو في زمان آخر. وعندما قلنا: إن مظاهر الانحراف الاجتماعي في الواحة كانت نادرة الوقوع فإننا نقصد تلك الأفعال التي يصنفها مجتمع الواحة في ذلك الحين كذلك. فشرب اللاقبي مثلاً لم يكن من بين الأفعال المنحرفة خلال الفترة التي نتحدث عنها وهي الفترة السابقة لعقد الخمسينيات.

ولا يكتمل الحديث عن صورة الحياة التقليدية دون الإشارة إلى الأدوار التي كانت تلعبها بعض المؤسسات مثل المسجد والزاوية والمرابط. ودور كل منها يكاد يكون واحداً ليس في داخل المجتمع الليبي بل في داخل المجتمع العربي بصفة عامة. ومجتمع الواحة لا

(7) اثني عدد من الرحالة على أمانة سكان الواحة فيقول أحدهم: «وإنني أؤيد ريتشارد سون في رأيه عندما يقول ما من بيت له قفل أو درباس فأبناء فزان لا يسرقون مطلقاً»، غيرهارد رولفس، مصدر سابق، ص 156.

يختلف ولا يتميز في هذا الشأن عن بقية أجزاء المجتمع الكبير. فالمسجد موجود في كل واحة. وهو إلى جانب كونه مكان عبادة فقد عمل على استمرار المعرفة بالقراءة والكتابة وحفظ القرآن. ثم أن المرابط هو الآخر معلم من معالم التجمعات السكانية العربية خلال العصور الماضية. إذ لا يكاد يخلق تجمع سكاني من وجود مبنى يضم ضريحاً لشخص يعتقد أهل المنطقة بأنه ولي صالح وأن له خطوة خاصة.

لقد كان مجتمع الواحة خلال الفترة التي نتحدث عنها مجتمعاً أمياً. وكبقية أجزاء المجتمع الأمي العربي سادت فيه قصص وحكايات كثيرة يؤكد جميعها على مقدرة رفات الولي الصالح على تقديم خدمات للذين يلتجئون إليه طالبين مساعدته. وهي خدمات متنوعة تشتمل على الشفاء من مرض عضال، وتقريب يوم اللقاء مع عزيز غائب. ومعالجة حالات العقم، والفوز برفيق العمر وهكذا. كما يستعان باسم الولي الصالح لفض النزاعات وتسوية الخلافات بقيام أحد الطرفين المتنازعين بالزج باسم الولي عند تعدية القسم. إذ يخاف الشخص أن يقسم باسم الولي كاذباً لوجود اعتقاد عام مفاده أن القيام بمثل هذا الفعل سيجر على الشخص مصائب كثيرة. أي أن الولي سيقوم بمعاقبة من يحلف باسمه كاذباً.

ظهرت الزوايا الصوفية في المجتمع العربي منذ أمد بعيد وهي منتشرة في معظم قرى ومدن المجتمع الليبي خلال الفترة التي نتحدث عنها. وكثيراً ما تحتوي القرية أو المدينة على أكثر من زاوية صوفية وكذلك الأمر بالنسبة للواحة. والزاوية في العادة عبارة عن مبنى يتكون من فناء واسع وعدد من الحجرات التي تخصص لعدد من الأغراض كالنوم أو الصلاة أو المناسبات الاجتماعية. عندما يقدم الغريب إلى الواحة يتجه نحو المسجد ليشارك في الصلاة والتعرف على المصلين الذين تعودوا على استقبال الغرباء والترحيب بهم. ويسأل الغريب عادة

عما إذا كان بالواحة مبنى لزاوية معينة يكون هو من أتباعها أو على علاقة بها. فإذا كانت مثل هذه الزاوية موجودة فإنه يتجه صوبها ليقيم فيها. وفي العادة يرحب زعيم الطائفة الصوفية أو من يقوم مقامه بالغريب ويخطر بقية أعضاء الطائفة بحيث يتعاونون على القيام بواجب السهر على راحته والذي يشمل تقديم الوجبات الغذائية وقضاء حاجاته التي يمكن قضاؤها. وعادة تقام بمناسبة الزائر حفلة دينية أو أكثر. وبذلك تقدم الزاوية الخدمات التي يقدمها الفندق في المجتمع الحديث ولكن النزيل لا يطالب بتسديد فاتورة حساب أقامته عندما يحين موعد مغادرته.

3 ـ التحديث: الخصائص والمؤشرات:

يهتم عدد من المفكرين برصد خصائص الظواهر الاجتماعية[8]، ووصفها، وقياس مؤشراتها، وبين هؤلاء المؤرخين والفلاسفة والمتخصصين في مختلف فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية. والأحداث التي يمكن رصدها كثيرة ومتنوعة بعضها ذو طابع محلي والبعض الآخر له انعكاسات يمكن رصدها في أماكن بعيدة عن المجتمع التي ظهرت فيه أول مرة. ولكن وكما هو الحال خلال حقب التاريخ المختلفة فإن أحداثاً تقع تترك آثاراً أهم وأعمق من أحداث أخرى، لذلك تثير هذه الأحداث الهامة اهتمام المفكرين. وتحظى بعنايتهم، فيكثرون من الكتابة حولها، وبذلك تصبح هذه الأحداث معالم بارزة في تاريخ تطور البشرية، فيرجع إليها لتقاس الأحداث التالية في ضوئها، وتصبح بمثابة مصدر للمتغيرات المستقلة لعدد كبير من الأحداث والظواهر.

ولعل أهم حدثين خطياً بأكبر قدر من الاهتمام في التاريخ الحديث ما

---

(8) نعتمد في هذا الجزء على مقالنا الذي ظهر في مجلة المستقبل العربي العدد (128) 1990، بعنوان: تحديث المجتمع العربي: محاولة لتحديد إطار عام.

سميا بالثورتين الصناعية في بريطانيا والسياسية المتمثلة في الثورة الفرنسية. لذلك عندما طور علماء الاجتماع اصطلاح التحديث الذي شاع استعماله في أدبيات العلوم الاجتماعية خلال الفترة التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية اقترح بعضهم أن الظاهرة التي يعنيها هذا المصطلح هي التي بدأت تظهر نتيجة للثورتين المشار إليهما آنفاً. رحب بهذه الفكرة كثير من الباحثين الذين اندفعوا يتسابقون للتعرف على أهم التغييرات التي يمكن نسبتها إلى هاتين الثورتين. وما لبث هؤلاء أن طوروا قوائم تتضمن مظاهر التغير الاجتماعي التي يمكن أن يطلق عليها التحديث. وصارت محتويات هذه القوائم فيما بعد مؤشرات للتحديث تقاس في ضوئها درجة تحديث المجتمع ويتم التنبؤ بالمسارات التي سيتخذها التغير الاجتماعي. ولأن المجتمعات الغربية كانت السباقة في هذا المجال فإن عدداً من الباحثين رأوا أن التحديث يعني الأخذ بأساليب الحياة أو الحضارة الغربية. وكأن للتحديث نموذج واحد هو النموذج الغربي. ولذلك رأينا نظريات تفسير ظاهرة التحديث تطور في ضوء مؤشرات ترتبط بالصناعة، وأخرى ترتبط في مجال السياسة بنظام الحزبين وهكذا.

إن المجتمعات كالأفراد يقلدون بعضهم بعضاً، ولكن لكل مجتمع ثقافة ذات خصائص معينة يمكن أن تتفاعل مع عملية التقليد بحيث ينتج نموذج جديد. وهذا ما ندعي أنه حدث بالنسبة للمجتمع العربي بصفة عامة والليبي بصفة خاصة. لقد حدثت تغييرات هامة في هذا المجتمع وأصبحت بعض مظاهرها واضحة للعيان وبإمكان قياسها. ولكنها تغييرات لم تأت بفعل انتشار المصنع ولذلك فإن مؤشراتها لا ترتبط بالصناعة، ولا تتطابق تماماً مع تلك الموجودة في الغرب.

لا شك أن انتشار الصناعة على نطاق واسع أحدث تغييرات جذرية على النشاط الاقتصادي للإنسان، وإن هذا قاد إلى سلسلة من التغييرات

التي طالت جميع الأنشطة. فانتشار الصناعة أدى إلى تغييرات هامة في مجال أنشطة الأسرة والتي كانت خلال جميع مراحل الاستقرار البشري المديني أهم مكونات التركيب الاجتماعي. كانت الأسرة وحدة الإنتاج الرئيسية. يعمل أعضاؤها متكاتفين لتوفير حاجاتهم الأساسية. ويتحمل أعضاؤها مسؤولية الدفاع، والمحافظة على النظام، والتعليم الخ... لكن انتشار التصنيع على مستوى واسع، وما تبعه من تقليص دور الأسرة الاقتصادي ثم الاجتماعي. وبمرور الزمن فقدت الأسرة الكثير من أدوارها التقليدية. ولذلك فقدت الأسرة الممتدة تلك المكانة التي تبوأتها لعصور طويلة بالنسبة للانتماء وللولاء الاجتماعي والسياسي وصارت الأسرة النووية الصغيرة الحجم هي النموذج الشائع. واقتصر دورها على الإنجاب والمشاركة في عملية التنشئة الاجتماعية. وتخلت لمؤسساست أخرى عن مهام كانت تقوم بها في الماضي. بل أن تغييرات جوهرية طرأت على واجبات ومهام الأدوار في داخل الأسرة الصغيرة. فقد الأب الكثير من سلطاته التقليدية، واكتسب الأبناء حرية أكثر وخصوصاً في علاقاتهم ببقية أفراد الأسرة، أو في القيام بالمهام المنزلية.

لا نقلل من قيمة وأهمية ومدى التغيير الذي أحدثته الثورة الفرنسية خصوصاً بالنسبة للمبادىء التي جاءت بها وتحطم الصورة المقدسة للنظام الملكي والتشكيك في مبدأ الحق المطلق للحاكم. لكن الوصول إلى المستوى الذي وصلت البشرية الآن في مجال الحقوق السياسية لم يتم في يوم وليلة، ولم يأت عشية اندلاع الثورة الفرنسية. وإنما تم التوصل إلى هذا المستوى من الأفكار وتطبيقاتها عبر سلسلة طويلة من الصراعات والصدامات والتجارب التي وظفت فيها خبرات ومعارف مجتمعات مختلفة وحضارات سابقة. كذلك فإن الشكل الذي يظهر به النظام السياسي الغربي اليوم جاء نتيجة حلول توفيقية لإنهاء الصراع الداخلي بين فئات

وشرائح نفس المجتمع. فالاعتراف بحق المرأة مثلاً في المساواة السياسية لم يدخل في قوانين الكثير من بلدان أوروبا الغربية إلا حديثاً. وقد يعاد النظر فيه مرة أخرى. لذلك فإن النظام السياسي السائد اليوم في أوربا الغربية هو نظام جديد بالنسبة حتى لعدد من أقطار أوربا نفسها. والقول بأنه الشكل الوحيد الذي يناسب التحديث قول لا يخلو من التحين. بالطبع يمكن الدفاع عنه كنظام وبيان محاسنه والدعوة لنشره. لكن هذا تعبير عن موقف، والبحث العلمي ليس تعبيراً عن مواقف بقدر ما هو ملاحظة ما يجري على أرض الواقع ومحاولة تلخيص هذه الملاحظات، وصياغة استنتاجات منها. ثم أن الثقافات التي ساهمت بنصيب هام في تطوير الحضارة الإنسانية تشتمل على الكثير من المبادىء والقيم والأفكار والمثل التي لا تقل سحراً عن تلك التي نادت بها الثورة الفرنسية.

قد تكون زيادة درجة التمايز والتقسيم والتخصص في مجال العمل من بين مؤشرات التحديث. لكن التمايز يمكن أن يتسبب فيه أكثر من عامل، والتصنيع إحداها. ثم أن تأثير التمايز وزيادة التخصص وارتفاع درجة اعتماد الوظائف والمهام على بعضها وتأثير كل هذا في التركيب الاجتماعي قد يأخذ أكثر من مظهر. وبعض المظاهر التي رصدت في بعض المجتمعات قد لا تظهر في مجتمع آخر. فتفكك الأسرة الغربية، وضعف العلاقات بين أعضائها، وانخفاض عدد الأطفال قد لا يحدث في مجتمع آخر يسير على نهج التحديث. فلكل ثقافة خصوصيتها ولا شك أن هذه الخصوصية تلعب دوراً في تشكيل المركبات الثقافية التي ترد من ثقافات أخرى.

الدولة في المجتمعات التي توطدت فيها أركان المجتمع المدني عبارة عن مؤسسة من عدد كبير من المؤسسات التي تشارك في تشكيل الحياة بجوانبها المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وفي الكثير من هذه المجتمعات لا تتجاوز حصة الدولة مثلاً في مجال التوظيف

حصة مؤسسة أخرى متوسطة الحجم، وهكذا بالنسبة لبقية مجالات الأنشطة الرئيسة. لكن الدولة في مجتمعات العالم الثالث وخصوصاً حديثة الاستقلال السياسي تلعب دوراً متميزاً في دفع المجتمع الوجهة التي سيتجه إليها. فالدولة هي المالك الرئيسي للاقتصاد وللقرارات الهامة المتعلقة به وهي صاحب العمل الرئيسي وأحياناً الوحيد. وقد درجت مجتمعات العالم الثالث والمجتمع العربي بتفريعاته السياسية من بينها على وضع وتنفيذ مخططات خماسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومن خلال هذه المخططات تم توفير البنى التحتية الرئيسة من طرق وكسبارى ومساكن ومؤسسات تعليمية وصحية وترفيهية وغيرها. ومن خلال هذه المخططات بنيت المصانع واستصلحت الأراضي وبنيت القرى ووسعت المدن. كما نظمت الدولة في المجتمع العربي شكل المشاركة السياسية بحيث تتطابق مع أيديولوجية القيادة. وتدخلت الدولة في تنظيم الكثير من أنشطة الفرد اليومية بما في ذلك المتعلقة بالترفيه.

إن انتشار منتجات التكنولوجيا ظاهرة عالمية كما أن الاقبال على استعمالها هي الأخرى ظاهرة عالمية. وتختلف المجتمعات من حيث درجة انتشار هذه المعدات والأدوات والسلع الاستهلاكية بصفة عامة تبعاً لاختلاف الإمكانات الاقتصادية.

وفي ضوء ما تقدم يمكن اقتراح نموذج نظري يلخص التغييرات الاجتماعية التي حدثت أخيراً في الكثير من مجتمعات العالم الثالث بصفة عامة والمجتمع العربي بصفة خاصة وهي التغييرات الاجتماعية التي تطلق عليها اصطلاح التحديث.

فالتحديث في المجتمع العربي يفي:

1 - تطوير الدولة الوطنية التي تتولى مسؤولية وضع وتنفيذ برامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

2 - انتشار التحضر ونمو المدن وتنوع فرص العمل بها نتيجة تواجد دووابن الحكومة والنشاط التجاري والخدمات.

3 - انتشار التعليم واشتراك عناصر التراث مع عناصر العقلانية. لتكوين العقل ونمط التفكير.

4 - انتشار الأسرة النووية كوحدة سكنية حضرية، واستمرار أهمية الأسرة الممتدة كنسق قرابي يساهم في بناء شخصية الفرد وتحديد اتجاهاته، وتراجع مكانة الأسرة كوحدة إنتاجية.

5 - انتشار محدود للصناعة واستخدام واسع لمنتوجات التكنولوجيا.

6 - ارتفاع مستوى الطموح والتطلعات فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية وبالمقتنيات.

4 - التحديث والواحة

يتخيل المرء عندما يرد الحديث عن الواحة مكاناً منزوياً بعيداً في الصحراء. وهو مكان هادىء وليس فيه شيء من مظاهر المدنية الحديثة. ولذلك إذا وصل المرء بعد رحلة عذاب شاقة فإنه يجلس فيه مدة يخلد فيها للراحة وللتأمل. هذه هي الصورة التقليدية للواحة بغض النظر عن مكانها. وهي صورة كانت تنطبق على الواحة الليبية عندما كانت الطرق غير معبدة والسيارة غير متوفرة، والهواتف غير موجودة. وهي الواحة التي كانت موجودة خلال حقب التاريخ وحتى قبيل الخمسينيات من هذا العصر. فما الذي حدث في عقد الخمسينيات وجعلنا نفترض أن مرحلة جديدة بدأت عندئذ مرحلة تختلف عن بقية المراحل من حيث تغيير وجه الواحة بجوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

يدعي الكثيرون من الكتاب العرب والغربيين بأن تحديث أجزاء

المجتمع العربي بدأ باتصال الغرب بذلك الجزء. ولعل أهم الكتابات في هذا الشأن تلك التي ظهرت في مصر وحول مصر وربطت بين حملة نابليون وتحديث المجتمع المصري. فقد ظهرت في ثلاثينيات وأربعينيات هذا العصر كتابات كثيرة تؤرخ لتحديث مصر وذلك بربطه بالحملة الفرنسية على هذا الجزء من الوطن العربي. واهتم هؤلاء بإبراز الأدلة التي تؤيد هذه المقولة وأغلبها يتمحور حول الدور الذي لعبه الخبراء والفنيون الذين صاحبوا الحملة وتوجهوا نحو القيام ببحوث شملت جميع جوانب الحياة في مصر لبما في ذلك التاريخ القديم. وقد ظهرت كتابات في نفس الفترة تفند هذه المزاعم. ولا نرى داعياً للخوض هنا في هذا النقاش الذي كان يوماً ما حامياً والذي لا تزال آثاره تظهر من حين إلى آخر، وإنما نكتفي بهذه الإشارة العابرة لنذكر بأن الباحثين العرب وغير العرب الذين يكتبون حول تحديث المجتمع العربي ينطلقون من مسلمات وفرضيات مختلفة. لذلك عندما نقول بأن التحديث في هذا الجزء من الوطن العربي (ليبيا) بدأ مع مطلع العقد الخامس من هذا العصر فإننا نعبر عن وجهة نظر يمكن الاتفاق أو الاختلاف معها. ثم إننا لسنا من بين القائلين بأن مرحلة تحديث أجزاء الوطن العربي تبدأ بتاريخ اتصاله مع الغرب. فالغرب الذي جاء مستعمراً خرب أكثر مما بنى وهدم أكثر مما شيد. وسنحاول تقديم بعض الأدلة لما نقول مشيرين إلى حالة المجتمع الليبي.

لقد جاء الإيطاليون إلى ليبيا مع بداية العقد الثاني من هذا العصر. وقد عمل الإيطاليون على أحداث تغييرات كثيرة خصوصاً في الجانب المادي للحياة. فقد شقت الطرق المعبدة لأول مرة ودخلت السيارة أيضاً مبكراً، ومدت السكك الحديدية وكذلك خطوط الهاتف والكهرباء. كما شيدت المباني الحديثة في شكل مساكن ومدارس ومستشفيات وأسواق الخ... لكن الايطاليين جاءوا بهدف الاستيطان وليس للرفع من حياة

السكان الأصليين. لذلك تم توفير مظاهر الحياة الحديثة للمستوطن الايطالي وليس لجميع من كان موجوداً بالبلاد. لا بل أن القرى والشوارع والمدن التي وسعت واستحدثت والأراضي التي استصلحت تمت على حساب الليبيين الذين طردوا من أراضيهم وأبعدوا عن ديارهم.

بسط الإيطاليون سيطرتهم على كامل التراب الليبي بعد حرب طويلة استمرت في بعض أجزاء البلاد حتى بداية الثلاثينات. حرب خلفت مآسي لا تحصى ولا تعد ودماراً كبيراً طال النفوس والمشاعر. حرب أنتجت كراهية ورفضاً لدى الفريقين المتحاربين. وهي كراهية استمرت قوية طيلة فترة الاستعمار وظهرت في أشكال مختلفة أهمها ذلك الاحتقار الشديد من جانب الإيطاليين لسكان البلاد الأصليين ومعاملتهم بكل قسوة، ورفض من جانب الليبيين لنمط الحياة الغربية. ولذلك وعلى الرغم من أن علاقة الإيطاليين استمرت على مدى اثنين وثلاثين عاماً فإن نسبة الذين تشبهوا بهم حتى في أبسط المظاهر الخارجية مثل اللباس كانت بسيطة ولا تكاد تذكر ولا تتجاوز حدود المدينتين الرئيستين أو الموظفين في الدوائر الحكومية حيث كان اللباس الأوروبي شرطاً من شروط القيام بالوظيفة.

ويلاحظ أن الاتجاه نحو تغيير نمط الحياة وخصوصاً في مظاهرها المادية بدأ مع انسحاب الإيطاليين من البلاد. لقد كانت البداية متواضعة محسوبة بعدد الأفراد وبمقتنياتهم. ولكنها ما لبثت أن أخذت تقوى رويداً رويداً حتى أصبح النمط الحديث هو الشائع.

عندما ظهرت الدولة الليبية لأول مرة في مطلع الخمسينيات كانت الظروف الاقتصادية صعبة ومخلفات الحرب العالمية الثانية لا تزال موجودة. لكن الأجهزة الحكومية على بساطتها أولت عدداً من المجالات عناية خاصة. وأولاها كان التعليم. لم تستثن الواحة فوصلتها المدرسة بمدرسيها. لم تكن المدرسة في مبانيها حديثة ولم يكن المدرسون في

جميع الأحوال أكفاء. ولكن المهم أن التعليم الحديث أخذ ينتشر وبسرعة. فلقد أقبل المواطنون على تعليم أطفالهم ليعوضوا ما حرموا منه، ولاعتقادهم بأن التعليم سيكون السلم الذي يرتقون عليه إلى حياة أفضل.

لقد ساهم اكتشاف النفط في تذليل الصعاب عندما وصلت الدولة مرحلة وضع مخططات التحول الاقتصادي الاجتماعي. وهي المخططات التي رصدت لها أموال ضخمة، وتوجهت نحو توفير متطلبات الحياة الحديثة لكل المواطنين. ولذلك لم تستثن الواحة من الحصول على نصيبها من الطرق والكهرباء والهاتف والمياه الصحية والمباني الحديثة. ولم تراع الجدوى الاقتصادية من توفير هذه المتطلبات بل روعيت مبادىء أخرى مثل المساواة بين المواطنين وضرورة توفير الظروف التي من شأنها أن تجعل من الواحة بيئة مستقبلة للسكان بدلاً من أن تكون طاردة لهم.

لقد دخلت كما ذكرنا سابقاً مختلف مقومات المجتمع الحديث إلى الواحة. وساهم تحسن الوضع الاقتصادي وانفتاح البلاد على استيراد السلع الاستهلاكية إلى انتشار واسع لهذه السلع مثل السيارة والثلاجة والموقد وجهاز الإذاعة المرئية الخ... وتفيد البيانات المستقاة من دراسات أمبيريقية أن سكان الواحة لا يختلفون عن بقية السكان من حيث درجة تملكهم للسلع الحديثة ولا في درجة تطلعاتهم نحو التوسع في استخدام معدات التكنولوجيا[9].

وقد يجد الذي لا يعرف المجتمع الليبي عن قرب أن هذه النتيجة غريبة. فانتشار مظاهر الحياة الحديثة في الكثير من بلدان العالم يبرز

(9) مصطفى عمر التير، التنمية والتحديث: دراسة ميدانية في المجتمع الليبي، طرابلس: جامعة قاريونس ومعهد الإنماء العربي، 1980، ص 178 ـ 181.

فروقات واضحة بين الحضر والريف وبين القرية والمدينة. لكن الذي يتميز به المجتمع الليبي من حيث انتشار مظاهر التحديث هو أن الدولة حرصت على توفيرها حتى في تلك المناطق النائية أو التي كانت منزوية ومنكفئة على نفسها مثل الواحة الموجودة في عمق الصحراء. ثم أن برامج الإذاعتين المرئية والمسموعة تصل هي الأخرى حتى إلى سكان تلك المناطق التي كانت نائية. وقد عملت هذه البرامج وخصوصاً المرئية على التقريب بين المواطنين في كثير من الخصائص ومن بينها التطلع للحصول على السلع والمعدات الحديثة.

لا شك أن التباين بين أفراد المجتمع في الإمكانات الاقتصادية موجود. ولكن أسباب هذا التباين لا ترجع إلى درجة قرب أو بعد الفرد من العاصمة أو المركز. لذلك فإن المستوى الاقتصادي للأفراد في الواحة ليس بالضرورة أدنى من ذلك للذين يسكنون المدن الكبيرة. والعمل الحكومي هو المصدر الرئيسي لدخل غالبية الأفراد. فتحسن أوضاع الواحة الاقتصادية لا يرجع إلى تحسن الإنتاج الزراعي ولا لوجود صناعات بل هو بسبب الوظائف التي توفرها الدولة. كما تتوفر في الواحة جميع المؤسسات التي تتوفر للمواطنين في أماكن أخرى وتنظم الحياة السياسية بما في ذلك الخاصة بتحريض المرأة على الخروج إلى خارج المنزل ووالمساهمة في عمليات اتخاذ القرارات.

لقد مكنت سياسة المساواة في التعليم وفي العمل، الفتاة من الوصول إلى أعلى مستويات التعليم وإلى تقلد أعلى الوظائف. ولم يعد منظر المرأة الموظفة سواء في التدريس أو التمريض أو في الإدارة أمرُاً غريباً في الواحة. وقد ساهم هذا في مشاركة أوسع للفتاة في القرارات الخاصة بحياتها.

لقد تغيرت ظروف العمل في الواحة كما تغيرت درجة الوعي عند الذكور وعند الإناث. كما تغيرت علاقة الواحة بالعالم الخارجي وأصبح

بإمكان الفرد بالواحة الاتصال هاتفياً ليس مع جيرانه بل مع أطراف العالم المختلفة. كما ساهمت برامج الإذاعتين والأشرطة المنزلية في تعرف ساكن الواحة على ما يجري في خارجها. إن تغيير الظروف المادية للحياة يؤدي إلى تغيير في الجوانب غير المادية وخصوصاً تلك التي تتصل بالشخصية من معرفة واتجاهات وقيم ومعايير والتي تترجم عادة في تقاليد وأعراف وعادات تنظم السلوك وتؤطره. إن تحديث البيئة المادية قد يكون مطلباً عاماً أو مبدءاً يتبناه الذين يخططون للمجتمع. لكن مضمون التغيير في الشخصية والذي سيظهر في شكل أنماط أمر لا يستطيع أن يضمنه المخططون. وليس بالضرورة أن الأنماط السلوكية الجديدة ستكون أنماطاً منحرفة أو غير مفيدة، لكن بعض هذه الأنماط قد تتجه نحو تحطيم كل شيء قديم وكل شيء تقليدي بما في ذلك نسق القيم. وعلى الرغم من أن التطور العلمي والتكنولوجي يسير إلى الأمام[10] باستمرار فليس كل تغيير وخصوصاً في مجال القيم هو دائماً كذلك. فالقيم احتاجت إلى وقت طويل حتى تبلورت وأصبحت تورث من جيل إلى جيل. وبعض تلك القيم التي سادت الحياة الاجتماعية في الواحة وأعطتها خصوصيتها على مدى عصور طويلة لا بد وأنها اكتسبت تلك المكانة بعد تجارب طويلة ومشاركة أعداد كبيرة.

---

(10) مصطفى عمر التير «التنمية غير المتوازنة والمجتمع الاستهلاكي في كتاب أعمال ندوة الاستهلاك في الاقتصاد الليبي، بنغازي منشورات مركز البحوث الاقتصادية 1990 ص: 125 ـ 137.

واحة واو الكبير في التاريخ

إعداد: علي الصادق حسنين

قضى الله ـ جلت حكمته ـ أن تتحلى أرض بلادنا الواسعة بجواهر زبرجدية تتمثل في واحاتها الخضراء المتناثرة على طول الشريط الساحلي وفي أعماق البيداء والتي جعل فيها ـ سبحانه وتعالى ـ جنات من نخيل وأعناب وفجر فيها من العيون رزقاً للعباد. وقد حظيَ بعض هذه الواحات ـ عبر الأحقاب ـ باهتمام الرحالة والمستكشفين فاكتسبت وسواها شهرة وصيتا.

إن هذا البحث البسيط، الذي نبشت مادته أساساً فيما كتبه بعض المؤلفين الإيطاليين في العقود الفارطة، يهدف إلى تسليط الأضواء على ما شهدته واحة واو الكبير من خطير الأحداث وما تميزت به من طريف الأخبار.

تقع هذه الواحة في جنوب شرق فزان

عند تقاطع خط العرض (16 °25) شمالاً مع خط الطول (54 27 °16) شرقاً وتتألف من ثلاث واحات صغرى تسمى الزيتونة وزتاتة وعافية وتبعد عن مرزق نحو ثلاثمائة كيلومتر وعن واو الناموس نحو مائة وعشرين كيلومتراً. إنها تبدو كحوض دائري هائل مفصوم من الناحية الجنوبية تحيط به مرتفعات ينخفض مستواها فجأة فينفتح هو في تدرج على سهل مترامي الأطراف وينبسط بعده أديم الفيفاء كأنه يمّ ضارب إلى الصفرة. ويشرف على الواحة من الشمال مرتفع مخروطي تنتصب على سطحه قلعة قديمة مع أطلال بعض العمائر الأخرى.

وبالنسبة إلى مناخها يمكن القول بأن وقوعها في قلب الصحراء يجعلها من أشد المناطق حراً في الجماهيرية ومع ذلك فإن بوسع الإنسان أن يطيق العيش فيها نظراً إلى جفاف جوها وبفضل المرتفعات الصخرية التي تطوقها والتي تمتص حر الشمس نهاراً وتشعه ببطء ليلاً. ورغم تفاوت درجات الحرارة بين الرديفين فإن مناخ واو الكبير معتدل في الفترة ما بين شهري الحرث/نوفمبر والربيع/مارس. ويضفي صفاء جوها على قبة السماء شفّافية بلورية خارقة تسمح للبصر بأن يمتد - في الليالي المقمرة - إلى مسافة بعيدة على نحو ما يمكنه تقريباً في وضح النهار.

ومن شأن المرتفعات المحيطة أن تقي الواحة رياح الشمال التي من النادر هبوبها وذلك خلافاً لرياح الجنوب والجنوب الشرقي التي تسيطر على المنطقة وتسبغ عليها طابعاً صحراوياً واضحاً لا لبس فيه.

ويغلب هبوبها فيما بين أواخر شهر الربيع/مارس ومطلع شهر الصيف/يونيو ومن فوائد هذه الرياح أن تسهل انتقال غبار اللقاح بين النباتات. وأما الأمطار فنادراً ما تسقط شآبيبها. والتربة بواو الكبير خصيبة وطبقة المياه الجوفية بها وافرة وتقع على عمق يتراوح بين متر واحد وسبعة أمتار بحيث كان يتم استخراج الماء بطريقة بدائية من نحو

أربعين بئراً كما ينبع الماء سائغاً من ثلاث عيون وكان كافياً لسد حاجة البشر والدواب والبساتين.

ولصد الرياح الجارفة والرمال الزاحفة كانت تطوق الحقول بأسياج من جريد.

وأن النخلة ـ التي يصل طولها إلى نحو عشرين متراً ـ كانت تحتل المقام الأول بين أشجار الواحة تبعاً لأهميتها بالنسبة لحياة السكان فببلحها ورطبها وتمرها كانوا يقتاتون ومن جذعها وجريدها وسعفها وليفها كانوا يستفيدون وشتى الأدوات واللوازم يصنعون.

كان الجمل ضرورياً لحمل الأثقال ولتنقل الناس وعبورهم الفيافي كما كان الحمار دابة لازمة في رحاب الواحة حيث كان يستخدم كمركوب وفي أعمال الحراثة والدراس والنقل والجر وسيما في سحب الماء من الآبار. وباستثناء الصقور والغربان واليمام والثعالب الصحراوية (الفنّك) فإن واو الكبير ـ أسوة بغيرها من الواحات العامرة ـ كانت تعدم الحيوانات البرية الأخرى. ومن الزواحف كانت تكثر بها الثعابين والأورال التي تعيش على الجرذان والأفاعي.

هذا وفي غمرة التنافس الأوروبي على استكشاف القارة الأفريقية إبان القرن الميلادي المنصرم ظلت ليبيا محطاً ومنطلقاً لقوافي بعض الرحالة والرواد المغامرين الذين كانوا يتمتعون برعاية دولهم وبدعم مؤسساتها العلمية والاقتصادية. وأن المهام الموكولة إلى هؤلاء الموفدين ـ تحت لواء البحث العلمي ـ كانت تتجسد في تعرف ودراسة كل ما يتعلق بأقطار قارتنا السمراء وبشعوبها «الغافلة والغافية» وذلك توطئة للسبق إلى غزو أصلحها واستعمارها واستغلال خيراتها في إطار التوسع الاستعماري الأوربي الغربي وذلك نتيجة لاختراع الآلة واستخدامها في الأغراض

الصناعية والزراعية والعسكرية ولازدياد الحاجة من المواد الأولية فضلاً عن البحث عن أسواق جديدة لتصريف الفائض من المنتجات. وكم من مستكشف روى لنا التاريخ تعرضه لأعمال السلب والنهب أو الهلاك! ولذا كان من شأن مثل هذه الظروف المحفوفة بالمخاطر أن جعلت تقارير بعضهم - في نظر أحد الخبراء - تتسم بالسطحية والاستعجال.

ومن جهة أخرى كان الاستعمار في تصور بعض أقطابه وقتئذ كظاهرة استغلالية بحتة ولكن سرعان ما أدركوا خطورة هذه الحقيقة فتداركوا الأمر بإحياء صنعهم من خلال عنصر روحي وتطبيق سياسة جديدة ملائمة. ومنذ ذلك الحين أخذت دراسة حياة الشعوب الأفريقية تشكل موضوع سلسلة من البحوث العلمية في كل من المجال الأنتروبولوجي والأثنولوجي والأثنوغرافي وإذ حتمت الضرورة ذلك لم يكن بوسع دول الاستعمار أن تستغني عن سواعد الأفارقة في استغلال أرضهم الغنية بالموارد الطبيعية بل كان يتوقف نجاحها في هذا المضمار على مدى استمالتها لشعوب أفريقيا وإبداء شيء من العطف عليها.

ومن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن بعض غلاة الاستعمار كانوا يعتبرون سكان أفريقيا كافة أقواماً بدائيين ويرون ضرورة ألا يقصر مفهوم «الإنسان البدائي» على الزنوج وألا يستثنى منه سكان الشمال الأفريقي بحجة اتصالهم بالحضارة الإسلامية والمدنية الغربية. فإن كانت عبارة «أقوام بدائية» تعني تلكم الأقوام الأمية ذات النظام القبلي فلا مناص إذن - حسب رأيهم - من اعتبار سكان ليبيا في عداد هذه الأقوام ذاتها.

وإذ أعتذر لانحرافي قليلاً عن الموضوع الرئيسي أعود فأقول إن أول أوروبي وطئت قدماه أرض واو الكبير كان موريتز فون بويرمان (MORITZ Von BEURMANN)، الضابط البروسي الشاب بسلاح

المهندسين الذي كان خبيراً بالرصد الفلكي واشتهر بتجواله في ربوع السودان الشرقي. لقد عقد هذا الرحال اتفاقاً مع اللجنة الألمانية تعهد بموجبه بأن ينهض بمهمة البحث عن زميله ادوارد فوغل (EDWARD VOGEL) الذي سبق أن قتله سلطان واداي حين كان يقوم بأعمال استكشافية بالإقليم ذاته. سافر بويرمان في سنة 1861م. إلى بنغازي التي منها واصل رحلته إلى أوجلة وجالو. ثم نحا غرباً صوب مرزق عبر زلة وقام باستطلاعات ذات بال بالمنطقة الواقعة إلى الشرق من مرزق وتوغل من بعد حتى بلغ واحة واو الكبير في يوم 29/ 5/ 1862م. وبعد نحو شهر واحد استأنف ترحاله جنوباً إلى واداي حيث عانى شتى المتاعب والمحن وانتهى إلى المصير ذاته الذي لقيه فوغل من قبل.

كانت أغلب مسالك رحلة بويرمان ودروبها في نطاق أقاليم أفريقية لم يسبق استكشافها ومن ثمرات هذه الرحلة كان رصد وتعيين حدود جديدة لمواقع البلدان وإثراء رصيد خرائط المنطقة.

وقد عطل اغتياله عملية استخلاص كل النتائج المرجوة من تقاريره. أما بالنسبة لمسالك ودروب رحلته عبر ليبيا فكان من شأن الرسائل والتقارير التي بعث بها قبل هلاكه أن أغنت حصيلة المعلومات المتعلقة بالشق الشرقي من بلادنا.

هذا ومن المعروف أن قوات الغزو الإيطالي نزلت إلى شاطىء طرابلس يوم الأربعاء 11 شوال 1329 للهجرة الموافق للخامس من أكتوبر 1911م. وأن معاهدة لوزان المعقودة في 18/ 10/ 1912 بين تركيا وإيطاليا أجازت للأخيرة الحلول محل الأولى في حكم البلاد، غير أن المقاومة المستميتة التي اضطلع بها الأهلون قد حالت دون سيطرة الغزاة عليها سيطرة تامة طوال نحو عقدين من الزمان.

وإبان عمليات احتلال إقليم فزان وإعادة احتلاله اشتهرت واو الكبير - أسوة ببعض الواحات الليبية الأخرى - بكونها معقلاً لمجاهدين وشهدت من الأحداث والمآسي ما يضيق بي المقام عن سرده. ولا بد من القول بأن السنوسيين قد أسسوا بها مسجداً وزاوية ومخازن لمد أدوار المجاهدين بالمؤن والسلاح وأنهم كانوا يعوّلون على موقعها الجغرافي الملائم الذي كان يسمح - عند الضرورة - بالفرار منها بسلام، كما فعلوا قبيل وصول وحدات الجيش الإيطالي فهجروها هم وجميع السكان لاجئين إلى جهات أخرى في داخل البلاد وخارجها.

وحينما أسر الملازم الثاني الإيطالي أنريكو بيترانياني (ENRICO PETRAGNIANI) في معركة قارة سبها (بتاريخ 28/ 11/ 1914م). وأسر الضابط الفرنسي لوران لابيار (LAURENT LA PIERRE) في بواحة جانت في 27/ 3/ 1917م). سيقا إلى واو الكبير حيث تسنى لهما الوقوف على مجرى الحياة بهذه الواحة ورويا كثيراً من الأخبار المفيدة حول الواحة عينها وما كان يدور في ربوعها من أحداث آنذاك تحت أمرة القائد محمد العابد.

ومن الجدير بالملاحظة أنه في غياب القوات الإيطالية عن فزان تبعاً لقيام الحرب الكونية الأولى تمكن فصيل من الجنود الأتراك من النفوذ إلى الإقليم المذكور بغية مطاردة الأدوار السنوسية التي هزمها في معركة الأبيض على مسافة حوالي 30 كيلومتراً من سبها. ثم توجه ذاك الفصيل إلى مرزق فاستولى عليها وقضى فيها على محمد علي الأشهب، خال القائد السنوسي سالف الذكر، الذي عندما نمى إليه خبر ذلك لاذ بالانسحاب إلى الكفرة تاركاً بواو الكبير الضعفاء من السكان وبعض الأسرى الأوروبيين يعانون من نقص المؤن وكادرا - على حد قول لوران لابيار - يموتون جوعاً لو لم يتم نقلهم إلى الكفرة في أغسطس 1917م.

وفي 31/ 1/ 1931م. استعاد الإيطاليون واو الكبير وأحدثوا بها حامية لمراقبة منطقة الهروج التي كانت وقتئذ تحت سيطرة عشائر المغاربة ولم يسحبوا هذه الحامية إلا بعد استيلائهم على الكفرة فخلت واو الكبير من باقي أهلها ولم تمكث بها ـ حتى سنة 1937 ـ سوى أسرة واحدة. وقد حاولت الإدارة الإيطالية ـ بشتى الطرق ـ إقناع السكان بالعودة إلى ديارهم دون جدوى.

وفي عهد الحاكم العام مارشال الجو ايطالو بالبو وقع الاختيار على واو الكبير لتكون حقلاً لتجربة استصلاح زراعي وبشري معاً كانت الغاية منها:

ـ إعادة تعمير الواحة لاستقطاب سكانها الأصليين وتشجيعهم على العودة إليها.

ـ الاستفادة من قوة عاملة مجانية تمثلت في السجناء المحكوم عليهم بالسجن المؤبد أو لمدد طويلة وإعطاؤهم فرصة الاشتغال بفلاحة الأرض والكسب المادي في شبه حرية مطلقة.

ومن خلال هذه التجربة كان من المتوقع استصلاح الأرض المتروكة من أصحابها بالإضافة إلى إصلاح حال السجناء الذين ـ بعد انقضاء مدة العقوبة ـ يصبحون طلقاء ولكنهم يظلون مرتبطين بالأرض التي يكونون قد استصلحوها.

وفي مطلع شهر أغسطس من سنة 1937م. ذاتها وصلت إلى هون أول مجموعة من السجناء بعد أن ترشحوا عن طيب خاطر وتم اختيارهم من بين أفضل العناصر سيرة وسلوكاً. ومن هون واصلوا رحلتهم إلى واحة واو الكبير مروراً بمرزق وذلك ضمن قافلة عسكرية أعدت لهذا الغرض وكانت مؤلفة من أربع عشرة شاحنة جرى تجهيزها وتزويدها

بالماء والغذاء والوقود لرحلة عشرين يوماً عبر الصحراء مع جميع المواد والمعدات اللازمة الأخرى التي كان يتطلبها تأسيس أول مستوطنة من نوعها.

كان يرافق القافلة دليل عربي من سوكنة ومترجم برتبة شمباشي (عريف) تابع لرئاسة أركان القوات الصحراوية وذلك فضلاً عن أعضاء نقطة رجال الدرك التي كان مزمعاً إنشاؤها في الواحة وعدد من السجانين الليبيين ورئيسهم الإيطالي.

وكانت المواصلات والمخابرات مؤمنة بواسطة محطة لاسلكية متحركة كان من المقرر إبقاؤها مؤقتاً هنالك إلى أن يتم تركيب محطة ثابتة. وقد دامت الرحلة أسبوعاً كاملاً مليئاً بالمغامرات والمفاجآت وعندما بلغت القافلة واحة واو الكبير لمح أفرادها فتاة زنجية تهم بالفرار منهم فاختبأت بين فسائل النخيل والأعشاب الكثيفة. وبعد هنيهة إذا بزنجي عجوز يخرج من مأواه مصوباً ناظريه نحو أولئك القوم الذين اقتحموا دياره محدثين جعجعة وقدت أعصابه وعكرت صفو جو الواحة.

كان رجلاً طويل القامة نحيف الجسم ذا لحية خفيفة شيباء. لما دعاه النقيب فيولا VIOLA، قائد القافلة، إلى الاقتراب منه لبى الدعوة. ثم قام السنيور فيولا باستجوابه فعلم منه أنه كان رقيقاً سودانياً معتوقاً وأنه ظل مستقراً في الواحة مع أسرته منذ أن لاذ سكانها بالفرار قبيل وصول القوات الإيطالية الغازية إليها. وقد بدت على حمدو - كما كان يسمى - آثار الصدمة تبعاً لقدوم ذلك الجمع الغفير من الناس إلى «مملكته الهادئة» التي لم يعد يعتبر نفسه صاحبها الوحيد بعد عيشه في رحابها ردحاً من الزمن دون أن يزعجه مخلوق وكان يزرع فيها بستاناً صغيراً يكفل له ولأسرته ما يسدون به رمقهم.

إلا أن النقيب فيولا لم يلبث أن طمأنه بالاعتراف له بحق الاحتفاظ ببستانة وبأن ينال كل عون وعناية وحماية.

هذا وقد هم السكان الجدد بعدئذ بالتشمير عن ساعد الجد استعداداً لمواجهة المصاعب الأولى متعاونين جميعاً على إنجاز الأعمال التأسيسية بحماسة شبيهة بحماسة الرواد الذين يطأون أرضاً بكرا.

فقاموا بتنظيف وصيانة الآبار والعيون وأزالوا الأعشاب الطفيلية وقلموا الأشجار. ثم تحولوا إلى مكافحة الأفاعي والعقارب التي كانت تعج بها الواحة وقد ساعدهم في ذلك حمدو الذي بحكم خبرته الطويلة بالموقع فاق الجميع في تقصص آثار تلكم الزواحف السامة والقضاء عليها.

ومنذ الأسابيع الأولى بدأت فلاحة الأرض وتم غرس كثير من شتول أشجار الفاكهة كالتين والبرقوق والرمان واللوز والخوخ والكمثري والتفاح. كما زرعت بذور الخروع والقمح والشعير والدخن (القصب) والبرسيم وشتى البقول. ولم تمض أشهر قلائل حتى آتت البساتين أكلها وتغير مظهر الواحة تماماً. وكان تخصيص البساتين في الغالب بمعدل واحد لكل سجين.

ومنذ الموسم الأول كان محصول التمور وفيراً حتى أنه فاض عن حاجة سجناء الواحة الذين كانوا يبيعونه مع فائض المنتجات الأخرى إلى رجال التبو الذين كثيراً ما كانت تمر قوافلهم بواو الكبير.

إن هؤلاء السجناء كانت تسير حياتهم سيراً كاد يكون عادياً دونما شعور بضيق السجون المألوفة وغمها الذي كثيراً ما يدفع السجين إلى الحلم بالحرية والتفكير في الهروب. فاللوذ بالفرار لم يخطر ببال أحد عداً سجيناً جزائري الأصل كان يدعى إبراهيم البارودي الذي حاول

الهروب إلى بلده علماً بأنه كان يُسمح لبعض السجناء ـ عند الضرورة ـ بمغادرة الواحة لقضاء حاجاتهم في المناطق الليبية الأخرى وفي نطاق ما كانوا يمنحون من إجازات قصيرة.

هذا وكان الأمن والنظام مستتبين في أرجاء واو الكبير وفي حالة ارتكاب مخالفة أو نشوب نزاع كانت تتدخل القيادة المحلية لحسم المشاكل بعد إجراء تحقيقات وسماع أقوال الأطراف المعنية والشهود. كما كانت هذه القيادة مسؤولة أيضاً عن الأحوال المدنية. بينما كان من اختصاص القيادة الجهوية بمرزق الفصل في القضايا الأكثر خطورة وفرض العقوبات اللازمة.

أما بالنسبة لقضايا الزواج والطلاق والإرث فكان النظر فيها موكولاً إلى القاضي الشرعي في مرزق. ولم تبت المحكمة العسكرية إلا في قضية السجين الجزائري المشار إليه أعلاه.

وكان السجناء بوجه عام منهمكين في كفاح قاس مستمر في سبيل تطوير بساتينهم علماً بأن القيادة العسكرية الجهوية المذكورة كانت تعني بتوفير كل ما كان لازماً من غذاء وكساء وأدوات ومعدات فلاحية ودواب للمحتاجين بيد أن الذين قضوا مدة العقوبة ـ وكانوا يشكلون السواد الأعظم ـ قد بلغوا درجة الاكتفاء الذاتي. ومما يجدر ذكره أن كل سجين كان عليه أن يقضي فترة اختبار وأن يثبت في أثنائها مقدرته على استصلاح البستان المخصص له مع إقامته دليلاً قاطعاً على التوبة. ومتى تحقق كل ذلك سمحت له السلطات ـ إن كان متزوجاً ـ باستقدام أسرته على أن يمكث بالمستوطنة مدة لا تقل عن مدة العقوبة المحكوم عليه بها في الأصل. وكان يحق له تملك البستان شريطة التزامه بالاستقرار النهائي هناك مع عائلته.

ومما شغل بال الحكومة الاستعمارية مشكلة عزوبة السجناء في تجربة واو الكبير وقد استأثرت هذه المشكلة بمناقشات علمية كثيرة انبثقت عنها آراء شتى. زعم بعضهم أن الكبت الجنسي القهري لا يمكن أن يؤذي الرجل وأن لا يجب بالتالي المساعدة على إنجاب نسل من المجرمين. ونادى آخر بتعقيم المجرمين واعتمد ثالث على معطيات سريرية تجريبية قائلاً إن غريزة التناسل في الإنسان العادي شديدة وأن كبح جماحها لفترة مطولة من شأنه أن يحدث حتماً شيئاً من الاضطراب أو الاختلال العصبي والنفساني.

ومن جهة أخرى فإن دراسات الغدد الصماء المطبقة بتوسع في مجال الأنتروبولوجيا الإجرامية والمجال العقوبي قد أثبتت في واقع الأمر صحة الرأي القائل باستحالة قمع العاطفة الجنسية دون عواقب وخيمة على النظام العضوي في الذكور مع العلم بأنالغدد ذات الإفراز الباطني تتحكم في عملية عجيبة من شأنها توزيع الأخلاط في الجسم البشري كله. ومن أهم هذه الغدد تلكم الجنسية التي ـ علاوة على إفرازها السائل المنوي إلى الخارج ـ تفرز إلى الباطن مواد أساسية أخرى لا غنى لدينامية الجسم والعقل عنها. وبناء عليه قررت السلطات العليا السماح بزواج السجناء العزاب وباستقدام أسر المتزوجين منهم وجمع شملهم اعترافاً بأن ذلك كان هو الأساس الطبيعي لكل استقرار بشري مستديم.

هذا ويوم انضمام بعض الأسر إلى أربابها كان يوماً مشهوداً إذ غمر الفرح والابتهاج نفوس سكان الواحة كافة.

كان من جملة السجناء الشقيقان محمد وحسين الصرمانيان اللذان نظراً لاحترافهما الفلاحة أصلاً قد برهنا عن مهارتهما ونجاحهما وكان لهما الفضل في تزويد زملائهما بالإرشادات الزراعية المفيدة. كان يعُول أكبرهما سناً أسرة مكونة من زوجته وثلاثة أولاد وبنت في الثالثة عشرة

من عمرها وكان يعنى بزراعة القطن الذي جنى منه في أحد المواسم محصولاً جيداً.

وكان ثمة سجين زنتاني سبق له العمل بالقوات المسلحة الإيطالية وكان يمتاز بحدة الذكاء والحذق التجاري وقوة الشخصية ويتمتع بثقة زملائه الذين كانوا يفوضونه لعقد صفقات البيع والشراء مع أصحاب القوافل التّبو حتى أنه استحق لقب «الشيخ». وكان بالإضافة إلى ذلك فلاحاً نشيطاً كادحاً يبذل كل عناية ببستانه حيث أقام بيتاً صغيراً وكوخاً.

أما صاحب البستان رقم (11) فكان شاباً اسمه مسعود خطيب ابنة أكبر الأخوين الصرمانيين المذكور أعلاه.

وينحدر خليفة من نالوت وكان إنساناً حليماً طيباً ذا لحية كثيفة ويعيش بالمستوطنة برفقة زوجته وأربعة أطفال. كان بستانه من أحسن البساتين وقد بنى فيه بيتاً صغيراً وكوخاً. إن ابنته البالغة من العمر خمسة عشر حولاً كانت مخطوبة لمصباح شريكه في البستان الذي كان يمتاز بقوة جسمه وبمثابرته على العمل بهمة ونشاط.

وكان يشترك السجينان فرج وحسين ـ لسوء الحظ ـ في الكسل والخمول والعزوبة وذلك فضلاً عن اشتراكهما في البستان الذي كان خلواً من معالم الازدهار ودليلاً واضحاً على فرط الخمول والإهمال.

كانت الأحوال الصحية في واو الكبير ـ على ما يبدو ـ جيدة فما كان فيها للملاريا ولا للحمى النمشية ولا لأية أمراض سارية أخرى وجود. كما لم تسجل بها حالات إصابة بالأميبا ولا بالأنكيلوستوما وربما كان ذلك بسبب شدة حرارة المناخ وجفافه. وما كان هنالك طبيب مقيم ونادراً ما كان يجيء الطبيب العسكري من مرزق بالطائرة إذ كان يفضل السجناء اللجوء إلى الطبابة الشعبية. وكانت بالواحة صيدلية صغيرة

لإسعاف الراغبين في الاستفادة من خدماتها المحدودة. ولم تدعُ الحاجة لتوفير قابلة لأن زوجات السجناء كن يساعدن بعضهن بعضاً في عمليات التوليد.

هذا ومنذ نحو نصف قرن زار الدكتور الفونسو آروكا، النائب العام، واحة واو الكبير، وأعدّ بحثاً مستفيضاً بعنوان «واو الكبير: واحة الانعتاق» أصدره مكتب الدراسات العلمية التوثيقية الخاصة بأفريقيا الإيطالية ونشرته دار «آلبي» بمدينة ميلانو سنة 1942م. وقد شمل هذا البحث السنوات الثلاث الأولى من عمر التجربة وأسفر ـ على حد قول الباحث ـ عن نتائج تبعث على الارتياح إذ كان السواد الأعظم من السجناء عند حسن الظن بهم مع ملاحظة أنهم استطاعوا التكيف والتلاؤم مجدداً مع جو الحياة الاجتماعية فأنساهم ذلك حقيقة قسوة المناخ ووحشة العزلة الجغرافية ومرارة الكد والكدح في سبيل استصلاح الأرض وجعلها سخية وفيرة الإنتاج مع العلم بأن أقصى حد لحريتهم كان متمثلاً في منعهم من مغادرة المستوطنة ـ ولو لمدة قصيرة ـ دون سابق الحصول على تصريح بذلك وكان هذا التصريح رهن التزامهم بحسن السيرة والسلوك وعدم الإخلال بالنظام العام. غير أن الباحث المذكور ذاته يعترف قائلاً: «إذا جردت الحقيقة من ثوب الصيغ والنظريات القانونية أدرك المرء بجلاء أن حياة السجناء كانت تحمل خصائص عقوبية واقعية وإن لم تتطابق مع النصوص التنظيمية الواردة في التشريعات الخاصة بالمؤسسات العقوبية الأخرى في إيطاليا».

ومما أمكن استنتاجه من هذه التجربة ـ في رأي الدكتور آروكا ـ أن الضرورة تحتم اختيار من كانت:

- سيرته حسنة في بداية مدة قضاء العقوبة.
- أحواله الصحية جيدة.
- له حرفة.

ـ له زوجة هو على استعداد لترحيلها وسائر أعضاء أسرته إلى واو الكبير. وبالإضافة إلى ذلك يرى صاحب البحث ضرورة الاكثار من أشجار الفاكهة إذ ثبت أنها مفيدة في تنويع الغذاء ومجزية من حيث مردودها المادي: الأمر الذي من شأنه توثيق صلة السجين بالأرض التي تشكل موضع شغله ومصدر رزقه.

ولحسن الطالع ما كدت أنتهي من إعداد هذا البحث المتواضع حتى أسعفني المولى ـ عز وجل ـ بشاهد عيان يبدو ـ أطال الله عمره ـ أنه أحد الشاهدين الأخيرين الحيين من شهود تلك التجربة. إنه أحد جيراني الكرام المسمى الحاج إبراهيم مصطفى المداح والبالغ من العمر 74 سنة والمنحدر من قبيلة وسط على بالزاوية الغربية والذي كان في عهد الإدارة الاستعمارية الإيطالية منخرطاً في سلاح الدرك وهو ما يزال وقتئذ في تبقى كما هي شبابه. وإذ كان يعمل بغات كلف في أواخر سنة 1937م. بالتوجه إلى واو الكبير ليحل محل زميل له قد أمضى هنالك المدة المقررة وهي ثلاثة أشهر. إلا أن ظروف العمل اقتضت بقاء الحاج إبراهيم في الواحة نحو تسعة شهور تمكن في أثنائها من معرفة المستوطنة والمستوطنين مؤكداً صحة المعلومات التي أوردها الدكتور آروكا عن المناخ وأحوال السجناء وأوضاعهم المعيشية والاجتماعية والصحية.

وتبعاً لانهزام إيطاليا في الشمال الأفريقي أبان الحرب العالمية الثانية احتلت جيوش الحلفاء الظافرة ربوع بلادنا سنة 1943م. ومع ذاك الاحتلال كانت نهاية مستوطنة واو الكبير التي سقطت في قبضة فيلق القناصة السنغاليين التابع لقوات فرنسا الحرة في تشاد.

وختاماً كان بودي أن الحق بالبحث بعض الصور الشمسية التوضيحية النادرة لولا اعتذار قسم التصوير بمركز الجهاد عن مساعدتي على تحقيق ذلك بحجة كثرة الأشغال المستعجلة.

المراجع

مراجع باللغة العربية

- رحومة، مصطفى حامد
«المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي»
(اكتوبر 1911/ اكتوبر 1912)
منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين
طرابلس 1988.

مراجع معربة

- رولفس، غرهارد
«أهمية طرابلس ذاتها باعتبارها منطلقاً إلى الرحلات الاستكشافية في أفريقيا»
ترجمة وإعداد عماد الدين غانم
مجلة البحوث التاريخية ـ السنة الأولى ـ العدد الأول ـ يناير 1979م.
نشر مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ـ طرابلس.
- كمالي، إسماعيل.
«وثائق عن نهاية العصر القرمانلي»
تعريب وتعليق محمد مصطفى بازامة
دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت
بنغازي ـ 1965.
- موري، أتّيليو
«الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا من مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال

الايطالي» (لمحة تاريخية وعرض للمراجع).
تعريب خليفة محمد التليسي
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
طرابلس - 1984.

مراجع باللغة الإنكليزية

- HOW, Russel Warren.
«BLACK AFRICA FROM THE COLONIAL ERA TO MODERN TIMES» (pART 3 and 4)
New Africa Library - 1967.

مراجع باللغة الإيطالية

- Aroca, Alfonso
«UAU EL CHEBIR, L'OASI DELLA REDENZIONE»
Edizioni ALPE - Milano, 1942.
- PETRAGNANI, Enrico
«IL SAHARA TRIPOLITANO»
Sindacato Italiano Arti Grafiche Editore - Roma.
- SICILIANI, Domenico
«PAESAGGI LIBICI»
«Tripolitania»
F. Cacopardo Editore - Tripoli, 1934 - XII.

مراجع باللغة الفرنسية

- MOYNET, Paul
«LES CAMPAGNES DU FEZZAN»
Publications de la France Combattante, N 54
Londres, 4 Carlton Gardens.

ملامح عن الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في غدامس قبل العهد العثماني

أ. بشير قاسم يوشع

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
ـ فرع غدامس ـ

غدامس دويلة مستقلة حتى العهد العثماني الثاني

من المعلوم إن منطقة غدامس التي تبتدئ من بئر الخمّاسة شرقاً وتنتهي بالحدود الوهمية لتونس والجزائر، توجد بها ثماني واحات وهي: سيناون الشعواء، تفلفلت، تقطّة، درج ماترس، غدامس ثم تونين الواقعة غربي غدامس وهذه الواحات تشكل كل منها في الماضي وحدات ادارية قائمة بذاتها لا تخضع لسلطة خارجية، ولها مقوماتها وخصائصها، ويربطها بجاراتها نوع من التعاون، والعلاقات الودية الحسنة.

وسأحاول في بحثي المتواضع هذا التحدث عن أهم هذه الواحات من حيث

الشهرة والكثافة السكانية والإمكانات المادية بالإضافة إلى المركزية، ألا وهي واحة غدامس التي أعطت اسمها لبقية المنطقة.

تعتبر هذه الواحة من أقدم مراكز الحضارة في أفريقيا، حيث قال عنها العلاّمة ابن خلدون: إنها مدينة قديمة لا يعرف تأريخ تأسيسها، ويقول عنها الطاهر الزاوي إنها مغمورة في عصر ما قبل التاريخ. وهذا القول تؤيده النقوش القليلة التي عثر عليها وهي شبيهة بنقوش كهوف جبال تسيلى وتدرارت التي يقدر عمرها بحوالي عشرة آلاف سنة[1] وقد ذكر أن أصول السكان الأقدمين ترجع إلى المور[2] سماهم ياقوت الحموي **(تناورية)**[3] بينما جاء في دفتر غدامس أنها من فزارة[4] وهناك من يرى أن الآثار التي بغدامس هي حضارة خاصة ومعاصرة للحضارة المصرية القديمة وبعضها يرجع إلى ما قبل العهد الروماني، ويرجح أنها من حضارة الجرمنت وأن سكانها في بداية العهد المسيحي كانوا من أصل مصري، وأنهم وصلوا اليها قبل ذلك. أما هنرى كودي اغسطيني؛ فيرى ان العنصر الأصيل استمد أصوله من زناتة جذم مدغيس، ومن بطونها بنو ورطاجن وبنو وطاس الذين يعتبرهم ابن خلدون من أقدم سكان غدامس[5]، يبدو أنه لم يطالع أو لا يريد أن يعتمد على دفتر

---

(1) توجد صورة من هذه النقوش في متحف غدامس، انظر محمد سليمان أيوب، جرما من تاريخ الحضارة الليبية ص 67 ط أولى، 1961، دار المصراتي للطباعة والنشر.

(2) جاء في ص519 من المنجد في الآداب والعلوم أنهم سكان الساحل الافريقي الشامل والصحراء الشاملة المغرب الادنى والاوسط والاقصى.

(3) انظر بشير قاسم يوشع، غدامس، ملامح وصور ص16، دار لبنان للطباعة والنشر، ط. اولى 1393هـ 1973م.

(4) مخطوط توجد منه صورتان توجدان في المكتبة الوطنية في باريس، بقسم المخطوطات الشرقية تحت رقم 1891 و1892.

(5) هنرى كودي أغسطيني، سكان ليبيا، ص 527، تعريب خليفه التليسي، ط أولى، 1975 دار الثقافة، بيروت.

غدامس الذي نشره منتلنسكي سنة 1905م الذي يؤكد أن أصول هذه المدينة الحالية ترجع إلى فزارة[6] وهذا يؤيده ما ذكره محمد أمين البغدادي السويدي، بأن فزارة بطن من ذبيان من غطفان، قال في العبر... إن بأرض برقة إلى طرابلس منهم قبائل رواحة وهيب وقران[7] وهناك أقوال أخرى وأساطير عن أصول هذه المدينة إلا أنها لا تقودنا إلى شيء ولذا فأنا أرجح ما جاء بشيء من التفصيل في دفتر غدامس حيث أن... أول من استوطن غدامس ابن ماني[8] وابن مازيغ وأصلهم من فزازة، بنوها وعمروها وتناسلوا فيها حتى صارت مدينة ثم خرجت ثم صارت قصوراً ثم خربت صارت مدينة حتى انقرض بنو مازيغ وعصمهم بنو ماني... بنو ماني تفرعوا إلى ثلاثة فروع وبنو ذرار وبنو فضل وورتوغا الذي خلف وليد ووازيت[9].

نظام غدامس السياسي

لقد استطاع هؤلاء الذين يرجع أنهم من فزارة أن ينظموا أنفسهم في اتحادين دعي أحدهما بنو وازيت ويشمل تجمعين هما: تفرفرة وتنّزين، ثم حدث فيه تجمعان آخران هما حرسان وبلليل، والثاني عُرف ببني ذرار وحدث فيه فيما بعد تجمعان آخران دعي أحدهما بنو وليد الذي أصله من تنّزين والآخر مازيغ إلا أن اسم وليد غلب على هذه التجمعات فأصبح يعرف الآن ببني وليد، ويضم هذين الاتحادين اتحاد عام مهمته اتخاذ القرارات العامة عند اللزوم.

لم تكن عليها تابعية لأي نظام سياسي قبل غزوة أبي فارس

---

(6) منتلنسكي، اللهجة البربرية لغدامس العددين ص219.

(7) محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص53.

(8) منتلنسكي، مصدر سابق ص219.

(9) انظر غدامس، ملامح وصور، ص7354، مصدر سابق.

عبدالعزيزي الحفصي، وقد جاء في دفتر غدامس (**ليس عليها مغرم للسلطان إلا في زمن الحفاصة**) حيث غزاها أبو فاس عبدالعزيز سنة 796 هـ[10] وبعد هذه الغزوة أصبحت تدفع ضريبة معلومة للسلطة بدون أن ينصب عليها حاكم من الخارج، وحتى في العهد القرمانلي كانت تدفع الإتاوة فقط، وقد ذكر بعض المؤرخين أنها أعلنت خروجها عن هذه العائلة فدفعت ضرائبها لتونس، فأرسل يوسف باشا ابنه علياً سنة 1225 هـ 1810م لاخضاعها وانتهت الغزوة بدون مواجهة ودفع 20 ألف مثقال من الذهب و20 ألف محبوب ذهبي مصاريف الجيش[11] غير أن وثيقتين عثرت عليها أفادتا بأن غزوة علي باشا وقعت سنة 1233هـ 1817م ويفهم منها أن غدامس لم تخرج عن سلطة القرمانليين[12].

وبعد أن اعترفت بالعهد العثماني الثاني أرسل لها الوالي محمد أمين حاكماً يدعى حسيناً غير أنه قتل قبل أن يصل إلى غدامس مما دعا هذا الوالي أن يرسل جردا من الجند بقيادة عثمان آغا لإخضاعها، حيث فرض عليها غرامة بلغت 22 الف مثقال من الذهب، ونصب عليها حاكماً يدعى أباهوبه[13].

إذن كيف كانت علاقاتها الداخلية والخارجية قبل أن تعرف هذا التسلط الذي لا يهدف في الواقع إلى وحدة الأمة وانضباطها بقدر ما يهدف إلى جمع الضرائب والأموال لاشباع نزوات الولاة والدائرين حولها، وهل مقوماتها الاقتصادية والثقافية والدافعية تسمح لها بأن تكون دويلة مستقلة قادرة على الصمود أمام التحديات، وهي تعيش في صحراء متآخمة مترامية

(10) يوجد قرب مسجد تندرين بغدامس قوس يحمل عبارة (في عام بوفارس).

(11) عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبدالسلام ادهم ص169 ط أولى، دار لبنان للطباعة والنشر.

(12) انظر مقالي في ص67 من الثقافة العربية، تاريخ 1/ 2/ 1984م.

(13) انظر ص35 من العدد الأول، السنة الثانية، أي النار 1980 من مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين.

الأطراف خصوصاً وأنها اشتهرت بغناء مفرط، وقوافلها التجارية عبر أفريقيا الغربية وغيرها تجوب الصحراء طوال أشهر السنة؟ وكيف أستطاعت وهي قليلة السكان أن تبقى في هذا البحر المتلاطم بالحياة البدوية القبلية التي لا تعرف الاستقرار ولا تحتكم في الغالب الا للسيف على أتفه الأسباب؟ وقبل الحديث عن علاقاتها الخارجية نتعرف أولا عن نظامها الداخلي.

المساكن

تبنى المنازل بالحجر والجبس ثم الطوب والتربة على طراز يعتبر جيداً في الماضي وربما الى الآن، هندسته تهدف إلى الاقتصاد في مساحة الأرض مع استغلال الفراغ بقدر الأمكان على شكل رأسي، فيبلغ طول المنزل حوالي 13 متراً، بينما أرضه في المتوسط قد لا تتجاوز 42 متراً مربعاً، تبنى المنازل متلاصقة لا تترك بينها فواصل سوى الأزقة والشوارع والميادين، كل الشوارع والأزقة مسقوفة باستثناء فتحات تترك للتهوية والإنارة وهذا يهدف إلى عدة أشياء، كاستغلال سقف الشارع يجعله مرفقاً من مرافق المنزل وغطاء المدينة صيفاً بارداً وشتاءاً دافئاً وإمكانيات دفاعية اذا اقتحمت المدينة.

نظام الحكم:

لقد ذكرت أنهم نظموا أنفسهم في اتحادين منقسمين إلى سبعة تجمعات من الأفراد يجمعها مجلس إتحاد عام، وهذه التجمعات سموها شوارع، والشارع هو مجموعة تكونت أصلاً من أب واحد انضم إليهم آخرون بالانتماء، ولكل شارع من الشوارع السبعة شيخ يعاونه مجلس أعيان الشارع المتكون من بعض رؤساء اللحمات، ومن هؤلاء ينتخب مجلس الأعيان الذي يجتمع عند اللزوم مع مجالس الشوارع الأخرى الذى هو مجلس المحلة، ومن أعيانه البارزين بالاضافة إلى المشائخ يتكون مجلس الاتحاد العام الذي يجتمع لأسباب مشتركة كالغزو الخارجي أو ما يتصل بعين الفرس.

وأعضاء كل هذه المجالس ليست لهم أية إمتنيازات، ولا يتقاضون أجوراً على وظائفهم ولا ينتخبون من بينهم رؤساء بإستثناء المشائخ، بل كلهم متساوون في العضوية غير أنه قد تطفو إحدى الشخصيات البارزة بالعلم أو المال أو الرأي مثلاً فتصبح هي المهيمنة على الأمور.

القضاء:

يعتبر القاضي كالحاكم العام والساهر على تنفيذ الأحكام الشرعية حسب ما نص عليه مذهب الإمام مالك يعاونه شخصية أخرى يسمونها المفتي، وهاذان ينتخبهما مجلس الاتحاد العام، ولا يشترط أن يكونا من المحلتين، بل قد يكونان من محلة واحدة والشرط الوحيد فيهما العلم والتقوى. إلا أنه في العهد العثماني تم تعيين بعض القضاء من خارج البلدة.

الأمن الداخلي:

حفظ الأمن والسهر عليه موكول إلى شباب الشارع، فهؤلاء يعتبرون كالشرطة الرسمية فإذا ارتابوا في أجنبي داخل شارعهم ولو كان من نفس المحلة يوقفونه ويحققون معه، فإذا تبين لهم أنه مذنب ينال عقابهم المباشر، وبهذه الطريقة الحازمة قضي على الكثير من الانحرافات الاجتماعية.

العمل التضامني:

إنه متعدد الجوانب، ويكاد يكون عاماً، يبدأ من هدايا للمولود ثم هدايا رمضان، ثم هدايا الختان والعرس والسفر والزواج، وحتى الوفاة[14].

(14) يهدي الأقارب للمولود البكر وقد يهدي لمن بعده أنواع متعددة من الثياب والطواقي والدراهم، ثم عام صيامه الأول تهدى له الدراهم، ويتناول طعام الأفطار عند أقاربه طوال شهر رمضان، وهو بدوره يقيم حفلة في إحدى ليالي رمضان يدعى لها أطفال المدينة وشبابها توزع فيها الكثير من الحلويات والشاي. وللعرس ايضاً هداياه القيمة فيهدى=

وصداق المرأة الحرة البكر هو أربعة مثاقيل وثلث المثقال من الذهب بالميزان الأقدزي أو سبع أواق فضة، أما الثيب فصداقها مثقالان من الذهب وثلاث أواق فضة.

والطلاق قل أن يحدث، وقد يعيش الرجل مع امرأته السيئة العشرة طوال حياته دون أن يفكر في طلاقها، واذا حدث طلاق دون سبب أخلاقي فهو مستهجن جداً، كما يستهجن إبقاء المرأة السيئة السمعة والأخلاق في بيت الزوجية. وقد يغيب الزوج عن زوجته أكثر من عشرين سنة سواء في السودان أو تونس، وقد يبعث لها بنفقة، وتبقى في بيت الزوجية صابرة، ولا تفكر في الخروج منه، وقل ان تجد امرأة تطلب الطلاق من القاضي لغياب زوجها عنها.

وللشيخوخة مكان جليل، فالعجوز مكانها الطبيعي عرفياً هو منزل إبنها الأكبر، ولها أن تزور بقية أبنائها إلا إذا اختارت غير ذلك لسبب ما.

وكان مجتمع غدامس مترفاً جداً خاصة زمن تجارة القوافل، وقد مورس فيها ما يمارس عادة من الانحرافات السلوكية في المجتمعات المترفة.

واللقيط يتكفل بتربيته أحد المتطوعين، وهذا قل أن يحدث لأن المرأة السيئة الأخلاق يبادر المجتمع بنفيها إلى الخارج كتونس أو طرابلس.

= للعروسة أنواع من الثياب والحلى والنقود اما العروس فيهدى له في أسبوعه الأول أنواع من أطباق الحلوى والشاي والطعام المطبوخ على أن يجتمع له الاصدقاء فيتناولونه ثم عليه أن يضيفهم بعد ذلك مدة خمسة عشر يوماً، كما يهدى للمسافر الأول مرة بعض النقود وعشاء السفر المتمثل في جدي مشوي وخبز وكيس به الكثير من الحلويات والمكسرات وعند الوفاة يمتنع أقارب الهالك عن الطبخ ثلاثة أيام وعلى الأقارب والأصدقاء تقديم الطعام لهم طول هذه المدة.

العرافون والأطباء:

عرفت غدامس العرافين والسحرة والمشعوذين، ذكوراً وإناثاً، وأكثر هؤلاء من غرب أفريقيا، كما عرفت الدجالين وضاربي الرمل ومزيلي العين الشريرة، ومقدمي الطرق الصوفية الذين يأكلون الزجاج (أضلاف الصبار، ويبقرون بطونهم بالسيوف والخناجر، ويعالجون الملدوغين).

كما عرفت أيضاً أطباء شعبيين يعالجون بالكي والأعشاب وغيرها، وقد اشتهر منهم رجال ونساء شهد لهم بالمقدرة الفائقة في هذا السبيل، إلى جانب القوابل المحليات اللاتي شهد لهن بحسن الممارسة، حتى بعد وجود أطباء رسميين في العهد الفرنسسي.

الأساطير:

إن للأساطير مكانتها الهامة في الأدب الشعبي، وغدامس كمجتمع عريق له مميزاته المحلية زاخر بالأساطير والحكايات الشعبية، وقد شرع في نشرها في مجلة الفصول الأربعة[15].

القوانين العرفية:

إنها قوانين غير مكتوبة، ولكنها تعرف بالممارسة والرواية الشفوية التي ينقلها الكبار للصغار فيشبون عليها فتصبح عادة متأصلة فيهم.

لا تلتفت يميناً ولا شمالاً إذا مررت بمجلس الكبار، بل امش بسكينة ووقار.

لا تمعن النظر في وجه من يكبرك سناً خصوصاً إذا كان في سن أبيك.

---

(15) العدد 36/ 37 الصادر بأي النار 1987م من هذه المجلة.

لا تناد من يكبرك بسبع سنوات بأسمه المجرد، بل بما يدل على التبجيل والتوقير.

كأن تقول له يا سي فلان، ويستحسن أن تعمل بهذا حتى مع من يكبرك بعام.

لا تمش حافياً وبدون ملحفة تضعها على كتفك الأيمن. وهذا يطلب بعد البلوغ.

اجتنب ما استطعت المرور من مجلس توفرضه(16) بعد الظهر حتى لا تشوش على الجالسين فيه، وإذا أحوجتك الضرورة فسر بأدب.

لا تدخل السوق لوحدك إلا بقصد معرفة وقت حلول الماء لمزرعتكم(17).

لا تجلس في مجالس الكبار، وإذا جمعتك الظروف بهم فلا تناقشهم بل استمع لما يقولون وافهمه جيداً فقد يفيدك في المستقبل.

لا تجلس في شارع غير شارعكم.

إذا دعيت إلى وليمة فلا تأكل سوى ثلاث أو أربع لقيمات، ولا تذهب أبداً قبل أن تدعى.

إذا أرسلت إلى منزل فوجدت أهله يأكلون وعرضوا عليك فتظاهر بالشبع حتى لو كنت جائعاً، وإذا ألحوا عليك فخذ لقمة واحدة فقط لأجل خاطرهم.

إذا سئلت ماذا أكلت في منزلكم؟ فلا تجب خصوصاً إذا اكلت طعاماً رديئاً او لم تاكل شيئاً لاتخبر أحداً بما جرى بمنزلكم.

---

(16) يقع هذا المجلس بجانب الجامع العتيق، وهو مجمع الأعيان والمشائخ، وفي هذا الوقت بالذات يكون مكتظاً بهم.

(17) في السوق توجد الساعة المائية المعروفة بالقادوس، والخاصة بتوزيع مياه عين الفرس.

عامل أطفال الجيران والأقارب وكأنهم إخوتك.

لا تدع الأطفال يضربوا أخاك الصغير فإن ضربة أحد فقاتله بما تقدر ولو بذر التراب على وجهة إذا كان أكبر منك.

إذا التقيت بعجوز في شارع ضيق أوسع له أو لها الطريق، وإذا كان يحمل حملاً ثقيلاً فساعده على حمله ما استطعت.

الفن والموسيقى:

كثيرة هي الأغاني والفرق الموسيقية بغدامس، وإليها يرجع الفضل في تكوين أول فرقة للفنون الشعبية الجماهيرية، وبعض هذه الفرق قد تمتد جذورها إلى أفريقيا الغربية.

فن الطبخ:

لغدامس مطبخها المحلي الخاص ولقد أحصيت أنواع الخبز به فبلغت ٢١ نوعاً إلى جانب أنواع متعددة من فنون الطبخ الاخرى، ولا أقصد سوى المحلية.

النذور:

للنذور مكانتها المتأصلة، فهم غالباً ما ينذرون للشيخ أو الفقيه وحتى لشخص عادي.

الطفل والعناية به:

قد يكون الطفل الذكر أفضل من يلقى العناية في غدامس، يقابلة إهمال تام للبنت من ناحية التعليم، فالطفل وحده يدخله والده للزاوية القرآنية، ويتلقى العلوم الفقهية في المساجد وقد يبعث به إلى الخارج لإتمام دراسته، أما البنت فيكتفى بتحفيظها بعض السور، وتتعلم الصلاة والصوم بالممارسة.

الألعاب المحلية كثيرة ومتنوعة سواء منها للذكر أو الأنثى، والبنت قبل البلوغ تخرج للشارع وتجلس في أماكن خاصة قرب مجالس الكبار، وتمارس بعض الألعاب، وإذا كبرت تحتجب عن الشارع، ولها أن تمارس ألعابها في أسطح المنازل وجدرانها سواء في الأوقات العادية أو المناسبات.

الطرق الصوفية:

وجدت في غدامس طرق صوفية متعددة وهي: القادرية والسلامية والطيبية والعيساوية المدنية والتيجانية والسنوسية، ولكل منها زوايا خاصة وأتباع خاصة وأتباع يمارسون.

الاعلام الداخلي:

لقد ابتكروا طريقة للإعلام الداخلي إذ أسندوا هذه المهمة للمرأة، فبحكم تلاصق منازل المدينة كانت المرأة تنتقل من مكان إلى آخر على جدران الأسطح وقت ما تشاء في الوقت الذي يمنع هذا على الرجل، وأثناء تنقلها تمارس الكثير من الأمور كالبيع والشراء وزيارة الأقارب وما إلى ذلك، كما لها أن تطلق لسانها بالأغاني والأهازيج وبكل ما يتصل بالاعلام عند اللزوم، علماً بأن لكل حادث أغنيته وأهزوجته، فللمولود أغنيته التي يفهم منها هل المولود ذكر أم أنثى؟ وفي أي محلة هو؟، وكذلك بالنسبة للختان والسفر والقدوم ومنه والزواج والوفاة والمناسبات الدينية والمحلية ووصول أسراب الجراد والحرايق(18) وغير ذلك(19).

---

(18) عند نشوب الحريق تنادي النساء (الماء يا مسلمين) فيهب الجميع ليلاً أو نهاراً فيأخذ كل منهم سطلاً من منزله متوجهاً إلى مكان الحريق ففي الحال يكون طابوراً أوله في مكان الحريق وآخره في اقرب ساقية بها الماء فتملا الأسطل وكل واحد يمد للذي يليه فسرعان ما يتغلبون على الحريق.

(19) انظر بشير قاسم بوشع ص186 . 246 مصدر سابق.

دفاعهم عن المدينة:

لعل أول غاز في العصر الحديث لغدامس هو ابن فارس عبدالعزيز الحفصي ثم توالى عليها بعض القواد إلا أنهم لم يفلحوا في اقتحام المدينة فتنتهي الغزوة بالصلح باستثناء القائد إبراهيم الذي اكتسح المدينة[20] إلا أن أشهر غزوة هي غزوة رمضان باي التي انتهت بالصلح ايضاً بعد مواجهة دامت ثلاثة ايام[21].

نظام الري والزراعة:

غسوف، هو الأسم المحلّي لعين الفرس، وقد ذكرها الكثير من المؤرخين والكتاب، أعد عنها لارس الديبلوم السويدي الجنسية رسالة دكتوراه، وذلك لما اتصف به نظامها من الدقة والكمال، وقبله بقرون ذكرها ياقوت الحموي في معجمه حيث قال. . . (وفي وسطها عين أزيلة وعليها أثر بنيان رومي ينبض منه الماء يقسطه أهل البلد باقساط معلومة، لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون[22] وكما وضعوا لهذه

---

(20) بقية القياد هم: القائد يوسف والقائد أحمد وحسين النعال ودرويس، انظر صفحة 221 من منتلنسكى، مصدر سابق.

(21) رمضان باى هو قائد القوات التونسية، غزا غدامس سنة 101 هـ الموافق 160م بالقوات التالية: 2500 جندى منهم 400 خيال مزودة بثلاثة آلاف بعير فواجهه المواطنون ودخلوا معه في معركة ابتداء من يوم الخميس 27 رمضان الى اليوم الثالث الموافق لعيد الفطر، وبلغت خسارتها اكثر من مائة رجل، واستشهد من أهل البلاد ثلاثون، وجاء في تذكير الناس مخطوط من تأليف محمد مهلهل الغدامسى، أن قواته نحو ثلاثة الاف مقاتل وثلاثة مدافع وغير ذلك من آلات الحرب وقوات أهل البلد بلغت مائة بندقية ومات من عسكره في اليوم نحو مائة مقاتل، ومن الغدامسية ثلاثة رجال من احدهم الفقية محمد بن ابراهيم بن ضيلة. قبره معروف الى الآن. وفي اليوم الرابع اخذ في قطع النخيل فاضطر أهل البلد على مصالحته باربعة آلاف مثقال من الذهب، ومات قبل وصوله شرميته) انظر ص 225 من منتلنسكى وص75 من العدد الأول من مجلة البحوث التاريخية، أي النار 1979، مركز الجهاد.

(22) كما أشار إلى هذه الغزوة شارك فيرو ذكر أن جيش الحملة لم ينجح منه سوى القليل بعد=

العين نظاماً دقيقاً وضعوا للزراعة نظاماً أدق فغرس النخل والأشجار وزراعة المحاصيل المختلفة والحصاد وما إلى ذلك، كل هذا له وقته المعلوم لا يسمحون بتجاوزه مراعين في ذلك المصلحة العامة وقدرة العين على العطاء، وبقرب عين الفرس يوجد منبعان آخران تسحب مياههما سحباً بواسطة الخطارات، إلا أن هذه العيون كلها غارت سنة 1971م[23].

الرقيق:

لم تكن المتاجرة بالرقيق تجارة مربحة، علاوة على موقف الإسلام منها، فهو قد حصر الرق في أسير حرب وغير مسلم، ولذا فالتجار الغدامسيون يتجنبون مثل هذه البضاعة[24] ولا يتعاملون معها إلا اضطراراً كمرافقة القوافل أو الخدمات الضرورية أو التسري، وقد يبيعون ما زاد عن حاجتهم بعد وصولهم إلى غدامس أو يعتقونه بعد اجتياز فترة الاختبار وتوجد في حوزتي بعض الوثائق الشاهد على عتق بعض الرقيق، وتشكل ذرية هؤلاء المعتوقين الآن مجموعة لا بأس بها من سكان غدامس أما ما ذكر من بعض المؤرخين من جلب الرقيق عن طريق غدامس، فهذا يتم غالباً بواسطة الغزاة الصحراويين، إنني تعاملت مع آلاف الرسائل التجارية فتبين لي إن هذه البضاعة غير مرغوب فيها وما تشير هذه الرسائل اليها إلا قليلاً[25] إلا أن هؤلاء التجار قل منهم من لم يتسر بالإماء الافريقيات

= ان انقض عليه سكان الجبال من الليبيين واستعادوا منهم مما نهبوه من غدامس، وقد حرص فيرو أن يستعمل كلمة تونسيين وليبيين، وكان عليه ان يبين أن رمضان هو تركي أوفده عثمان داي التركي الذي يحكم تونس.

(23) انظر ص16 من بشير قاسم يوشع، غدامس، ملامح وصور، مصدر سابق.

(24) انظر ص41 من نفس المصدر.

(25) من أمثالهم ثلاثة لا يستعنون أبداً: بياع البشر وحراق الحجر، وقطاع الشجر.

وبعد عودتهم يصحبونهن وأبناءهم معهم إلى غدامس، ومع هذا فقد بقيت جالية كبيرة هناك بعد توقف التجارة الصحراوية.

ملكية الأرض:

الأرض أغلبها وقف لا يباع ولا يوهب، يتوارثها الأبناء عن الآباء، للبنت حقها الشرعي للذكر مثل حظ الانثيين، الا ان هناك بعض الشذوذ فتجد من يسوي بين الذكر والانثى، وهناك من يعطي الأنثى مثل حظ ذكرين.

وهناك نوع آخر من الوقف يسمونه الجدار وآخر يسمى درجة تتوارثه طبقة بعد طبقة ولا يجتمع فيه الأب والابن، وهناك من يوقف للذكور فقط، ومن لا يورث أبناء البنات في كل هذه الحالات، الحالة الوحيدة التي يرث فيها أبناء البنات إذ بقي العقار بدون تحبيس، وهم في كل هذا يرون أن البنت قد يتزوجها أجنبي فيرثها فيدخل في خصام مع أبنائها، وحتى لا تحرم البنت من مال أبيها فإنهم عادة عند زواجها يعوضونها بكثير من المنقولات والذهب والفضة وللعلم فإن المقصود بالأرض هنا وما عليها من نخل وأشجار أما الأرض لذاتها فلا تعني شيئاً.

وما قيل عن الأرض والمزارع يقال عن الماء الجاري وكذلك المنازل، فالرجل دائماً له نصيب الأسد، وقد تحرم البنت من الجميع إذا استغنت بزوج أو مال أو ولد، على أن يعود.

لها حقها إذا افتقرت لواحد من هؤلاء الثلاثة، وقد تخصص أولهن حجرة معينة بمنزل الأب في حالة الاحتياج ومدى الحياة[26].

(26) انظر بشير قاسم يوشع، غدامس وثائق تاريخية إجتماعية 1228 ـ 1310هـ مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

هذا بالنسبة للأرض التي داخل السور، أما خارج السور ومواقع الحرث والمراعي وأماكن الصيد والاحتطاب وآبار الصحراء فهي حق مشاع بين الجميع، اذا هطلت الأمطار فالكل يحرث ويرعى ويحتطب، ومن أراد استصلاح قطعة أرض ليتخذها مزرعة فلا يعترضه أحد إلا إنه في العهد العثماني استقطعت بعض أراضٍ لبعض الأُسر الغنية فأصبحت تسمى باسمهم كظهرة بأعلى مثلاً.

العائلة:

تعتبر العائلة وحدة إنتاجية تقوم على شركة عائلية في الكثير من الأنشطة، كالتجارة والزراعة والصناعة وهذا كله من اختصاص الرجل، أما المرأة فعليها القيام بلوازم البيت وتربية الأبناء وما إلى ذلك، إلا أنها قد تساهم في الاقتصاد أيضاً إذا اتقنت بعض الحرف كالخياطة والنسيج والأحذية وغيرها، وبهذا تساهم في نفقة البيت، كما أنه في الامكان عقد شركة رسمية بين الأب وابنه وبعقد رسمي ورأس مال معروف.

وبعد الزواج ينفصل الابن عن أبيه في السكن وقد يبقى مرتبطاً به مادياً، والأم العجوز عند وفاة زوجها ما دامت قادرة على القيام بشؤونها لا تترك منزلها، اما اذا عجزت كلياً فمنزل الابن الاكبر هو مكانها الطبيعي المتعارف عليه إلا إذا اختارت غيره لسبب ما.

نظام الدراسة:

لقد ذكرت غدامس مبكراً في المجال العلميُ، فأهاليها يرون أن الصحابي أبا مسعود عقبة بن عمرو الانصاري مدفوناً ببلدتهم، وبعد البحث والتقصي وجدت لهذا الرأي ما يؤيده[27].

---

(27) ما ذكر هنا وقفت على عقود رسمية بشأنه.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري وجد بها الشيخ اسماعيل بن درار[28] وفي القرن الثالث نجد لها عالماً آخر هو أبو العباس الصواف. اما المؤلفون فنجد لها في القرن السابع مؤلفاً يدعى عبد السلام بن عبد الرحمن[29] ونظام الدراسة يتلخص في الآتي:

عند بلوغ الطفل الذكر عامه الخامس او الرابع ينسبه والده لأحدى الزوايا القرآنية ليتعلم ما تيّسر من القرآن الكريم والقراءة والكتابة والمتون المختلفة فإذا تم حفظ القرآن الكريم يعيد كتابته مراراً حتى يرسخ في ذهنه، اما العلوم الإسلامية الأخرى أو بالأحرى شرح المتون التي تعلموها في الزوايا القرآنية فيتم في بعض المساجد.

والدراسة في الزوايا تكون صباحاً وظهراً وبعد العصر أما في المساجد فأكثر ما تتم الدروس بها بعد الصلوات: العصر والمغرب والعشاء، ومن رغب في المزيد يذهب إلى جامع الزيتونه بتونس أو الازهر بالقاهرة.

علاقات غدامس الخارجية:

رغم ما قيل عن تمتع غدامس بشيء من الاستقلال، فإني لا أتصورها معزولة سياسياً عن تونس وطرابلس، وهي وإن لم تدفع الضرائب بصفه رسمية إلا في عهد أبي فارس عبدالعزيز الحفصي، ولم ينصب عليها حاكم من خارجها إلا في أوائل العهد العثماني الثاني، فلا بد أن يكون لها نوع من العلاقات السياسية مع هاتين العاصمتين، وذلك لارتباطاتها الوثيقة معهما على مر التاريخ إذ منها تنطلق قوافلهما

(28) انظر مقالي في ص18 (مجلة تراث الشعب) السنة العاشرة، المجلد الأول.

(29) أنظر، أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي ص134، كلية التربية، الجامعة الليبية، 1391 هـ1971م.

التجارية، واليهما تعود بعد الرجوع من أفريقيا الغربية والوسطى، كما أن توغلها في هاتين المدينتين خاصة تونس التي استثمرت فيها اموالها منذ أحقاب طويلة وتوجد لها جالية كبيرة، إلى الآن تدل على عمق الروابط وحسن الجوار التي كانت سائدة بينهما.

للباحث أن يسأل لماذ لم تتطور هذه المدينة رغم انفتاحها المبكر على العالم المحيط بها ورغم ثروتها الطائلة التي اكتسبتها من تجارة القوافل؟ إن السبب في نظري أن أرضها غير صالحة للزراعة، بالاضافة إلى قلة نزول الامطار وافتقارها الى مصادر مياه ذات بال، والعين الوحيدة بها قد استغلت استغلالاً مثالياً ولكنها لم تفِ حتى بحاجة الأرض المستصلحة، وهذا ما دفع الأهالي الى الحد من استصلاح الأراضي واستثمار أموالهم خارجها وأن يتخذوا من بعض المدن وطناً ثانياً لهم، كتونس وطرابلس وكانو وسكتو وزندر وتتبكتو، فهذه المدن وغيرها توجد بها جاليات كبيرة لها، الا ان تركيزهم على تونس ودواخلها، وقد حدثنا الحشائش بإسهاب عن هذه الجالية ونشاطها بهذه المدينة[30] وبهذا يتضح أن تطورها تم في الخارج لعدم قابلية أرضها لاستيعاب كثرة السكان واستثمار الكثير من الأموال، كما يتضح أن العمود الفقري لاقتصاد هده الواحة هو التجارة الخارجية، وهذه التجارة تحتاج إلى التنقل باستمرار في الصحراء، في وقت فقد فيه الأمن وسادت فيه الغزوات، أرى أن ذلك تم بما يعرف الآن بالديبلوماسية والاتفاقيات المعقودة بينهم وبين المحيطين بهم.

اتفاقيات غدامس مع القبائل المجاورة لهم:

هناك اتفاقيات عرفية بين أهالي غدامس وقبائل الطوارق القوية التي

(30) أنظر ص85 من العدد الأول، السنة الرابعة، يناير 1992 من مجلة البحوث.

تتحكم في طريق القوافل، غدامس - غات مثل قبيلة أوراغن ومنغساتن وايفوغاس، ومن هذا المنطلق يتحتم على كل عائلة غدامسية تحترف التجارة ان تكسب صداقة هؤلاء وتتخذ من إحداها شبه حليف وذلك بأن تتولى هذه القبيلة باستمرار تأجير جمالها لأي تاجر من هذه العائلة من غدامس الى غات وبالعكس، كما يتولى رجال هذه القبيلة مرافقة هذه القافلة والمحافظة عليها علي ان تدفع لها بالاضافة الى اجرة الجمال أجرة المرافقين وتمويلهم، وبهذا قل ان تتعرض قوافلهم للنهب والسلب الا إذا حدثت حروب رسمية، كما حدث أيام حرب اخنوخون والحاج أحمد[31] كما توجد علاقات مماثلة بين الغدامسيين وطوارق يلميدن الذين يعيشون في الجنوب وما وراء غات كما انهم يدفعون ضرائب لحكام غات الطارقي وإني أرى أن هذه الاتفاقيات اخرى مع غير هؤلاء كالمحاميد وأولاد نوير والطرود وقد جاء في دفتر غدامس ما يلي:

قانون العرب:

المحاميد منزلتهم - يقصد نزولهم عندما يفدون إلى غدامس - في بني وازيت عند المشائخ، أولاد نوير في بني وليد، ولهم القدر على بني وازيت، المقارحة، القبيان لهم على كافة البلاد ثوب في كل عام والمونة مادامو مقيمين في البلاد، على أهل البلاد عشر ثياب واربعة للميامين واربعة للمزابيع، وثوبان للحرابة، النصف على بني وليد والنصف على بني وازيت.[32]

للحرابة ضيافة ثلاثة أيام، والمقارحة لهم المونة لمن سكن الوطن،

(31) كانوا بالاضافة إلى التجارة يملكون الكثير من الحيازات الزراعية والمنازل والمخازن ويديرون المطابخ والمخابز، ويعملون في المستشفيات.

(32) أنظر عبد الرحمن تشايجي، ترجمة علي اعزازي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى ص84د الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى 1982.

غيره ليس من شيء أما أولاد درج على المصامدة، يعني يعمل فيهم بالجور، تارة بقليل وتارة بكثير، واما الخبز كله للعرب والتوارق والشاوش وغير ذلك والذين يأتون لغدامس أحياناً، البداية على بني وليد على شارع تصكو ثم تدور، ويخبز كل من سكن البلاد الحمران والعتارة عدا النزيل البراني ولكن كل شارع بعادته، أما الخبز للغربان - يقصد الغرباء - يخبزون له الساكنين الحمران والعتارة[33].

خارج البلاد سلطان الطوارق[34] له كسوة أما فرسه على بني وليد، والمونة تدور على خارج البلاد، والبداية على بني وليد[35]، والحرابة لهم خرّوبه على كل عبد يسافر إلى أرضهم - **يقصد كل مسافر** - من دخس مشرقاً إلى وطنهم دخس، وكذلك لهم قربتين على كل من ورد لغدامس من غات وتوات ومن فزان على البداية لا العرب - **يقصد ذوو المكانة** - وكذلك للندوات والتسعير - **ربما يقصد المدنيين لا البدو** - وأهل البلد ليس عليهم شيء للجرابة اذا قدموا من مقبل ولا من مغرب، أما ورغمة لهم ربع على كل من تخطت القافلة وطنهم والشعير كذلك، والطرود كذلك على من دخل وطنهم. وليس لهم المونة في غدامس[36].

علاقات غدامس مع بعض مدن أفريقيا:

كانت لهم علاقات ممتازة في كل المدن التي كانوا يتاجرون فيها، وقد سجل الحشائش بعض هذه المدن[37] ويقول: إن لبعضهم علاقات

---

(33) الحمران هم أحرار ولدوا أصلاً من أمة والعتارة هم الموالي، يقصد أن هؤلاء لا يقدمون أي شيء سوى خدمة الغرباء بأعداد الخبز لهم بعد انتهاء أيام الضيافة.

(34) يقصد أن هذا السلطان اذا قدم إلى غدامس يمكن خارج الصور على عادة الطوارق.

(35) ربما لأنها أكثر سكاناً وتجارة.

(36) أنظر ص226 من منتلنسكي، مصدر سابق.

(37) هي: برنو، تشاد، مرقو، كانو، نوفي، أدماز، زاريا، تنبكتو، سكتو، بوشيا، واداي، كانم.

متميزة مع مسؤوليها، وهم أول من دخل السودان بسلع تونس، وكانت لهم علاقات ومودة مع بعض أعيانها، وكانوا اذ ذاك ما ينيف على الثلاثمائة نفس قاطنين بتونس . . إلى أن قال: وقد تعلق فكري بأن أحرر كتاباً فيما يتعلق بهم. . . ولقد كان المشير الأول أحمد باشا جعل منهم حراساً للبلاد مثل أولاد البلاد يسمون باللواجة وكان لهم مركز في ساباط ابن نجمة قرب بئر الأحجار(38).

كما حدثنا عن الركب السنوي لتونس فيقول: . . . ما أن يصل الركب إلى حمام الأنف حتى يرسل له الأسر بواباً من طرفه لابلاغ سلام الأسير لأعيان الغدامسية والشرح بقدومه، وهذا الركب يحمل معه هدية للأمير. . وينزل الركب في فندق طبربه قرب باب العلوج فيقيم الأمير لهم واجب الضيافة. ولهم عوائد سنوية للمقيمين بتونس، ولم ينقطع هذا الركب الا في عهد المشير أحمد باشا الحسني.

علاقات غدامس التجارية:

من المعلوم أن غدامس كان لها قصب السبق في التوغل في الأراضي السودانية غرب ووسط أفريقيا لأجل التجارة وكانت البضائع التجارية تصل منذ القدم بطريق المقايضة عبر طرق عديدة من مراكز السودان إلى المغرب ومدن ساحل البحر المتوسط فقد اكتسب طريق طرابلس . **غدامس . غات . آبرا . تشاد .** أهمية إلى جانب طريق **توات . فقيق، وبالأحرى تفيلالت . عين صالح . تنبكتو،** ونتيجة لذلك فقد تطورت واحات غدامس ومرزق وغات وغيرها إلى محطات لتخزين بضائع القوافل أو لاستراحتها، كما تأسست تبع هذا التطور متاجر في الأماكن الهامة، ففى

(38) أنظر، محمد عثمان الحشائش، تقديم علي مصطفى المصراتي، رحلة الحشائش إلى ليبيا ص126 ـ 131 دار لبنان للطباعة والنشر، ط أولى 1965م.

كانو التي تعتبر من أهم مراكز تصريف البضائع التي كانت تأتي من جنوب ليبيا كان يعيش مئات التجار، وأصبحت طرابلس نهاية طرق القوافل على شاطىء البحر المتوسط، المركز الرئيس لتجارة أهل غدامس، وكان لهؤلاء مراكز تجارية في دول الهوسا... فالبعض من أهالي غات بغدامس كان يملك بيوتات تجارية في عشرين بلدة أو أكثر من الساحل والصحراء، وفي كانو وحدها كان يبلغ عدد البيوتات التجارية التابعة لاهل غدامس ما بين 60 ـ 80[39].

وقد تعرضت التجارة عبر الصحراء منذ القرن السادس عشر إلى أضرار، ففي هذه الفترة أخذت البيوت التجارية الأوروبية تؤسس مراكز لها في خليج غينيا، وتحول جزءاً هاماً من البضائع الواردة من غرب وأواسط بلاد السودان إلى شاطىء الأطلس، ورغم هذا فقد بقيت تجارة البحر المتوسط نشطة حتى افتتاح قناة السويس 1869م والتي أتاحت قيام خط بحري مباشر من البحر الأحمر إلى المرافىء الأوروبية.. إلا أن العلاقات التجارية بقيت متصلة مع دول الهوسا وبرنو وهما أهم مناطق التجارة الليبية، ولكن انخفضت مرابح القوافل الليبية لهذه الأسباب، وبسبب تأسيس مزارع لتربية النعام في جنوب أفريقيا، ثم توقفت التجارة الصحراوية بسبب الحدود التي أقامها الفرنسيون في الغرب والجنوب وإغلاق الحدود الليبية الجنوبية من قبل الايطاليين[40].

ففي كل المراكز الإفريقية التي كانوا يتاجرون فيها كانت علاقاتهم ناجحة وممتازة وهذا ما ذكره أكثر من مؤرخ، يقول أحمد ناجي: (إن خط السودان الوسطى عادة بيد الغدامسيين وقد خلق هؤلاء تجاراً

(39) الصحراء الكبرى، اعداد عماد الدين غانم وآخرون ص60 ـ 80، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(40) المصدر السابق ص230.

بالفطرة، وتكيفوا بالشروط المحلية، وهم أذكياء جداً يتقنون اللغة...)[41] أما كورو فقد قال: (تعتبر طريق السودان الأوسط حكراً على التجار الغدامسيين المستقرين بطرابلس ويعزى نجاحهم بالاضافة الى براعتهم وذكائهم الذي لا ينكر الى موقعهم الجغرافي الذي يجعل من بلادهم موقعاً أمامياً في المناطق ما قبل الصحراوية، والى المعرفة النادرة التي توافرت لهم بعدد كبير من اللغات واللهجات...)[42].

وقد كان الى عهد قريب وقبل قرن مضى التعامل في التجارة في فزان وغات وغدامس يتم على أساس مثقال من الذهب وأجزائه[43]، كما كانت غدامس تنتج ما يكفيها من المواد الغذائية والخضراوات، وساهمت بامداد السودان بالتمر، وكان الشب يستخرج من غدامس وكانت منطقة فزان منذ عصور قديمة جداً مصدراً لتصدير الأحجار الكريمة، تاجر فيها الجرمانتيون مع الفينيقيين والرومان، وكانت صحراء غدامس تحتفظ ببقايا هذه السلعة حتى عصر البكري[44].

وختاماً أقول إن مدينة غدامس التي تحدثت عنها هجرت تماماً ولم يبق بها ساكن واحد وقد حول سكانها جميعاً إلى المدينة الحديثة التي أنشئت في عهد ثورتنا المباركة، غير ان اهاليها لم يهجروها تماماً، فلا زالت علاقاتهم بمنازلهم القديمة وثيقة، يزورونها باستمرار كما أنهم يؤدون صلاة الجمعة والأعياد وصلاتي العصر والمغرب بمساجدها القديمة ويقيمون بعض الحفلات السنوية سواء منها الدينية او الوطنية في مساجدها وميادينها[45].

---

(41) انظر، محمود ناجي، ترجمة عبدالسلام أدهم، تاريخ طرابلس الغرب ص64.
(42) أنظر فرانشسكو كورو، تعريب خليفه التليسي: ليبيا أثناء العهد العثماني ص84، ط ثانية 1984، المنشاة العامة للنشر والتوزيع.
(43) أنظر ص222 من عماد غانم الصحراء الكبرى، مصدر سابق.
(44) انظر ص232 ـ 209 من المصدر السابق.
(45) انظر ص232 ـ 209 من المصدر السابق.

ولسائل ان يسأل: ما مصير هذه المدينة الشبه مهجورة؟ لقد تكونت منذ سنوات جمعية محلية تحمل اسم (**جمعية اصدقاء مدينة غدامس القديمة**) أخذت على عاتقها العمل على صيانة وحفظ هذا التراث الخالد ولكنها لم تستطع فعل أي شيء ذي بال حتى الآن، فجميع اتصالاتها مع الجهات المسؤولة لم تثمر شيئاً.

لقد نشرت صحيفة الجماهيرية الصادرة في 14 جمادى الثانية 1396 الموافق 13 من شهر النوار (فبراير) 1987م خبراً يفيد بأن لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو ادرجتها في قائمة التراث العالمي التي اصبحت تضم 247 اثراً وموقعاً.

وفي المدة الأخيرة ووفقاً للتوجهات الجديدة لأعمال التخطيط الطبيعي بالجماهيرية وهي حماية المدن القديمة التاريخية تم الشرع بالتعاون مع إدارة التطوير العمراني بالجماهيرية ومركز المستوطنات البشرية التابع للأمم المتحدة في إجراء دراسات أولية لوضع برامج للمحافظة على هذه المدينة، والله نسأل أن يكلل المساعي الحميدة بالنجاح.



(قراءة في كتاب الصحراء الكبرى)
تأليف/جيمس ديللارد

الأستاذ/عيسى أيوب الباروني

كبير مراقبي اللجنة الشعبية العامة للرقابة العامة

طرابلس

إقتصرت في هذا البحث على إلقاء الضوء على محتويات إجمالية من فصول كتاب [الصحراء الكبرى] تأليف/ جيمس ديللارد، ترجمة ونشر دار الفرجاني 1967.

وتذكرت وأنا أقرأ فصول هذا الكتاب ما قاله القائد / معمر القذافي مراراً وتكراراً، وحذّر العرب ودول العالم الثالث من أن الاستعمار سيعود لمجرد توفر الأسباب له. حيث أن الظاهرة الاستعمارية لصيقة للتاريخ ومشوهة له حتى يوم القيامة.

والدليل أن المؤلف متحمس للاستعمار داعياً إليه متحسراً على انحساره في طول الكتاب وعرضه... وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المؤلف في البحث والاستقصاء إلاّ

أنه لا يفعل ذلك بصفة حياد العالم الباحث، بل أنه كثيراً ما يحيد عن المنهج الموضوعي ويفتعل دائماً المواقف التي تؤكد على أن الاستعمار جنة الله في أرضه.

ويحمل المؤلف ـ مع الأسف ـ ضغائن وأحقاداً لكل ما هو مسلم وعربي وإفريقي. ولم نتمكن لضيق الوقت من حصر هذه الأحقاد، واكتفينا بعينات منها ضمن سياق البحث.

وفي اعتقادي أن دافع الكتاب تجاري، استعماري لأن الدافع العلمي شوهه المؤلف في كثيرٍ من الصفحات وخرج منه واهناً ضعيفاً دامياً شاكياً ولولا بقية من حياء لقتله نهائياً واستراح من خيره أو شره.

وأن الصبغة العلمية المحايدة لا تتعايش مطلقاً مع الذين يطلقون أحكاماً مسبقة بأن العرب والأفارقة همج متوحشون دون بحث ومسح علمي واجتماعي. وقبل الشروع في مناقشة محتويات الكتاب أود أن أبيِّن ما يلي:

1 ـ إن الكتاب من الناحية الفنية غير متكامل. وذلك أنه لم تكتب مقدمة للتعريف بالمؤلف ودواعي التأليف، كما أن اسم المترجم لم يذكر واكتفى بذكر دار النشر.

2 ـ إن المترجم قد ارتكب أخطاء موضوعية وفنية رغم ما بذله من جهد مشكور في ترجمة الكتاب، وأهم هذه الهفوات:

- يبدو أن المترجم ليست لديه خلفية ثقافية بأسماء بعض الأماكن في الصحراء، حيث إنه ترجم اسم واحة [عين صالح] بصحراء الجزائر ترجمة حرفية بعبارة [أن ساء الله].

- إنه أطلق على وادي الآجال [سابقاً] اسم وادي [العجل].

- إنه أطلق على [قصر ماره] عبارة كاسترا ماريا، وأحياناً كسار مارا.
- إنه تصرف بالزيادة والنقصان مراراً وذلك بحجج سطحية [سيأتي الكلام عنها] في صفحة من صفحات الكتاب الهامة.

وهذه العجالة لا تعطي صورة كاملة عن الكتاب، ولكن كما يقول المثال: شيء أحسن من لا شيء، وأكرر أن الجهود التي بذلها المترجم كانت موفقة رغم أن مواقفه في المواضيع الشاذة لا يبينها في الهامش.

تمهيد:

نحو الصحراء:

يذكرنا هذا العنوان بكتاب [نحو فزان] لغرتسياني وافتتح المؤلف كتابه برحلته إلى الصحراء كعالم في رحلة مشبوهة. وكان ذلك في أوائل الستينات حسب المفهوم من سياق الحديث، حيث يهمل المؤلف بالكامل ذكر تاريخ تحركاته وكانت أول انطباعاته عن الأثر الذي سماه أحياناً كسترا ماريا وأحيانا كسار مار.

يقول: إن أثر هذا الحصن الذي يقع غربي مرزق أثر روماني قطعاً... ولكنه وفي أسطر قليلة يبدي شكوكه بتساؤلاته: هل كانت كسترا ماريا، أو كسار ماراً قلعة رومانية بنتها فصيلة اغستا الثالثة الرومانية؟ إنه مجرد ظنون ولكنه يرجح أن تكون الآثار رومانية بدون دليل علمي، ولسنا ندري من الذي وقع في الخطأ هل المترجم أو المؤلف؟ أو الطباعة بإطلاق عبارتي [كسترا ماريا] [وكسار مارا] على أثر واحد قديم جاثم في سكون الصحراء غربي مرزق؟

وقد نبدي رأياً خاصاً، بأن المترجم قد أخطأ في ترجمة كسار مارا فوضعها حرفياً رغم أن اسمها المرجح [قصر ماره] وفي هذه الحالة

تتغلب الهوية العربية على الرومانية والكلمة الأولى للمهتمين بالتاريخ لا هواة التاريخ ولا نستطيع أن نجزم لمن هذا الأثر.

يعترف المؤلف ـ بعد أن أخذته الصحراء جلال العظيمة ـ بأن الصحراء الكبرى أغنى مواقع العالم قاطبة بالآثار بسبب صلتها الفريدة بالتاريخ، ولكن المؤلف يرى أن الرومان هم صانعو تاريخ الصحراء [هم بناة التاريخ الصحراوي] وكلنا يعلم أن تاريخ الصحراء موغل في القدم ويبدأ من قبل وجود الدولة الرومانية نفسها ويمتد إلى أعماق ما قبل التاريخ.

وقول المؤلف: ليس على أي منقب في وادي [العجل] أي الآجال ثم [وادي الحياة] إلاّ أن يضرب المعول ليعثر على بقايا الحضارات التي لا يعلم أحد أنها كانت في الزمن السحيق.

ويتحسر المؤلف، ويتأسف ويتباكى على انقطاع الاستكشافات الصحراوية منذ1400 سنة وذلك بسقوط الرومان. ويقول: إن هذه ثغرة في الاستكشاف ما كان يجب أن تحصر ويرى المؤلف أن الرومان صنعوا الحضارة في الصحراء التي زرعوها وعمروها من قبل المسيح.

ويرى أن فضائل الرومان على الصحراء لا تعد ولا تحصى معللاً ذلك ما يلي:

1 ـ أن للرومان وأتباعهم ـ أي عملاؤهم ـ فضل السبق في إرساء الحضارة الزراعية في الصحراء.

2 ـ أن الصحراء بعد انحسار الرومان أصبحت حكراً لأتباع محمد.

3 ـ أن سكان الصحراء متدينون متعصبون ويكرهون الكفر.

4 ـ لا يمكن السفر في الصحراء دون حماية أو ضمانة من المسؤولين والمشايخ.

5 ـ أن الرومان تغلبوا على الخفافيش سكان الكهوف من البرابرة الصحراويين.

6 ـ أصبح للرومان حرية الحركة في الصحراء بعد فتحهم لها.

7 ـ أن أسباب نجاح الرومان يعود إلى احتقار البربر من غير الرومان.

هذا ويستعرض المؤلف في نهاية الفصل الرواد (الأوروبيين ـ أي الجواسيس) وسيأتي الكلام عند ذلك بقدر الإمكان في صفحات قادمة.

الفصل الأول

في بداية الزمن:

يتحدث المؤلف على وادي الآجال سابقاً، أو وادي الحياة وغناه بفيض من الآثار لا ينضب معينها.

ويتحدث عن جرما عاصمة قدماء الليبيين، والتي يصر المؤلف على تسميتها باسم [غراما] وهو الاسم الروماني لها حسب قوله، ومن غراما يقول: إن الرومان قد انطلقوا إلى غزو بحيرة تشاد والنيجر.

ويقر المؤلف أن الصحراء متحف فني لما قبل التاريخ لا مثيل له [نفس رأي هنري لوت] ويتكلم المؤلف باستفاضة على لوحات ونقوش ما قبل التاريخ، ويتساءل: كيف أمكن إنجاز هذه الأعمال؟ وينوه بالخصوص بمنطقة تسالي.. [تسيلي].

ويرى أن هذه الآثار تعود إلى ما قبل 5000 سنة، وهو عصر الصيادين، أما عصر الرعاة فتبدأ من 3500 سنة قبل الميلاد.

ويرى أن لوحات تسيلي لا يقصد بها الناحية الجمالية، وإنما الناحية السحرية وهذه إشارة ضعيفة ومؤدبة بأن سكان الصحراء من غير

الرومان لا يعرفون الناحية الجمالية وإنما هم إلى السحرة أقرب. ولكنه يعود بعد أسطر لينفي كلامه هذا ويشكك فيه.

وبما أن المؤلف من أنصار الرومان فإنه لا تفوته فرصة لذكرهم، ولولا الحياء لقال: إن سكان الصحراء ما قبل التاريخ إنما هم أجداد الرومان، فيقول: ما مفاده إن المؤرخ اليوناني لأباطرة الرومان يرى أن هذه النقوش نوع من العبادة لصانع المطر. أي أنها نقوش استسقاء... ولا نرى وجهاً لهذا التفسير ولا يؤيده أي دليل علمي.

ويحشر هنا أسماء مشاهير الرومان مثل القديس أغسطس، وكوريبوس، ويربط أقوالهم بعبادة آمون، وغورزيل، وممارسة الحركات الدينية لسكان الصحراء. ولسنا ندري ما هي العلاقة بين فترة ما قبل التاريخ والرومان. وهيرودوت.

وهنا يبلغ المؤلف بيت القصيد. حيث يقول: ما مجمله إن اكتشاف الصحراء بما يفهم منه وجوب استمرار دراسة الصحراء... ويقصد الغربيين بالطبع. وحيث يروي قول أحد المؤرخين الرومان [سلوست]: ما مفاده إن الليبيين في القرن ما قبل ميلاد المسيح متوحشون جوالون دون هدف سعياً وراء الرزق، ولسنا ندري ما هو نوع الإثارة في هذا... سكان العالم أجمع تقريباً ما قبل المسيح كانوا شبه متوحشين بحكم الفترة التاريخية لسكان يعيشون في قساوة الصحراء... ويريدون أن يعيشوا بأية طريقة.

الفصل الثاني

فلتدمر قرطاجنة:

أنها عقدة المؤلف الرومانية الاستعمارية جعلته يختار هذا العنوان وكأنه يجد في ذلك لذة روحية لأنه روماني الهوى والنزعة، والهوية بدون تحفظ،

هذا يناقض المؤلف نفسه لما ذكره في فصل سابق. بأن الرومان هم سادة جرما ومنها انطلقوا نحو الشمال والجنوب، وأن القرطاجنيين لا يوجد ما يدل تاريخياً أنهم أكتشفوا الصحراء أو وجدوها. ويعود هنا فيقول: إن الجرمانيين هم مؤسسوا جرما وهم بناتها حيث اكتشف لهم فيها حوالي 40 ألف مقبرة.

ويناقض نفسه مرة أخرى فيقول: إن قضاء الرومان على قرطاجنة قضاء مبرماً كان السبب في عدم بروز معالم الفينيقيين للصحراء كما فعل الرومان الأمر الذي أكد عكسه في صفحة أخرى من هذا الكتاب حينما قال: إن القرطاجنيين توغلوا في الصحراء بعيداً نحو الجنوب حتى تشاد.

وهنا يقف المؤلف وقفة ناقد للمثقفين التونسيين على ضآلة معلوماتهم حول تاريخه وآثار قرطاجنة تلك التي تقع تحت أرض السكة الحديدية للقطار الصغير الذي يوصل ميدان العاصمة بمدينة المرسى ويلومهم على ذلك بصفة غير مباشرة.

ونحن لا نتهم المثقفين والمؤرخين التونسيين كما أتهمهم المؤلف وربما كانت هناك ملابسات جعلت المؤلف يقول ما يقول:

«إن إحدى عيني المؤلف ترى أن كل ما يتعلق بالرومان أصيل وجميل وطيب وفن أما العين الاخرى فترى أن قرطاجنة، بل شعب قرطاجنة شعب رجعي قاسٍ متعجرف عديم الشفقة وغير جذاب وجاهل بالفن، وأن قضاء الرومان ـ حسب قوله ـ على قرطاجنة لهو الصواب مجسماً في مسيرة التاريخ».

ويذكرني المؤلف بقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

أو قول شوقي في أبي الهول. . .

فعين إلى من بدا للوجود وعين مشبعة من غبر

أي أن له عينين غير متحدتي النظر كل منهما لها تخصص معين إلى الجيد والجميل والناشيء وعين إلى الموت والفناء والقبح ويذرف دموع التماسيح على اليهود القرطاجنيين وما لا قوه من طغيان حكام قرطاجنة وعلى رأسهم الطاغية مولوخ حسب قوله، واليهود في نظر الاستعمار الأوروبي قديمه وحديثه هم دائماً الضحية في الوقت الذي كانوا فيه مفسدين ومتآمرين في كل العصور.

ويتعرض المؤلف إلى متحف الكارتينال لافيجري بما يحويه من الآثار القرطاجنية القبيحة التي تحيط بتمثال جميل جداً من الرخام لسيدة تحمل حمامة ذلك التمثال الذي يحوي بالفن والمدنية والمحبة.

وبما أن التمثال بهذا الجمال فلا بد أن يكون يونانياً لأن القرطاجنيين ليسوا في المستوى الفني ولا الذوقي لمثل هذا التمثال البديع الذي تحيط به آثار قرطاجنية بشعة وقبيحة.

ومن الغريب وقد أطنب المؤلف في حديثه غير الوادي عن قرطاجنة وسروره البالغ بهزيمتها، فإن لم يشر مطلقاً إلى حقيقة تاريخنا تشكل حدثاً من أعظم أحداث التاريخ القديم، ألاّ وهي حملة هنيبال عبر فرنسا وأسبانيا لغزو روما عبر جبال الألب الرهيبة وكاد أن يحتل روما في معارك حاسمة لولا تدخل أحداث لم تكن لديه ولا عند الرومان أنفسهم في الحسبان، ذلك لأن الخيانة قد أطلت برأسها.

الفصول
الثالث والرابع والخامس

بعنوان المدن المفقودة ـ أعداء آلهة الرومان ـ هذا النصب الذي أقامته فرقة أوغستا الرومانية.

رأيت أن أختصر هذه الفصول في إشارة عابرة مفادها أنها لا تخلو من تمجيد روما والرومان بكونهم وحدهم صانعو التاريخ وهذه الفصول بالترتيب تحمل العناوين الآتية:

ـ هذا النصب أقامته فرقة أوغستا الثالثة.

ـ المدن المفقودة.

ـ أعداء آلهة الرومان.

الفصل السادس

غناء وحبور في الصحراء:

يشير المؤلف إلى زيارته لمدينة طرابلس في أوائل الستينات كما يفهم من سياق الحديث من فترة اكتشاف البترول حتى الوحدة الدستورية سنة 1963.

ويقول المؤلف عن ليبيا في ذلك الوقت: إنها دولة تثير الفضول، مركبة من ثلاثة أجزاء لا ربط بينها، وهذه حقيقة نقرها للمؤلف ويروي المؤلف حديثاً له مع أحد الشباب المثقفين في بعض المقاهي ومن المؤسف أنه لم يذكر اسمه.

كان الحوار بين الرجلين يدور حول مآسي الاستعمار حسب المفهوم الليبي ممثلاً في الشاب المتحدث... يقول ما فحواه: «إن الشاب عربي متحمس للعربية وللإسلام، والوحدة العربية، وأن الرسول ﷺ هو النور الذي عم البرايا».

لم يعجب هذا القول حضرة المؤلف خاصة وأن الشاب عزز رأيه بما فحواه حسب رواية المؤلف أن الدول الإفريقية الإسلامية داخل الصحراء وجميع الدول الإسلامية لاتتطلع إلى الحضارة الغربية بقد ما تتطلع إلى ماضيها المشرق المجيد...

ويقول المؤلف: «إنه تصعب على المسيحي أن يبتلع بأن الرسول محمداً ﷺ عمت أنواره البرايا وينسى المؤلف هذا الحوار الذي يكرهه، ولا يفهمه من هذا الشاب الذي احتسى معه كأس القهوة في المقهى الطرابلسي في مكان ما بالمدينة، ويعود لتمجيد الرومان والاستعمار الأوروبي، وينشر غسيله القذر في عبارات كثيرة مفادها. أن الرحالة الأوروبيين قد أكدوا جهل سكان الصحراء، وقذارتهم ووحشيتهم وغلظتهم، ولو كان المؤلف عارفاً معرفة العالم الباحث الحق بقساوة الصحراء وصعوبة العيش فيما لما قال هذا الهراء».

ويرى أن شباب العرب في ليبيا ممثلاً في الشاب الليبي المذكور لا يحملون العقلية الأوروبية وإنما العقلية العربية لأن الفرق الثقافي فرق شاسع.

ويرى المؤلف أن العرب هم أساتذة الرق، وصانعون ومستثمروه، لأن ذلك من طبيعة دينهم منذ نشوء محمد ﷺ الذي ولد مجتمع يحترف الرق، ويتساءل بناء على ذلك: كيف للشاب الطرابلسي أن يجهل الحقيقة التاريخية حسب زعمه المريض؟

ويأتي المؤلف بفرية كبيرة حيث يدعي أن الإسلام يحرص على الرق وينسب كل مساوئ الرقيق للعرب بأن ذلك جزء من عقيدة الأسلام... ولو كان المؤلف عالماً محايداً ما أطلق أحكامه المتهافتة أصلاً، مدحاً في الأسلام ونيلاً منه رغم أننا لا ننكر تصرفات بعض تجار الصحراء التي أساءت إلى الإسلام والمسلمين، ويدعي المؤلف أن مؤسسة الرق ترتكز ارتكازاً كبيراً على الرق وفي هذه المؤسسة نشأ وترعرع محمد ﷺ.

ويقول: «إن تجار العرب في غاية من البساطة لأن منطقهم الفطري يرى أن الله خلق العبيد السود أرقاء بطبعهم كما خلق سواد بشرتهم!!».

ولو فهم المؤلف روح القرآن الذي يحرص على تحرير الرق في كل مناسبة، وجعل من ذلك بعض الشعائر الدينية للمسلمين. . . لما ذكر هذا الهراء.

ونشارك المؤلف في بعض آرائه المتعلقة بسوء معاملة الرقيق، وتجارة الرقيق بصورة جزئية، ولكنه ينسب ذلك ظلماً إلى الدين الإسلامي، وكأنّ تصرفه الحاقد يعبر عن رأي المسيح ـ عليه السلام ـ وحاشاه أن يكون كذلك.

وللتأكيد على عدم مصداقية المؤلف في ذرف الدموع على الرقيق الذي يتعامل معه العرب، فإنه يغض الطرف، بأن المسيحيين كانوا من دعاة الرقيق بترفعهم وتكبرهم على الأجناس الأخرى، وفي هذا الخصوص يتجاهل المؤلف مآسي قبائل إفريقيا الوسطى والغربية بما قاسوه من قتل وتشريد ومطاردة وأسر، وجلب العبيد في سفنهم الخاصة بكل أنواع العذاب إلى مزارع السكر والقطن في أميركا الشمالية والوسطى ونتذكر في هذا الخصوص شريط الجذور الذي عرض في السنوات الماضية، والذي اعتبر النقاد أنه يعالج ما حصل فعلاً ولا يعالج الأكاذيب والخيال!.

وأن المحتلين يعبرون بصدق عن عنجهية البيض وقساوتهم وغلظتهم وفسادهم الخلقي وينسي المؤلف ما عاناه شعب الهنود الحمر من مطاردة حتى كاد أن ينقرض.

وإن كان تجار العرب يتعاملون مع الرقيق بشحنات لا تقارن مع شحنات السفن والقرصنة. . . فإن الرجل الأبيض هو سيد الرق، وحامية، والداعي إليه، وما الاستعمار إلاّ نوع من الرق الفظيع.

ويروي المؤلف على لسان الرحالة بارث: «لقد شهدنا برعب عظيم

كيف تم ذبح 170 رجلاً رقيقاً بلا رحمة لعدم الفائدة منهم، وكانت وسيلة القتل من تجار الرقيق العرب تتم بواسطة كسر الساق حتى ينزف جميع الدم حتى يموت ـ ويطرح بارث ـ جدولاً بالأسعار المتداولة:

رجل رقيق أو امرأة = 8 ورقات. جلد غزال يساوي 20 ورقة.

رجل خصي يساوي 40 ورقة ـ جمل يساوي 50 ورقة

قط المسك يساوي 200 ورقة.

والأرقام تتكلم، ولا نستغرب إن حدث هذا في عالم الصحراء منذ قرون.

ويعود المؤلف ثانية إلى الافتراء على الإسلام ويرى أن القرار الديني في الإسلام يشجع على الرقيق، ويعترف بأن بعض المسيحيين شاركوا المسلمين في جريمة الرق... ولا يقول: إن المسيحيين تشجع الرق.. وهو صادق في هذه الأخيرة ولكنه حق يراد به باطل ويؤكد المؤلف أن العالم الإسلامي عالم متحجر، ومتأخر وذلك بحكم طبيعة دينهم ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. صدق الله العظيم.

الفصل السابع

الجغرافيون وخرائط إفريقيا:

يتحدث المؤلف في هذا الفصل بإسهاب عن محاولات اكتشاف نهر النيجر واتجاهه ثم يتطرق إلى الحملة التي نظمها سلطان المغرب في أواخر القرن السادس عشر في حملة تتألف من 7 آلاف رجل، وثمانية آلاف جمل محملة بأوقارها، وألف حصان لاكتشاف نهر النيجر ولكي يربط المؤلف الأحداث الصحراوية بكل ما هو أوروبي قال: «إن ذلك في عصر الملكة اليزابيث الأولى».

ويضفي على هذه الحملة بأنها تحمل الصبغة الأوروبية، لأن الخبراء في الأسلحة والمدافع كلهم أوروبيون وينفي على هؤلاء الأوروبيين أنهم لم يفيدوا بلدانهم في شيء سوى أنهم استغفلوا سكان الصحراء لاستخلاص بعض المعلومات المفيدة للأوروبيين، ويعترف ضمنا بكلمة [استغفال] أن الأوروبيين من طبيعتهم الغش والنفاق والخداع في الوقت الذي كان هؤلاء المغفلون الذين يثقون فيهم يمثلون الجهل والغباء والسذاجة، وإلاّ لما أعطوا هؤلاء أية فرصة للاطلاع على عوراتهم.

وعندما تأسست جمعية [تشجيع اكتشاف إفريقيا] في بريطانيا تمهيداً لاستعمارها بالطبع كان أول روادها لاكتشاف الصحراء شخص يدعي أودني الذي مات بالحمى في وسط الصحراء بنيجيريا، وهو يتلو الكتاب المقدس حسب زعم المؤلف، حتى يضفي صبغة القداسة الكاذبة لأعمال الجواسيس الأوروبيين المكلفين بكشف أسرار الصحراء تمهيداً لابتلاعها.

ويأتي بعده المستشرق [لوكاس] وكان عالماً بالعربية حيث كلفته الجمعية المذكورة باختراق الصحراء، ولكنه لم يتجاوز مدينة لبدة.

وكلف الرحالة لدبارد باكتشاف الصحراء من الشرق إلى الغرب ابتداء من القاهرة ولكنه توفى قبل بدء عمله في القاهرة.

أما الكابتن ليون موفد الجمعية الآخر فتنكر بزي الإسلام [جبناً ونذالة] خوفاً من البطش معللاً قوله: «إن المسلمين لا يسمحون لكافر باختراق الصحراء».

وتختلط الأمور على [ليون] لجهله وغبائه، فيخلط بين تصرف المشعوذين والزنادقة الذي أطلق عليهم [أولياء] بالنسبة للمسلمين ويرى أن تصرفات هؤلاء المشعوذين والحمقى من ادعاء إنما هي من صميم الدين الإسلامي نفسه، ولم يوجد أي [عالم] بالأديان أو عاقل من هؤلاء لا يعرف أن الشعوذة شيء والإسلام شيء آخر. ولا شك أن [ليون] اعتبر

أن تصرفات [الزهاد والأولياء] الكريهي المنظر والذين يلبسون أسمالاً قذرة ويؤذون الناس إنما هم [أولياء الله]. . . يقول الشاعر:

العلم علم كفى بالعمل مكرمة   والجهل جهل كفى بالجهل ادماراً

ومن الغريب أن الرحالة عندما يصل إلى زويلة يؤكد أن المقابر التي شيدها آل الخطاب إنما هي آثار رومانية، ويشاركه المؤلف في ذلك. وهذا قمة الجهل حيث يصر على أنها مقابر رومانية وأضرحة بيزنطية.

ولا يتورع الرحالة رتشارد فيما بعد إن يتفاخر بخيانة زوجات من وثقوا فيه من المغفلين الصحراويين، وكأن رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ نفسها تدعو إلى الفجور وهتك الأعراض وخيانة من استضافوه وحموه. يقول ﷺ: «**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**». وهكذا يتفاخرون بالأخلاق المسيحية!.

الفصل الثامن

لقد قاسيت كثيراً ولكني لم أشك أبداً:

كانت بريطانيا متلهفة إلى اكتشاف الأراضي الإفريقية المرشحة للاستعمار الذي استبدل بكلمة حماية.

ولهذا العرض وبعد فشل رتشي وليون، كلفت الحكومة البريطانية الجراح ولتراودني واللفتنانت كلابرتون، والمأجور دنهام، وقد استطاع هؤلاء ولوج الصحراء من بورنو إلى ساكاتوا عاصمة فلالة، وألَّف هؤلاء كتاباً بهذا المعنى حوى ما جمعه هؤلاء من معلومات سنوات (1823 ـ 1824) وقد أهدي الكتاب إلى الإيرل وبعد استعراض مواهبهم وتاريخ حياتهم تمتد من 1790 حتى ثلث القرن التالي يقول بعضهم عن انطباعاتهم في الصحراء. . .«إن الزوجة المتحررة والمرأة الصخابة تصبح هنا كنز الرجل الإنكليزي ومبعث سروره وباعثة الحياة في مصطلاه».

ويذكر الرحالة دونهام ما معناه، أن العرب سلبوا ثيابه وبقي عارياً كما ولدته أمه وأبدى روح الرجل المسيحي المؤمن ويقول: «ذلك أننا نتحدث عن رجال يؤمنون بدينهم» وكأن الدين يأمر بالفسق والفجور والاعتداء على بلاد الغير والتجسس والتآمر وهي دائماً أهم شعارات من أسموهم برواد الصحراء.

ويصل الجماعة إلى بحيرة تشاد [أودني وكلابرتون] بينما كان دونهام متوجها إليها بعد أن وصلته نجدة من طرابلس. وبالمناسبة يشيد المؤلف كعادته دائماً بعد قرن من الزمان حيث وصل ماترنوس الروماني سنة 70ق.م، بعد إقلاعه من جرما ولكن دونهام زميلهم في الجانب الثاني مات بعد شهرين من وصوله بحيرة تشاد.

ويروي المؤلف على لسان أدوني ما فحواه: «لقد دلهم شخص يدعى مصطفى إلى بناء شيده الرومان ولا توجد فيه أية نقوش أصلية وكان ذلك مبعث سرور الرحالة ويصف المبنى الأثري ولم يتأكد الراوي من هويته التاريخية، ولكنه يرجح أنه روماني. كان ذلك على بعد ثلاثة أميال من جرما. واستدل المؤلف أنه معلم روماني في طريق القوافل الجالبة للتمور».

وكل تقديرات الرحالة والمؤلف معاً، تقديرات استعمارية لأن كل أثر في نظرهم روماني ويعبر المؤلف عن تخوف بعض الأذكياء من سكان الصحراء من الرواد البريطانيين وكانوا صادقين عندما شكوا [متأخرين جداً] في نوايا بريطانيا التي استعمرت الهند البعيدة فما بالك بالصحراء القريبة نسبياً.

الفصل التاسع

الطريق اللئيمة:

ويقصد المؤلف من العنوان والإشارة إلى طريق الصحراء الكبرى طرابلس إلى تمبوكتو... وبما أنها مزعجة للأوروبيين فلا بد أن تكون لئيمة، فطريق الصحراء مليئة بالعواصف والعطش والتعب والضياع والموت.

ويسرد المؤلف بإسهاب قصة رحلة الدكتور/لانج الذي قتل في ضواحي تمبوكتو 1826 ويروي المؤلف المشاق والمغامرات التي لاقاها لانج في طريقه، بعد أن أخذ منه قنصل بريطانيا تصريحاً من [يوسف القره مانلي] مع رسائل توجيه، وبعد أن تزوج من أيما زواجاً سريعاً بعد رحيله بيومين.

ويشك المؤلف في خيانة باباني دليل لانج في الصحراء الذي لم يحمه من الضرب والطعن من قبل أصحاب الغيرة على بلادهم والذين يطلق عليهم المؤلف بالمتوحشين والمعتدين وكأنهم ثاروا عليه في الصحراء الجليد الشمالي. ويشكر الشيخ مختار الذي حين مرض لانج مكنه من الوصول إلى تمبوكتو سنة 1826.

ويروي المؤلف أثناء سياق حديثه عن رحلة الدكتور لانج أن مدينة تمبوكتو هدف الرحالة الأوروبيين كانت تعيش دائماً في رعب وسلب من جراء هجمات القبائل في الوقت الذي يشيد بأسواقها، وتنوع أجناسها، وخدماتها لإرباك القوافل وهذا بالطبع يتعارض مع عدم استقرار أحد بها.

ويصف المؤلف قتل لانج بأنه كارثة علمية بسبب أن مستنداته ووثائقه قد أبيدت. وينقم على وحشية الذين يغارون على أوطانهم ووحشية الأذكياء الذين يشمون رائحة الخطر الاستعماري قبل وقوعه، وهذا ما فعله قاتل لانج، لأنه من الناحية الوطنية والمنطقية لم يرتكب ذنباً، وإنه قام بالنيابة العفوية عن سكان تمبوكتو بدفع الخطر قبل وقوعه.

والمستندات التي أحرقت لا تخرج عن كونها مستندات تجسسية حيث إنها تحوي تفاصيل دقيقة عن خريطة تمبوكتو والطريق إليها، ووصف مجتمعاتها، واقتصادياتها ومن يسهل على المستعمرين افتتاحها.

ويأتي بعد لانج رحالة فرنسي تعلم اللغة العربية وتنكر في زي مسلم وعندما وصل إلى تمبوكتو سنة 1828 ذرف الدموع على قبر لانج زميله في الجاسوسية، وكان هذا يدعي رينية كاييد. وقد رفض بعد رجوعه إلى

فرنسا نصيحة القنصل البريطاني اليهودي في باريس بتسلم أوراقه عن نتائح رحلته إلى الحكومة البريطانية لينال جائزة قيمة. ولكنه رفض وقال: «إن هدفي هو خدمة ملك فرنسا لا خدمة بريطانيا حتى ولو كانت مكافأة بريطانيا أضعاف المكافأة الفرنسية».

ويدافع كاييد عن نفسه باتهامه من قبل البعض أنه اعتنق الإسلام وغضب كثيراً من ذلك وقال: «إن الآلام التي تسببت فيها هذه الاتهامات لا تقاس بما عاناه من رحلته القاسية إلى تمبوكتو». وذلك لأنه تنكر في زي مسلم مكراً واحتيالاً لقضاء مآربه من المغفلين. وربما اعتقد البعض خطأ بأنه أسلم. وتبرأ من اتهامهم.

الفصل العاشر

عالم إفريقيا المنعزل:

في هذا الفصل أورد إحصائية مفصلة للمغامرين الرحالة في الصحراء (الأوروبيين) بين سنتي (1828 ـ 1880) أي لمدة ½ قرن تقريباً عن المجهود، والغارات، وفي مهمات تجسسية ظاهرها البحث العلمي وباطنها العذاب. ونورد كشفاً بسيطاً بإحصائية عدد هؤلاء الرحالة خلال الفترة المذكورة.

الذين حاولوا ولوج الصحراء	200	رحالة
الذين ماتوا خلال الرحلات	165	رحالة
الذين فشلوا ورجعوا	30	رحالة
الذين وفقوا في الوصول إلى تمبوكتو	4	رحالين
المجموع	399	

وزيادة في التفصيل أرفق كشفاً بأسماء الأشخاص والمناطق المستهدفة.

السنة	أسماء الأشخاص والمناطق المستهدفة
(1789)	بعثة لوكاس لديار، مات قبل مباشرة في القاهرة.
(1790)	بعثة المأجور دانيار، هاوتون إلى تمبوكتو قتل في بلاد السودان.
(1801)	فريدريك هورنمان، عبر الصحراء مات في بلاد السودان.
(1806)	مانغو بارك، نهر النيجر قتل أو مات غرقاً في النجير كما مات 46 جندياً بريطانياً يقودهم بارك.
(1819)	بعثة ريتشي في مرزق.
(1820)	أودني ـ كلابرتون ـ دنهام عبر الصحراء مع أربعة مرافقين مات منهم أربعة بمن فيهم كلابرتون في بلاد السودان.
(1825)	كلابرتون إلى النيجر مع أربعة مرافقين مات منهم أربعة بمن فيهم كلابرتون في بلاد السودان.
(1827)	المأجور لينغ، من طرابلس إلى تمبوكتو قتل قرب آرادان.
(1828)	رنيه كاييه، من تمبوكتو إلى طنجة.
(1835)	الدكتور داڤيدسون، من مراكش إلى تمبوكتو قُتل في الصحراء.
(1859 ـ 1861)	بعثة دوفيريه إلى الطوارق.
(1962)	ڤون بورمان، بحثاً عن فوجل قتل شمالي بحيرة تشاد.
(1866)	جيرارد رولفس رحلة عبر إفريقيا.
(1869)	الآنسة تينه من طرابلس إلى بحيرة تشاد قتلت قرب مرزق.
(1869 ـ 1874)	الدكتور غوستاف ناختيغال ـ السودان الأوسط الشرقي
(1873 ـ 1874)	بعثة دورنو ـ دوبير ـ جوبير الفرنسية من الجزائر إلى تمبوكتو قتل الثلاثة قرب غدامس.
(1876)	بعثة الاباء البيض الى تمبوكتو قتل ثلاثة رهبان قرب واحة الغولية.
(1877)	الدكتور ارفين باري إلى تمبوكتو بطريق الهوغار توفي في غات.
(1880)	الدكتور أوسكار لينز يصل إلى تمبوكتو.
(1879 ـ 1881)	مشروع سكة حديد عبر الصحراء الكبرى الكولونيل فلاترز وفرقته يقتلون في الصحراء.
(1850)	ريشاردسون ـ اوفرويغ ـ بارت ـ فوجل من طرابلس إلى بحيرة تمبوكتو. عام (1851) مات ريشاردسون في بورنو. عام (1852) مات اوفرويغ في بحيرة تشاد. عام (1853) وصل بارت إلى تمبوكتو. عام (1856) قتل فوجل في وادي.
(1885)	الدكتور بالات من تونس إلى تمبوكتو قتل في الصحراء.
(1889)	كميل دول من مراكش إلى تمبوكتو ذبحه ادلاؤه وهو نائم.

الفصل الحادي عشر

احتلال الجزائر:

يتكلم فيه المؤلف بإسهاب وشماتة عن احتلال الجزائر سنة 1830 وأسبابه وقصة المذبحة التي غيَّرت وجهة التاريخ وهو عنوان الفصل.

ويؤكد المؤلف أن جميع الأوروبيين والأمريكان باركوا هذا الاحتلال لكونه نصراً للمسيحيين الذين يتشدقون به وصرح رئيس الولايات المتحدة آنذاك أن هذا عمل رفيع، وأن القوة هي التي تنشىء الحق. ويتحسر المؤلف على وفاة ايتون المشهور في درنة ومصر وتأييده (لأحمد باشا القره مانلي) ويقول: «ما معناه... حبذا لو عاش ايتون ليرى هذا الحادث السعيد، ويتذكر المؤلف بهذه المناسبة مقولة ايتون قبل وفاته» أن الله قد وعد الأمريكيين بجنة خاصة بهم وباستطاعة الأمريكيين إذا أرادوا أن يصلوا قبر محمد ﷺ».

إن إيتون حسب قول المؤلف لو عاش حتى 1830 لصفق طويلاً من الفرح. وبهذه المناسبة فإن هذا يؤكده مرة أخرى ما قاله القائد /معمر القذافي بإمكانية عودة الاستعمار عندما تتاح له الفرص، وما أحداث الخليج الجارية إلاّ النذير العملي لعودة الاستعمار. وما أشبه الليلة بالبارحة والشي بالشيء يذكر.

ففي الحرب العالمية الأولى وضع المرشال اللنبي حذاؤه القذر على قبر صلاح الدين بدمشق وناجاه بقوله: «لقد عدنا يا صلاح الدين» واليوم يحتل حلف الأطلسي الأماكن المقدسة واستطاعوا أن يطوقوا قبر محمد ﷺ والكعبة والشريفة... تماماً كما تنبأ ايتون حوالي قرنين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويؤكد المؤلف سروره لهذا الاحتلال المسخ ولما أسماه بالإعانات

المتلاحقة للأوروبيين لأن الأعمال الوحشية للمسلمين في الشمال الإفريقي قد نبَّهت العالم إلى ممارسة الرقيق وإهانة المسيحيين، وجلب حسناواتهم إلى حرم السلطان. وأن فرنسا بهذا الاحتلال برهنت أن هناك إلٰهاً مسيحياً قد عبر المتوسط يرافق الجيش الفرنسي ويقول المؤلف: إن كنوز الداي غطت جميع تكاليف الحملة بزيادة ولكن المؤلف يعترف بفظائع الفرنسيين التي اعتبرها مشروعة والتي تتمثل في:

- قطع الأشجار المثمرة بالجملة وحرمان ملاكها منها.
- إحراق المنازل وقتل الشيوخ والأطفال والنساء بالجملة وبلا رحمة.
- هتك أعراض النساء بدون هوادة.
- قطع أعناق النساء من أجل حليهن [الأيدي والأرجل].
- أن النساء دافعن عن أنفسهن كاللبوات.
- أحرقت في مناطق القبائل مئات القرى بل الآلاف.
- دمرت جميع الواحات النضرة.
- حرق آلاف الناس والحيوان في الكهوف وخنقها حتى الموت.

وقبل أحداث الجزائر استغل هؤلاء الجواسيس سذاجة بعض مشايخ الصحراء وتصرفاتهم وألصقوا كل ذلك بالإسلام ولا يعرفون أن هؤلاء المشايخ في أغلبهم تنقصهم الثقافة الإسلامية الصافية من الشوائب.

وفي هذا السياق رواية دافيدسون بهجوم النساء والإطفال عليه لفحصهم بكونه طبيباً حتى يضيق صدراً بهم وينعتهم بالكلاب بقوله: «هذه هي الكلاب التعيسة تزحف نحوي لقد جاءت تقبل ركبتي آه لو استطيع الهرب».

وعندما طلب السلطان من الطبيب دافيدسون أن يفحص خصيتاه طلب علاجاً لما يصفه المؤلف رمزاً للبرود الجنسي.

ويعلق المؤلف على داڤيدسون بأنه نزق والسبب أنه كان في بلاد [إن ساء الله] ويقصد عين صالح التي تعني العجز والمكر. . .

ويبدو أن تفسير المؤلف تفسير جاهل لأنه خلط بين عبارة [إن شاء الله] وعبارة [إن ساء الله] التي تعني عين صالح وترجمها المترجم خطأ لعدم معرفته بجغرافية الصحراء الجزائرية والأوروبيين لا يؤمنون بمشيئة الله لذا اعتبروا عبارة إن شاء الله مكراً وعجزاً.

ويصف داڤيدسون المجتمع الصحراوي بكل صفات القبح والقذارة والمرض وهي صفات يشترك فيها العربي والبربري على حد سواء حسب قوله. ويصف دافيسدسون أخلاق أحد مشايخ الصحراء بما مجمله:

- أنه متوحش أحياناً.
- أنه خسيس ومتزلف.
- أنه طماع يطلب البقشيس أو البيع مجاناً رغم غناه الفاحش.
- أنه أحياناً أخرى بالغ اللطف والحنان.
- له أربع زوجات وأربعون أمة وأولاد لا حصر لهم.
- أن حياة البؤس تبدو على الأولاد بأسمالهم البالية وقذارتهم.

وإننا لا نستبعد هذا. . . فحياة الصحراء الجافة القاسية، وعدم الوعي الديني والثقافي والسذاجة والعفوية وعدم إدراكهم لخطورة [ضيوفهم] الرحالة على مستقبلهم ومستقبل الصحراء بأسرها.

أما الرحالة دفيريه فيفتخر بأنه اكتشف حدود الدولة الرومانية بالصحراء وأنه استطاع أن يستميل كثيراً من الزوجات الجميلات خلسة عن أزواجهن مغامرة مفصلة بعلاقته بإحدى الفاتنات التي غاب زوجها في رحلة وكأن المسيح ـ عليه السلام ـ يحرض على الفسق والخيانة وهتك

أعراض الناس والتغرير بنسائهم. ويبدو أن المؤلف قد انتشي بهذه السمفونية الشيطانية.

وتطبيقاً لمبدأ فرق تسد زرع الفرنسيون في رؤوس بعض العرب أن البربر سلاسة دنيا ويجب سحقهم.

ثم يمجد المؤلف مساعي الكنيسة لتنصير المسلمين بقيادة الكردينال المتعصب ضد الإسلام [شارل لافيجري].

ولكي يستطيع المؤلف أن يشوه الإسلام ويؤكد هذا التشوه في جميع صفحات الكتاب تقريباً بصفة مباشرة أو غير مباشرة يصف مروره بوارقلا [وارقلة] جنوب الجزائر ويسمع الأذان في الصلاة الذي تعبر عنه استخفافاً أنه غناء من الأنف. وذلك على لسان الرحالة ترومليه.

ويقول ترومليه: «إن وصف الإسلام للجنة هو سبب النجاح الكبير الذي حققه الإسلام في جميع المناطق».

وهنا يقع المترجم في خطأ فادح حيث يتعمد حذف عبارات تسيء إلى الإسلام بحجة غيرته على الإسلام، وإننا لا ننكر عليه ذلك، ولكن الترجمة أمانة حتى ولو كانت لكتاب ألّفه الشيطان نفسه. ويورد بدلاً من ذلك وصف الجنة كما وردت في القرآن وهو ما لم يفعله المؤلف إلا بإشارات والوصف والإشارة إلى خلطه الجاهل بين القرآن والحديث في استطاعة المترجم لو أنصف أن يذكر كل ذلك، ويعلق عليه في هامش الصفحة بعد الخط الفاصل كما يشاء وبالاسلوب الذي يريد، وبأي حجج يراها لتفنيد قول المؤلف ويصف المؤلف رحلة تروميله وزيارة بعض المنازل بما مجمله:

- المنزل مليء بالعفوية كل ما بداخله بسيط وعتيق.
- غرفة نون صاحب المنزل مظلمة رطبة، أما سريره فكان مهترئاً.

وهكذا يفسح هؤلاء المجال لسيدهم الاطلاع والإعداد على عاهاتهم وأسرارهم ومخادعهم، وهذا قمة الذل والمهانة والعار حسب رأينا.

ويبرر المؤلف ذلك بأن هدف ترومليه الاطلاع على العرب وهو ضابط عسكري لا يرى إلا بعين عسكرية.

يقول ترومليه عن سكان وارغلا [وارقلة]:

1 ـ إن السكان في تعاسة شديدة.

2 ـ جلودهم مترهلة، وعيونهم حمراء من المرض والهزال وسيقانهم تحمل علامات أصيبوا بها في ميادين الفساد والرذيلة.

3 ـ يبدو أن هؤلاء يصبون نزول اللعنات علينا.

وإننا نرى أن هذا وصفة عار لفرنسا التي يفترض أن تكون مسؤولة على رعاياها بعد احتلال دام 30 سنة حتى سنة 1860 وهو تاريخ زيارة ترومليه بأن لوارغلا [وارقلة] ووصفة إياها بكل نقيصة: فقر وجهل ومرض وقذارة، ويتشدق ترومليه بأن فرنسا فتحت بعض المدارس في القرى لتلقين أطفال العرب مبادىء القراءة. ويتهم المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع بؤس لأن هذا من صميم الإسلام.

وهكذا أجمع هؤلاء الرحالة أن الإسلام دين قذارة وبؤس من جرة قلم يسرد ترومليه رواية يصعب تصديقها وإن كان يمكن حدوثها نادراً.

حيث إنه يصف معاملة العرب لحيواناتهم الأليفة بكل قسوة وسوء معاملة وتحملها فوق ما تطيق وتجويعها وضربها مبرحاً وتعذيبها بكل قوة، ويدعي أن العرب يضربون الحمير والجمال بكل قسوة وبلا رحمة حيث يجلد الحيوان جلداً مبرحاً وهو يحمل فوق طاقته اقتصاديات الصحراء بكاملها.

والواقع أن هذا القول فيه حسب رأينا إلاّ في حالات شاذة لا تقاس فالعربي بطبعه حريص على حيواناته التي يتعيش منها، ولا يسمح أن تبيت بدون عشاء مثلاً، وأتذكر وأنا طفل صغير في مجتمعنا القروي أن الأب لا يهتم كثيراً إذا بات ابنه بدون عشاء وأنه يعرف أنه سيعوض نفسه بعد النوم. ولكن ينفجر غيظاً إذا لم يمد الحيوان، بالقش والعشب أو عاد باكراً من المرعى قبل أن يشبع، أو بقي بدون شراب أو ماء.

ويدعي ترومليه أن معاملة المسلمين والوثنيين للحيوانات بكل قسوة أنه هو من طبيعتهم وطبيعة معتقداتهم. ويعلق ترومليه ساخراً بما معناه إجمالياً:

بقدر ما يقسو العربي على سوائمه بقدر ما يتساهل مع البق والبراغيث التي تتحد عضوياً معه في الفراش.

كما يتطرق إلى إهانة المرأة واعتبارها للإنجاب فقط كسائمة ويرى أن هناك مجموعات من الشباب المسلمين الثائرين على أوضاع المجتمع العربي ويمجدون البريق الغربي وسماهم بالمسلمين الجدد.

كما يرى الإسلام يشترط التكاليف العالية في الزواج ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله... كم أساء المسلمون إلى دينهم.

وعلى هامش الخطأ الفادح المشار إليه نورد النص الحرفي لتعليق المترجم [هنا يورد الكابتن ترومليه آيات قرآنية وأحاديث نبوية في موضوع المرأة إيراداً يسوده الخلط الفادح بين الآية والحديث كما يسوده الفهم السقيم لحقيقة منزلة المرأة في الاسلام وقد رأينا إسقاط هذا القسم من أقوال الضابط الفرنسي المذكور] ونحن نقول: «إن المترجم ليس له حق التغيير مهما كانت الأسباب وعليه أن يبين رأية في الهامش. وقد أشرنا إلى الموضوع فيما سبق.

الفصل الثاني عشر

ذاهبون لإماطة اللثام:

يتساءل المؤلف عن الأسباب التي دعت فرنسا لاحتلال الجزائر وهي أرض غير مصطادة ونساؤها عاديات الجمال، ولكنه يجيب عن سؤاله بنفسه إن هذا مبعثه الوطنية العظيمة وهي من معالم القرن التاسع عشر.

وفي هذا الفصل يسهب المؤلف في وصف مغامرات الضباط الفرنسيين في الصحراء وغربي إفريقيا ويذكر أحداثاً . لا مجال لذكرها . للصراع الفرنسي البريطاني في غرب إفريقيا ولكنه صراع السباع على الفرائس. ويسهب في وصف المغامرات الناجحة والفاشلة لرواد الكنيسة مثل ذي فوكو وغيره من الجواسيس.

ويتحسر بالخصوص على بعثة كازافيته التي أبيدت من قبل مجاهدي الطوارق العظام ويبرر فشل البعثة بقساوة الصحراء ومعاداة الطوارق، وقلة الماء ووصف الطوارق بالأشياء لمجرد أنهم يأبون الذل والضيم والاستعمار. وتكلم بإسهاب عن فشل مد خط حديدي عبر الصحراء ليصل الجزائر بتمبوكتو وهو أقصى أماني المستعمرين الفرنسيين.

الفصل الثالث عشر

تكلم فيه عن المغامرة الحيوية الاستكشافية للضابط لابرين ورفاقه والتي كانت عاقبتها الموت بالتوهان عن الطريق إلى النيجر وعن طريق الجو لأول مرة فوق الصحراء: (1912). ويعود المؤلف وبدون مناسبة إلى تمجيد الرومان الذين مدنوا البرابرة المتوحشين وحذوت فرنسا حذوهم لتكميل رسالتهم الاستعمارية التي انقطعت بفضل قوة الإسلام 1400 سنة منذ جلاء الرومان والتي عثر عليها المؤلف ودعا إلى وصل حلقات التاريخ الإستعماري. ثم يصف المؤلف إحدى ملاحم الشعب الجزائري فيقول ما

معناه: إن خسائرهم جسيمة في الأرواح والممتلكات والحيوانات، وإن نساءهم يقاتلن بوحشية حتى الموت. وإن فرنسا تعدم الأسرى جميعاً بالرصاص وإن جثث الحيوانات والإنسان تمتد على طول الصحراء بدرجة يستطيع بها الأعمى الاهتداء عن طريق الشم إلى مبتغاه حتى عافتها الوحوش والكواسر... ويتطرق المؤلف بإسهاب إلى أسباب تشكيل الفرقة الأجنبية المتوحشة والمكونة من شذاذ الأفاق وأراذلهم. ويمكن إدراج معلومات مختصرة من أقوال المؤلف حول هذه الفرقة على لسان متطوع فيها يدعي ماغنوس [أميركي] الجنسية:

- تأسست سنة (1831) من قبل ملك فرنسا لويس فيليب.
- الفكرة والسبب اجتذاب المغامرين واللصوص لمساعدة الجيش.
- أن الفرقة الأجنبية من حثالة الناس وأكثرهم وحشية على الإطلاق.
- إنهم يبيدون قرى بكاملها دون أن يتحرك لهم جفن.
- إنهم إرهابيون بدون حدود.

إنهم قتلة ولصوص، وبهذا السبب اختيروا ليكونوا أداة للإرهاب أما الأوصاف الشخصية فيصفها المتطوع السابق [ماغنوس في كتاب له بالخصوص].

- لا يوجد رجل في الفرقة يوثق في أمانته إلى درجة المستحيل.
- إنهم لا يعرفون الأخلاق أصلاً لأنهم لا يمارسونها قطعاً.
- إن عواطفهم ميتة وعديم المكارم وبلا شعور إنساني.
- مهمتهم السلب والقتل والاعتداء على الأموال والأعراض.
- لا يعرفون الصداقة أصلاً ولا يمارسونها أنهم غرباء عنها.

- لاشيء مقدس عندهم.

- لا رحمة ولا أدب ولا لباقة ولا كياسة مطلقاً.

- لا طرف ولا خفة دم أصلاً ولا يفهمون النكتة ولا يعرفونها [ليس لهم أسلوب في الحديث ولا يعرفون الحديث]؟.

- إنهم في الجملة خليط من الوحوش والسكارى والمعربدين.

- إنهم قذرون دائماً وتعتبر القذارة جزءاً منهم ولهم.

- أفكارهم شريرة بدون تحفظ وفي جميع الأوقات.

- إن أسلوبهم في التعذيب ليس له مثيل حيث تقتل ضحاياهم ببطء عضواً عضواً وعظماً عظماً ثم يرمون ضحاياهم في فوهة المدافع مع الذخيرة بعد أن يدوسها بأقدامهم القذرة.

هذه هذه.. حضارة الغرب وحضارة فرنسا... وإننا ننتهز هذه الفرصة لنحيي شعب الجزائر البطل وشعب الطوارق في جنوب الصحراء على جلدهم وصبرهم وتضحياتهم الجسيمة في كل شيء ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

الفصل الرابع عشر

المبشرون:

يقول المؤلف: «إن الكنيسة الفرنسية أثناء احتلال الجزائر كانت هي الجيش الثاني وكان تصميم مطران الجزائر بعد الاحتلال تصميماً أكيداً وقاطعاً لتنصير السكان المتوحشين.

ويقول: «إن جميع السكان عرب وبربر وطوارق [محمديون] ويعني مسلمين، وبهذه المناسبة فإن كلمة [المحمديون] أدخلها الغربيون ليوحوا أنهم مجرد أتباع زعيم لا رسول ولذا يتوجب أن ننتبه إليها».

ويقول المؤلف: «إن بعض المبشرين أفلحوا في كشف ورد العرب والواقع أنهم لا يبرزون شخصيتهم الدينية إمعاناً في الكيد حتى تنطلي حليهم على البسطاء وكل ما أفلح فيه هؤلاء المبشرون تنصر عجوز ساحرة تدعى [مساوا] وبئست الحصيلة الهزيلة لقسوة وظلم لا حدود لهما.

وهنا يتنفس المؤلف الصعداء حينما يقول بكل شماتة: «إن مدينة تمبوكتو المنيعة أصبحت بفضل رشاشات مكسم الفرنسية وديعة كالقط وفتحت أبوابها لأعداء المسلمين وأنفسها راغم».

ولكن المؤلف لا يكتم عندما يقتل الطوارق الجاسوس الراهب ذي فوكو الذي عاش طويلاً في محيط الطوارق... ولم يقتل إلا بعد أن انكشف أمره... لقد كان ذي فوكو يبدو وديعاً مسالماً واختار العيش في مجتمع الطوارق بالصحراء الذي يدعوهم كيداً ومكراً وكفراً بأبنائه.

لقد كان ذي فوكو يوزَّع إبر الخياطة على النساء، واعتبر الفرنسيون ذلك عملاً إنسانياً يخدعهم بالقناع.

وعندما انكشف أمره ودسائسه، امتدت إليه يد في الظلام الدامس خارج خيمته وقبضت عليه... إنها يد مجاهد مجهول ولا شك.

الفصل الخامس عشر

السيارة تعبر الصحراء والنفط يظهر:

وفيه يتطرق المؤلف إلى النصف الأول وربما الربع الأول من القرن الحالي واكتشاف البترول لسيارات الصحراء وهتك أسرارها.

ويدعي المؤلف على لسان هنري لوط أن صحراء بوتقة إلهام للعبقرية الفرنسية، ثم يتكلم عن شركة ستروين وأحلامها العريقة لاختراق الصحراء بسيارتها وبناء المراكز الأمنية والسياحية لاستغلالها في صالح المستعمرين فحسب، بل لترسيخ قدم فرنسا نهائياً.

وفي هدوء الظروف الاستكشافية المستجدة في الصحراء يتذمر الفرنسيون من تدخل الولايات المتحدة لتفسد عليهم شعوب شمال إفريقيا وتنافسهم فس استعمارها المقنع باسم الحرية. بالإضافة إلى خلق هذا التوازن برزت مشاكل مستجدة خطيرة أمام الفرنسيين منها:

- تذمر الفرنسيين في طلب التونسيين بالجلاء عن بنزرت.
- عزم المغاربة على طرد الفرنسيين من الصحراء.
- تغلغل جبهة التحرير الجزائرية في الصحراء.
- تحول البدو فرنسا بعد موالاتهم لها حسب زعم المؤلف.
- تأثر الطوارق بالدعوة السنوسية المعادية لفرنسا.
- أميركا تريد أن تحل محل الفرنسيين وتنافسهم على النفوذ وعلى رأسهم الجزائر.

وبعد موجة استقلال الدول الإفريقية يعلق المؤلف بما مجمله إنها ضعيفة وهربكة ومفككة ودكتاتورية، ولا خوف منها وأن الأوروبيين هم الذين يسيرون فعلاً هذه الحكومات لأنها مستقلة سياسياً فقط وليست لديها إمكانيات فنية أو إدارية.

وأن الثقافة الأوروبية هي التي ستظل سائدة في المدن الساحلية وباختصار فإن المؤلف يوحي أن الدول الإفريقية المستقلة لا خطر منها ولا كيان لها، والأوروبيون هم الذين يسيرون فيها فنياً ومشورة وعملاً.

ويقول كل ما لديهم من مظاهر القوة:

1 ـ صوت في الأمم المتحدة.

2 ـ الخوارد النفطية الطارئة التي يسيرها الأوروبيون لجهل المواطنين أصول الاستكشاف والاستخراج والتسويق والتكرير.

وفي الختام أشار إلى اعتزاز الإفريقي الزنجي بقوميته، [وكله حسرة] ويورد شاهداً شعرياً لا شك فيه أنه مترجم إلى العربية ترجمة جيدة حسب ظاهر معناه...

ولم يذكر المؤلف اسم الشاعر الإفريقي ولعله ليوبولد سنغور أحد الشعراء القلائل العباقرة باللغة الفرنسية.

(1)

أيتها المرأة السوداء
المتجللة بجلباب لونها الذي يعني الحياة
إن جمالك يضيء سواد قلبي
لم يصب البرق سواد الأجواء

(2)

إن الهناء أسود
أسود سواد أزلياً
ذو شفتين غليظتين شهوانيتين

(3)

الرجل الأبيض أقبل إليَّ
وكان أبي رجلاً فخوراً
الرجل الأبيض أغري أخي
وكانت أمي حسناء
الرجل الأبيض أحرق أخي

فــــي هـــــاجـــــرة الـــــظـــــهـــــيــــــرة

كـــــان أخــــــي شـــــابـــــاً قــــــويـــــاً

وهذا هو الرجل الأبيض يلتفت إلى ويداه ملطختان بالدم

لــــيـــــقـــــول لــــي بـــــصــــوت الـــــغـــــازي

يــــا ولــــد هـــات كــرســيــاً، ومـــنــديــلاً ومــشــروبــاً

وبهذه الأبيات الجميلة يكفِّر المؤلف عن بعض ذنوبه الاستعمارية.

Recent non- Arabic Publications (1995)

Books compiled by Hans Schlüter

ART / LINGUISTICS / LITERATURE

Abu-Absi, S. 8545
Chadian Arabic.
Ed. by U.J. Luders. München: Lincom Europa 1995. 44 pp. (Languages of the world. Materials. 21.)

Actes du cinquième colloque 8546
de linguistique Nilo-Saharienne, 24-29 août 1992, Université de Nice - Sophia-Antipolis. Ed. par R. Nicolai, F. Rottland. Köln: Köppe 1995. 429 pp.

Afriques imaginaires. 8547
Regards réciproqies et discours littéraires, 17e-20e. Sous la dir. de A. Wynchank, P.-J. Salazar. Paris: L'Harmattan 1995. 300 pp.

Anthologie de la poésie 8548
kabyle (bilingue).
Y. Nacib. Paris: Publisud 1995. 523 pp. (Littératures)

Aydoun, A. 8549
Musiques du Maroc. 2e éd.
Casablanca: Eddif 1995. 192 pp.

Bachir Hadj-Ali 8550
: poétique et politique.
Sous la dir. de N. Khadda. Paris: L'Harmattan 1995. 91 pp.

Boudjedra, R. 8551
Lettres algériennes.
Paris: Grasset 1995. 206 pp.

Bourkhis, R. 8552
Tahar Ben Jelloun: la poussière d'or et la face masquée - approche linguistique. Paris: L'Harmattan 1995. 223 pp.

Brahimi, D. 8553
Maghrébines: portraits littéraires. Paris: L'Harmattan 1995. 181 pp.

Le calcul inconscient de 8554
l'improvisation. Poésie berbere - rythme, nombres et sens. Hassan Jouad. Paris: Peeters 1995. 347 pp. (Etudes chamito-sémitiques)

Chaker, S. 8555
Linguistique berbère. Etudes de syntaxe et de diachronie. Paris: Peeters 1995. 273 pp. (Selaf. 353.)

Chellabi, L. 8556
De Shamballa à Rabat.
A propos ... . Aiglun: Cledam 1995. 148 pp. (De si de La)

Contes et légendes touaregs 8557
du Niger. Des hommes et des djinns. Rec. par L. Rivaillé d'après une idée de B. Raymond et ecrits pa P.-M. Decoudras. Paris: Karthala 1993. 203 pp.

Danby, M. 8558
Moorish style.
London: Phaidon 1995. 240 pp.

Decourt, N. - Louali- 8559
Raynal, N.
Contes maghrébins en situation interculturelle. Paris: Karthala 1995. 172 pp.

Dib, F. 8560
Les prénoms arabes.
Paris: L'Harmattan 1995. 212 pp.

Djaout, T. 8561
Les vigiles.
Paris: Seuil 1995. 217 pp. (Points. 171.)

Djebar, A. 8562
Le blanc de l'Algérie.
Récit. Paris: Albin Michel 1995.
279 pp.

Djebar, A. 8563
Femmes d'Alger dans leur
Appartement. Paris: Des Femmes
1995. 167 pp.

Les écrits des femmes tuni- 8564
siennes: bibliographie 1994.
Tunis: Centre de Recherches,
d'Etudes, de Documentation et
d'Information sur la Femme,(CREDIF
1995. 19, 13 pp.

Boukich, L. 8565
Au-delà des remparts de Fez.
Contes. Paris: L'Harmattan 1995.
173 pp.

Ethnographical texts in 8566
Moroccan Berber. Ed. by
A. Nakano.
Tokyo: Institute for the Study of
Languages and Cultures of Asia and
Africa.
2. Dialect of AntiAtlas. 1995.
99 pp. (Studia Berberi. 2.)

Faqih, A. 8567
Gardens of the night.
A trilogy. Transl. by R. Harris,
A. al-'Ayouti and S. 'Allam.
London: Quartet Books 1995. 488 pp.

Le français au Maghreb. 8568
Actes du colloque d'Aix-en-
Provence, septembre 1994. CNRS ...
A. Queffélec ... . Aix-en-Provence
Publ. de l'Université de Provence
1995. 272 pp.

Frobenius, L. 8569
Contes kabyles. Trad. par
M. Fetta. Aix-en-Provence: Edisud
1995. 328 pp.

Hassan Massoudy. Le chemin 8570
d'un calligraphe. J.-P. Sicre.
Paris: Phébus 1995. 179 pp.

Hedgecoe, J. - Damluji, S. 8571
Zillig.
Paris: Garnet 1995. 352 pp.

L'honneur de la tribu de 8572
Rachid Mimouni. Lectures
algériennes. Ed. sous la dir. de
N. Khadda. Paris: L'Harmattan 1995.
94 pp.

Hopkins, J. 8573
Carnets de Tanger: 1962-
1979. Traduit de l'américain.
Paris: La Table Ronde 1995. 313 pp.

L'image dans le monde arabe. 8574
Extrait de l'Annuaire de
l'Afrique du Nord 1993. Sous la
dir. de G. Beaugé. Paris: CNRS Ed.
1995. VI, 322 pp.

Intercultural music. 8575
Ed. by C. T. Kimberlin and
A. Euba. Bayreuth: Breitinger
1995. 262 pp.

Islamic art in the 8576
Ashmolean Museum. Ed. by
J. Allan. Oxford: Oxford University
Press.
1.1995. X, 198 pp.

Jaidi, M.D. 8577
Cinégraphiques (cinéma et
société). Rabat: Al Majal 1995.
141 pp.

Jereb, J.F. 8578
Arts and crafts of Morocco.
London: Thames and Hudson 1995.
160 pp.

Koni, I. al- 8579
Blutender Stein. Roman aus
Libyen. Aus dem Arabischen von
H. Fähndrich. Basel: Lenos Verlag
1995. 152 pp.

Kühnel, R. 8580
Die sprachliche Situation an
Hochschulen des Maghreb und die
offizielle Sprachpolitik. Eine
sozio-linguistische Untersuchung.
Frankfurt a.M.: Lang 1995. 268 pp.

Lanasri, A. 8581
La littérature algérienne de l'entre-deux guerres. Genèse et fonctionnement. Paris: Publisud 1995. 565 pp.

Loprieno, A. 8582
Ancient Egyptian. A linguistic introduction. Cambridge: Cambridge University Press 1995. XV, 322 pp.

Lumières tunisiennes: 8583
exposition, Pavillon des Arts, Paris, 19 mai - 3 septembre 1995. Paris: Paris-Musées 1995. 144 pp.

Lyons, M.C. 8584
The Arabian epic. Heroic and oral story-telling. 1-3. Cambridge: Cambridge University Pr. 1995.

Mecheri-Saada, N. 8585
Musique touarègue de l'Ahaggar. Paris: Editions Awal-L'Harmattan 1994. 252 pp.

Modern Arabic drama. 8586
An anthology. Ed. by S.K. Jayyusi and R. Allen. Bloomington: Indiana University Press 1995. XII, 416 pp.

Ornement arabe. 8587
Paris: L'Aventurine 1995. 93 pp. (Encyclopédie de l'ornement)

Papers from the seventh 8588
annual symposium on Arabic linguistics. Ed. by M. Eid. Amsterdam: Benjamins 1995. 192 pp. (Perspectives on Arabic linguistics. 7.)

Poché, C. 8589
La musique arabo-andalouse. Arles: Cité de la Musique, Actes du Sud 1995. 153 pp.

Shamy, H.M. el- 8590
Folk traditions of the Arab world. A guide to motif classification. Bloomington: Indiana University Press 1995. 461, 575 pp.

Sociolinguistics in Morocco. 8591
Ed. by M. Ennaji. Berlin: Mouton de Gruyter 1995. 135 pp. International journal of the sociology of language. 112.)

Spring, C. - Hudson, J. 8592
North African textiles. London: British Museum Press 1995. 143 pp.

Textes berbères des Aït 8593
Souab (AntiAtlas, Maroc) - capitaine J. Podeur. Ed. N. van den Boogert ... . Aix-en-Provence: Edisud 1995. 160 pp.

Virolle, M. 8594
La chanson raï. De l'Algérie profonde à la scène internationale. Paris: Karthala 1995. 211 pp.

Voisin, A. 8595
Contes et légendes du Sahara. Paris: L'Harmattan 1995. 191 pp.

Yabès, B. 8596
Récits et légendes de la Grande Kabylie. Ed. O. Ould-Braham. Aix-en-Provence: Edisud 1993. 159 pp.

Yacine, T. 8597
Cherif Kheddam ou l'amour de l'art. Chansons berbères contemporaines 1995. 246 pp.

BIBLIOGRAPHY

Behn, W.H. 8598
Index Islamicus Supplement 1665-1980. Millersville, Pa.: Adiyok. Part 1. A bibliography of articles on Islamic subjects in periodicals and other collective publications. 1995. XXV, 872 pp.

Brenier-Estrine, C. 8599
Bibliographie berbère annotée: 1993-1994. Aix-en-Provence: Institut de Recherches et d'Etudes

sur le Monde Arabe et Musulman 1995. 199 pp.

Catalogue of microforms projects in Ottoman, Persian and Arabic. Chicago, Ill.: University of Chicago, Middle East Documentation Center 1995. 69 pp. (Printed materials) 8600

Edited works and collections on the Middle East: tables of contents and author index. Tucson, Arizona: Middle East Studies Association of North America. 7.1994 Ed. by J. Hall ... 1995. 100 pp. 8601

Etats des études sur la bibliothéconomie et sciences de l'information dans le monde arabe. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 461, 19 pp. 8602

Findlay, Anne M. - Findlay, Allan M. 8603
Morocco. Revised ed. Oxford: Clio 1995. XXXII, 178 pp. (World bibliographical series. 47.)

Francis, S. 8604
Libraries and information in the Near East and Central Asia. Letchworth: Turpin for the British Library Research and Development Dept. 1995. 94 pp. (Library and information research report. 106.)

Informationssgning om det moderne Mellemøsten: symposium. Ed. by M. Madsen and C. Wien. Copenhagen: Danmarks Biblioteksskole, Odense: Center for Mellemøst-Studier Odense Universitet 1995. 83 pp. 8605

Joffé, E.G.H. - Day-Viaud, V. 8606
Chad. Oxford: Clio 1995. XXVIII, 190 pp. (World bibliographical series. series. 177.)

Latham, A.J.H. 8607
Africa, Asia and South America since 1800: a bibliographical guide. Manchester: Manchester University Press 1995. 259 pp.

Lawless, R.L. 8608
Algeria. Revised ed. Oxford: Clio 1995. LXXV, 309 pp. (World bibliographical series. 19)

Mohan, P.C. 8609
Bibliography of publications, Technical Dept. of the World Bank, Africa region, July 1987 to April 1995. Washington, D.C.: World Bank 1995. 46 pp. (World Bank technical paper. 301.)

Ould Hamody, M.S. 8610
Bibliographie générale de la Mauritanie. Nouakchott: Centre Culturel Français de Nouakchott 1995. 580 pp.

Payne, M. - Vassie, R. 8611
UK doctoral theses on the Middle East. Boston Spa: British Library Supply Centre 1995. 93 pp.

Ruhe, E. 8612
Algerien-Bibliographie: Deutschland, Österreich, Schweiz 1962-1994. 2. erw. Aufl. Wiesbaden: Harrassowitz 1995. 283 pp.

Temimi, A. 8613
Bibliographie générale d'études d'études moriques. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 330, 51 pp.

ECONOMICS

Ahmed Khan, J. 8614
Islamic economics and finance: a bibliography. London: Mansell 1995. 157 pp.

Alikhani, H. 8615
In the claw of the eagle: a guide to US sanctions against Libya. London: Centre for Business Studies 1995. 461 pp.

Dallas, R. 8616
The Economist 'Pocket Middle East and North Africa'. London: Hamish Hamilton 1995. 166 pp. (Profiles, facts and figures)

Energy watchers VI. 8617
Energy industry responses to the 1990s: competition, efficiency, and investment, and Middle Eastern oil and gas to 2000 and beyond: supply and demand issues. Ed. by D.H. El Mallakh. Boulder, Colo.: The International Research Center for Energy and Economic Development 1995. XVIII, 211 pp.

L'état du monde 1996. 8618
Annuaire économique et géo-politique mondial. Dir. S. Cordellier. Paris: La Découverte 1995. 704 pp.

Field, M. 8619
Morocco as an investment market. London: Committee for Middle East Trade 1995. 62 pp.

Gender and development in the Arab world: women's economic participation, patterns and policies. 8620
Ed. by N.F. Khoury ... . London: Zed Books 1995. XII, 203 pp.

Issawi, C. 8621
The Middle East economy: decline and recovery. Selected essays. Princeton, N.J.: Markus Wiener Publ. 1995. VIII, 239 pp.

Kaur, R. 8622
Islamic co-operation and unity. Socio-political, economic and military relations with special reference to Pakistan, Libya and Sudan. Delhi: Deep & Deep 1993. 242 pp.

Khan, T. 8623
Islamic economics, a bibliography. Jeddah: Islamic Research and Training Institute, Islamic Development Bank 1984. XV, 156 pp.

Länderbericht: Maghreb-Staaten 1994. 8624
Statistisches Bundesamt. Stuttgart: Metzler-Poeschel 1994. 241 pp.

Looney, R.E. - Winterford, D. 8625
Economic causes and consequences of defense expenditures in the Middle East and South Asia. Boulder, Colo.: Westview Pr. 1995. X, 227 pp.

Maghreb-Moyen-Orient mutations. 8626
Paris: SEDES 1995. 347 pp. (Dossiers des images économiques du monde. 17.)

Martines, F. 8627
The co-operation agreements with Maghreb countries. A contribution to the study of consistency of EEC development cooperation policy. Florence: European University Institute 1994. 227 pp.

Middle East oil and gas. 8628
International Energy Agency. Paris: OECD/IEA 1995. 411 pp.

Le migrazioni maghrebine. 8629
Atti del convegno su 'La migration au Maghreb'. A cura di Luigi di Comite. Bari: Cacucci Editore 1995. 400 pp.

Mojuetan, B.A. 8630
History and underdevelopment in Morocco - the structural roots of conjuncture. Münster, Hamburg: Lit 1995. VII, 231 pp.

Moser, M. 8631
Internationale Wirtschaftssanktionen und ihre Auswirkungen auf das Private Banking. An den Beispielen von Libyen und Südafrika. Bern: Haupt 1995. 59 pp. (Publikation der Swiss Banking School. 116.)

Oil in the new world order. 8632
Ed. by K. Gillespie and C.M. Henry. Gainesville, Fla.: University Press of Florida 1995. XI, 340 pp.

Oujemmaa, S. 8633
Le contrôle des finances publiques au Maroc. Casablanca: Wallada 1995. 265 pp.

Les politiques alimentaires en Afrique du Nord: d'une assistance généralisée aux interventions ciblées. Sous la dir. de M. Padilla ... . Paris: Karthala 1995. 435 pp. 8634

Le prospettive culturali e lo sviluppo economico fra le due rive del Mediterraneo. Colloquio internazionale Roma, 26 novembre 1993.Istituto Italo-Africano. Roma: Centro Analisi Sociale 1995. 114 pp. 8635

Resilience and growth through sustained adjustment. The Moroccan experience. Saleh M. Nsouli ... . Washington, D.C.: International Monetary Fund 1995. VII, 147 pp. (Occasional paper. 117.) 8636

Riordan, E.M. et al. 8637
The world economy and implications for the Middle East and North Africa region, 1995-2010. Cairo: Economic Research Forum for the Arab Countries, Iran and Turkey 1995. 81 pp. (Working paper. 9519.)

Sadik, A. 8638
Economie du Maroc, accélération de l'histoire. Rabat: Ed. La Porte 1995. 138 pp.

Sid Ahmed, A. 8639
Un projet pour l'Algérie: éléments pour un réel partenariat euro-méditerranéen. Paris: Publisud 1995. 94 pp.

Structures rurales et organisations des marchés. Contribution à la connaissance des expériences tunisienne et française. Sous la dir. de R. Ben Hammed et J.-P. Théron. Toulouse: Institut d'Etudes Politiques de Toulouse 1995. 211 pp. 8640

Talha, L. 8641
Croissance, crise et mutations économiques au Maghreb (1970-1994). Louvain-la-Neuve: CERMA 1995. 50 pp. (Cahier. Centre d'Etudes et de Recherches sur le Monde Arabe Contemporain. 115.)

Tunisia - statistical annex. By A. Jbili et al. Washington, D.C.: International Monetary Fund 1995. 56 pp. (IMF staff country reports. 95/17.) 8642

E D U C A T I O N

Actes du Ier congrès international sur: Rôle des institutions de recherche en sciences humaines et sociales dans les pays arabes et en Turquie. Etudes réunies et préfacées par A. Temimi. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 241, 368 pp. 8643

L'Afrique et le centénaire du cinéma. Dakar: Présence Africaine 1995. 412 pp. 8644

Ayalon, A. 8645
The press in the Arab Middle East - a history. Oxford: Oxford University Press 1995. XIV, 300 pp.

Bridging the cultural gap: a European-Arab/Muslim conference, Louisiana - Denmark. Ed. by N. Barfoed, A. Jerichow, T. Petruso. Copenhagen: Danish PEN 1995. 153 pp. 8646

Centres of learning: learning and location in pre-modern Europe and the Near East. Ed. by J.W. Drijvers ... . Leiden: Brill 1995. XIV, 340 pp. (Brill's studies in intellectual history. 61.) 8647

Culture algérienne dans les textes. Choix et présentation par J. Dejeux. Paris: Publisud 1995. 167 pp. 8648

La défense des cultures en Afrique du Nord: en considerant le cas de la Tunisie. Coord. H. Zaidi, F. Wirth. Sous la dir. de F. Wirth, E. Joseph. Eschborn: Deutsche Gesellschaft für Technische Zusammenarbeit 1994. 372 pp. 8649

Directory of museums in the Arab countries. Répertoire des musées des pays arabes 1995. Paris: International Council of Museums/Conseil International des Musées 1995. 60 pp. 8650

Dondin-Payre, M. La Commission d'Exploration Scientifique d'Algerie: une héritière méconnue de la Commission d'Egypte. Paris: Boccard 1995. 142 pp. 8651

Education and ideology. Konrad-Adenauer-Stiftung. Ed.: M.G. Meier. Ankara 1995. 116 pp. (Euro-Arabisches Dialog-Programm. 2.) 8652

Gandolfi, S. Le radici dimenticate. Appoggio istituzionale al sistema universitario in Africa. Pref. di A. Perotti. Bologna: EMI 1995. 202 pp. 8653

L'interculturel: réflexion pluridisciplinaire. Publ. Facultés des Lettres de Rabat et Kénitra, Alliance Franco-Marocaine de Kénitra, Université Paris-Nord. Paris: L'Harmattan 1995. 217 pp. (Etudes littéraires maghrébines. 6.) 8654

Itinéraire du savoir en Tunisie. Les temps forts de l'histoire tunisienne. Coord. par H. Annabi ... . Paris: CNRS Ed. 1995. 182 pp. 8655

Olden, A. Libraries in Africa: pioneers, policies, problems. Lanham: Scarecrow Press 1995. 170 pp. 8656

Presse und Öffentlichkeit im Nahen Osten. Hrsg. von C. Herzog ... . Heidelberg: Heidelberger Orientverl. 1995. VIII, 183 pp. 8657

Proceedings of the fifth international symposium for the history of Arabic science, Granada 1992. Aleppo/Halab: Mansurat Jamiat Halab 1995. 432 pp. (Pt. 1.) 8658

Proceedings of the Pan-African conference on the preservation and conservation of library and archive materials, Nairobi, Kenya, 21-25 June 1993. The Hague: IFLA 1995. 211 pp. (IFLA professional reports. 43.) 8659

La réforme de l'enseignement au Maroc: une contribution au débat. Groupe d'Etudes et de Recherches sur les Ressources Humaines. Rabat: Réalisation 1995. 170 pp. 8660

Sraïeb, N. Le Collège Sadiki de Tunis 1875-1956. Enseignement et nationalisme. Paris: CNRS Ed. 1995. 346 pp. 8661

GEOGRAPHY / GEOLOGY

Abel, H. Gerhard Rohlfs - Leben und Werk aus heutiger Sicht. Nachdruck eines Artikels aud dem Jahre 1986. Fotos: H. Gnettner. Bremen: Museum Schloss Schönebeck 1995. 20 pp. 8662

Arnold, A. - Bloch, D. Algerien: eine frühere Siedlungskolonie auf dem Weg zum Schwellenland. Gotha: Perthes 1995. 224 pp. (Perthes Länderprofile) 8663

Charles-Roux, E. Nomade j'etais. Les années africaines d'Isabelle Eberhardt 1899-1904. Paris: Grasset 1995. 586 pp. 8664

Désertification et aménagement au Maghreb. Sous la dir. de G. Coudé-Gaussen, P. Rognon. Paris: L'Harmattan 1995. 313 pp. 8665

Eberhardt, I. 8666
In the shadow of Islam. Transl. by S. Bangert. London and Chester Springs, Pa.: Peter Owen/ Dufour Editions 1995. 120 pp.

Eberhardt, I. 8667
Prisoner of dunes. Transl. by S. Bangert. London and Chester Springs, Pa.: Peter Owen/ Dufour Editions 1995. XV, 127 pp.

Glatzer, E. 8668
Aktivierungsanalyse und Massenspektrometrie von libyschen Wüstengläsern und ähnlichen natürlichen Gläsern. Köln: Univ., Geol. Inst. 1993. 112 pp. (Sonderveröffentlichungen. Geologisches Institut der Universität zu Köln. 89.)

Gmira, S. 8669
Etude des chéloniens fossiles du Maroc. Anatomie, systématique, phylogénie. Paris: CNRS Ed. 1995. 174 pp.

Grevoz, D. 8670
Ailes brisees sur les dunes, la première traversée aérienne du Sahara - fevrier 1920. Paris: L'Harmattan 1995. 141 pp.

Kemmerich, M. 8671
Orts- und Flurnamen rund um die Sahara und ihre Ursprünge. Augsburg: Kemmerich. 1.1995. 151 pp.

Mainguet, M. 8672
L'homme et la sécheresse. Paris: Masson 1995. 352 pp.

Le Maroc et l'Europe. 8673
Textes réunis par Y.-H. Nouailhat. Nantes: Ouest Editions 1995. 144 pp. (Enquêtes et documents. Centre de Recherches sur l'Histoire du Monde Atlantique)

Ornithological survey of the coast of Libya, July 1993 (with notes on some wetlands in Tunisia). P.L. Meininger, P.A. Wolf, D.A. Hadoud, M.F.A. Essghaier. Zeist, The Netherlands: Foundation Working Group International Wader and Waterfowl Research 1994. 70 pp. (WIWO report. 46.) 8674

Parry, J.H. 8675
Le grandi scoperte geografiche 1450-1650. Milano: Il Saggiatore 1994. 431 pp.

Voinot, L. 8676
Le Tidikelt. Etude sur la géographie, l'histoire, les moeurs du pays. Facsimilé de l'éd. d'Oran 1909. Calvisson: Gandini 1995. 156 pp.

Wolff, H.-P. 8677
The role of pine forests in farming systems and forestry development: an example from central Morocco. Kiel: Wissenschaftsverlag Vauk 1995. 252 pp.

H I S T O R Y

G e n e r a l

Les arabes, du message à l'histoire. Sous la dir. de D. Chevallier ... . Paris: Fayard 1995. 650 pp. 8678

Les arabes et l'histoire créatrice. Sous la dir. de D. Chevallier ... . Paris: Presses de l'Université de Paris-Sorbonne 1995. 200 pp. 8679

Berg, W.G. 8680
Historical dictionary of Malta. Lanham, Md., London: Scarecrow 1995. XXI, 163 pp. (European historical dictionaries. 10.)

Cavalieri dell'Africa: storia iconografia, simbolismo. Atti del ciclo di incontri. A cura di 8681

G. Pezzoli. Milano: Centro Studi Archeologia Africana di Milano 1995. 301 pp.

Chaliand, G. - Rageau, P. 8682
Atlas des mondes méditerranéens. Paris: Payot 1995.

Civil society in the Middle East. Ed. by A.R. Norton. 8683
Leiden: Brill.
1.1995. X, 328 pp.

Elfakir, A. 8684
Oedipe et personnalité au Maghreb: éléments d'ethnopsychologie clinique. Préf. H. Sztulman. Paris: L'Harmattan 1995. 192 pp.

Griffith, I.L. 8685
The African inheritance.
London: Routledge 1995. 216 pp.

Hottinger, A. 8686
Die Mauren: arabische Kultur in Spanien. München: Fink 1995. 495 pp.

Iliffe, J. 8687
Africans. The history of a continent. Cambridge: Cambridge University Press 1995. XI, 323 pp.

Leakey, R. 8688
The origin of humankind.
London: Phoenix 1995. 171 pp.

Lewis, B. 8689
Die Araber: Aufstieg und Niedergang eines Weltreichs.
Wien: Europaverl. 1995. 287 pp.

Moffa, C. 8690
L'Afrique à la péripherie de l'histoire. Paris: L'Harmattan 1995. 383 pp.

Said, E.W. 8691
Orientalism.
With a new afterword. London: Penguin Books 1995. XI, 396 pp.

Sprachkulturelle und historische Forschungen in Afrika. 8692
Beiträge zum 11. Afrikanistentag Köln 19.-21. Sept. 1994. Hrsg. von A. Fleisch und D. Otten. Köln: Köppe 1995. 336 pp.

Le temps et la mémoire du temps. Anthropologie et histoire. Textes réunis par M.-J. Tubiana. Paris: L'Harmattan 1995. 132 pp. 8693

Vansina, J. 8694
Living with Africa.
Madison, Wisc.: University of Wisconsin Press 1994. XV, 312 pp.

Historiography / Sources

Understanding oral literature. Ed. by A. Bukeya ... 8695
Nairobi: Nairobi University Press 1994. 102 pp.

Tessitore, F. 8696
Schizzi e schegge di storiografia arabo-islamica italiana.
Bari: Palomar 1995. 254 pp.

Siraj, A. 8697
L'image de la Tingitane: l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine.
Roma: Ecole Française de Rome 1995.

Sauvan, Y. - Balty-Guesdon, M.-G. 8698
Catalogue des manuscrits arabes.
Paris: Bibliothèque Nationale.
2e partie. Manuscrits musulmans.
Tome 5 (Nos. 1465-1685). 1995. 333 pp.

Menges, K.H. 8699
The Turkic languages and peoples. An introduction to Turkic studies. 2nd rev. ed. Wiesbaden: Harrassowitz 1995. XXXII, 248 pp.

Maresquier, E. le 8700
Guide du lecteur des Archives de la Marine. Etat des répertoires et inventaires. Eléments de bibliographie. 3e éd. Vincennes: Service

Historique de la Marine 1995. 85 pp.

MacKenzie, J.M. 8701
Orientalism: history, theory and the arts. Manchester: Manchester University Press 1995. XXII, 232 pp.

Kenderova, S. 8702
Catalogue of Arabic manuscripts in SS Cyril and Methodius National Library of Sofia, Bulgaria. Hadith sciences. London: Al-Furqān Islamic Heritage Foundation 1995. XXXI, 459 pp.

Hafez, Kai 8703
Orientwissenschaft in der DDR. Zwischen Dogma und Anpassung, 1969-1989. Hamburg: Deutsches Orient-Institut 1995. X, 548 pp.

Fotografia e storia dell' Africa. Atti del convegno internazionale, Napoli-Roma 9-11 settembre 1992. A cura di A. Triulzi. Napoli: Istituto Universitario Orientale 1995. 266 pp. 8704

Le fonti archivistiche. 8705
Catalogo delle guide e degli inventari editi (1861-1991). A cura di M.T. Piano Mortari e I. Scandaliato Ciciani. Roma: Ministero per i Beni Culturali e Ambientali, Ufficio Centrale per i Beni Archivistici 1995. 537 pp.

Fern-gesehen. 8706
Französische Bildexpeditionen in den Orient 1865-1893. P. Bopp. Marburg: Jonas-Verlag 1995. 224 pp.

The emergence of African history at British universities. Ed. by A.H.M. Kirk-Green. Oxford: WorldView Publications 1995. XV, 179 pp. 8707

I 'documenti turchi' dell' Archivio di Stato di Venezia. Inventario della miscellanea a cura di M.P. Pedani Fabris ... Roma: Ministero per i Beni Culturali e Ambientali, Ufficio Centrale per i Beni Archivistici 1994. LXXII, 697 pp. 8708

The codicology of Islamic manuscripts. Proceedings of the second conference of Al-Furqān Islamic Heritage Foundation 4-5 Dec. 1993. General ed. Y. Dutton. London: Al-Furqān Islamic Heritage Foundation 1995. X, 145 pp. 8709

A classified handlist of Arabic manuscripts acquired since 1912. London: British Library Vol. 1. Islamic law. 1995. 121 pp. Vol. 2. Quar'anic sciences and hadith. 1995. 124 pp. 8710

Carte private di Carlo Alfonso e Maria Nallino. Inventario. A cura di A. Baldinetti Roma: Istituto per l'Oriente 1995. 97 pp. 8711

The book in the Islamic world. 8712
The written word and communication in the Middle East. Ed. by G.N. Atiyeh. Albany, N.Y.: State University of New York Press 1995. XVIII, 305 pp.

Bayraktar, N. - Lugal, M. 8713
Bibliography on manuscript libraries in Turkey and the publications on the manuscripts located in these libraries. Istanbul: IRCICA. 1995.

Austro-Turcica 1541-1552. 8714
Diplomatische Akten des habsburgischen Gesandtschaftsverkehrs mit der Hohen Pforte im Zeitalter Süleymans des Prächtigen. Bearb. von S.M. Džaja ... . München: Oldenbourg 1995. XI, 771 pp.

Archives du Maroc. 8715
J. Borgé et N. Viasnoff. Paris: Eds. Trinckvel 1995. 220 pp.

Archives de l'Algérie. 8716
J. Borgé et N. Viasnoff. Paris: Eds. Trinckvel 1995. 224 pp.

Prehistory

L'homme méditerranéen. 8717
Mélanges offerts à Gabriel Camps ... . Textes réunis par R. Chenorkian. Aix-en-Provence: Publications de l'Université de Provence 1995. 456 pp.

Lutz, R. - Lutz, G. 8718
Das Geheimnis der Wüste. Die Felskunst des Messak Sattafet und Messak Mellet - Libyen. Institut für Ur- und Frühgeschichte der Leopold-Franzens-Universität Innsbruck. Innsbruck: Universitätsbuchhandlung Golf-Verlag 1995. XX, 178 pp.

Lutz, R. - Lutz, G. 8719
The secret of the desert. The rock art of Messak Settafet and Messak Mellet. Innsbruck: Universitätsbuchhandlung Golf-Verlag 1995. 202 pp.

Muzzolini, A. 8720
Les images rupestres du Sahara. Toulouse: Muzzolini (7, rue Jules de Rességuier, F-31000 Toulouse) 1995. 447 pp. (Collection préhistoire du Sahara)

Vernet, R. 8721
Climats anciens du nord de l'Afrique. Paris: L'Harmattan 1995. 180 pp.

Ancient History

Africa Proconsularis. 8722
Regional studies in the Segermes valley of Northern Tunisia. Vol. 1.2. S. Dietz et al. edd. Copenhagen: The Carlsberg Foundation and the Danish Research Council for the Humanities 1995. 799 pp.

L'Afrique du Nord antique et 8723
médiévale (Pau, octobre 1993 - 118 congrès des Sociétés Historiques et Scientifiques). VIe colloque international sur l'histoire et archéologie de l'Afrique du Nord. Textes reunis par P. Trousset. Aix-en-Provence: Eds. du CTHS 1995. 442 pp.

Austin, N.J.E. - Rankov, N.B. 8724
Exploratio. Military and political intelligence in the Roman world from the Second Punic war to the battle of Adrianople. London: Routledge 1995. XIII, 292 pp.

Bagnall, N. 8725
Rom und Karthago. Der Kampf ums Mittelmeer. Aus dem Englischen von M. Redies. Berlin: Siedler 1995. 429 pp.

Biering, R. - Brinkmann, V. 8726
Dyabola. Elektronische Sachkataloge zu den Altertums- und Kunstwissenschaften. München: Biering & Brinkmann, Projekt Dyabola 1995. 1 Programmdiskette. 3 Disketten: Archäologische Jahresbibliographie 1994. 1 Handbuch 38 pp.

Bringmann, K. 8727
Römische Geschichte. Von den Anfängen bis zur Spätantike. München: Beck 1995. 128 pp.

Bunson, M. 8728
A dictionary of ancient Egypt. Oxford: Oxford University Press 1995. XV, 291 pp. (Oxford paperback reference)

The Byzantine and early 8729
Islamic Near East. Princeton, N.J.: Darwin Press. 3. States, resources and armies. Ed. by A. Cameron. 1995. XVI, 491 pp.

Cameron, A. 8730
Callimachus and his critics. Princeton, N.J.: Princeton University Press 1995. XIV, 534 pp.

Carthage, l'histoire, sa trace 8731
et son écho. Musée du Petit Palais, 9 mars - 2 juillet 1995. Paris: Paris-Musées 1995. 319 pp.

Carthage retrouvée. 8732
A. Ennable. Photographies
J. Perez. Paris: Herscher 1995.
151 pp.

La civilisation phénicienne 8733
et punique. Manuel de recherche. Ed. par V. Krings. Leiden:
Brill 1995. XX, 923 pp. (Handbuch
der Orientalistik. Abt. 1. Der Nahe
und Mittlere Osten. 20.)

Civilizations of the ancient 8734
Near East. J.M. Sasson ed. in
chief. Vol. 1-4. New York: Scribner
1995. 2966 pp.

Dubal, L. - Larrey, M. 8735
L'énigme des stèles de la
Carthage africaine. Préf. S. Lancel.
Paris: L'Harmattan 1995. 96 pp.

Egypt, the Aegean and the 8736
Levant. Interconnections in
the second millenium BC. Ed. by W.V.
Davies and L. Schofield. London:
British Museum Press 1995. VIII,
156 pp.

L'Egypte au pays d'Hérodote. 8737
J. Lacarriere, éd. Paris:
Ramsay 1995. 324 pp.

Giornata lincea sulla archeo- 8738
gia cirenaica, Roma 3 novembre
1987. Roma: Accademia Nazionale dei
Lincei 1990. 179 pp. (Atti dei convegni lincei. 87.)

Goldwasser, O. 8739
From icon to metaphor.
Studies in the semiotics of the
hieroglyphs. Göttingen: Vandenhoeck
und Ruprecht 1995. X, 185 pp.

Grant, M. 8740
The ancient historians.
London: Duckworth 1995. XVIII,
486 pp. Repr.

Grant, M. 8741
Greek and Roman historians.
Information and misinformation.
London: Routledge 1995. XII, 172 pp.

Gras, M. 8742
La Mediterranée archaique.
Paris: Armand Colin 1995. 192 pp.
(Cursus. Histoire.)

Gras, M. - Rouillard, P. - 8743
Teixidor, J.
L'univers phénicien. Ed. révisée.
Paris: Hachette 1995. 363 pp.

Howgego, C. 8744
Ancient history from coins.
London: Routledge 1995. XVI,
176 pp.

Huss, W. 8745
Karthago.
München: Beck 1995. 123 pp.

Kamm, A. 8746
The Romans. An introduction.
London: Routledge 1995. XII,
224 pp.

Kuhrt, A. 8747
The ancient Near East,
c. 3000 - 330 B.C. Vol. 1.2.
London: Routledge 1995. 782 pp.

Mattingly, D.J. 8748
Tripolitania.
London: Batsford 1995. XIX, 265 pp.

Mercatante, A.S. 8749
Who's who in Egyptian mythology. Rev. by R.S. Bianchi. 2. ed.
Metuchen, N.J.: Scarecrow 1995.
XXI, 231 pp.

Monuments funéraires et 8750
institutions autochtones en
Afrique du Nord antique et médiévale. Sous la dir. de P. Trousset.
Paris: Comité des Travaux Historiques et Scientifiques 1995. 400 pp.

Shahîd, I. 8751
Byzantium and the Arabs in
the sixth century. Washington,D.C.:
Dumbarton Oaks Research Library
and Collection.
1,1. Political and military history. 1995. XXX, 686 pp.
1,2. Ecclesiastical history. 1995.
Pp. 692-1032.

Shaw, I. - Nicholson, P. 8752
British Museum dictionary of ancient Egypt. London: British Museum Press 1995. 328 pp.

Sols de l'Afrique romaine: 8753
mosaiques de Tunisie.
M. Blanchard-Lemée, M. Ennaifer, H. et L. Slim. Photogr. G. Mermet. Paris: Impr. Nationale 1995. 300 pp.

Supplementum epigraphicum 8754
graecum.
Amsterdam: Gieben.
42.1992 (1995) Kyrenaika, pp. 482-487.

Trade, contact, and the movement of peoples in the Eastern Mediterranean: studies in honour of J.B. Hennessy. Ed. by S. Bourke ... . Sydney: Univ. of Sydney, Meditarch 1995. XIX, 339 pp. 8755

Zlattner, M. 8756
Hannibals Geheimdienst im Zweiten Punischen Krieg. Konstanz: UVK, Univ.-Verl. 1995. 50 pp. (Xenia. 39.)

Islamic and Ottoman History

Actes du VIe symposium international d'études morisques sur l'état des études de moriscologie durant les trente dernières années. Etudes réunies et présentées par A. Temimi. Zaghouan: Centre d'Etudes et de Recherches Ottomanes, Morisques, de Documentation et d'Information 1995. 291, 77 pp. 8757

Aksan, V.H. 8758
An Ottoman statesman in war and peace: Ahmed Resmi Efendi 1700-1783. Leiden: Brill 1995. XVIII, 253 pp.

Allison, R.J. 8759
The crescent obscured.
The United States and the Muslim world 1776-1815. Oxford: Oxford University Press 1995. XVIII, 266 pp.

Al-Andalus y el Mediterráneo. 8760
El Legado Andalusí, Granada ... . Catálogo, edición M.J. Viguera ... Barcelona: Lunwerg Ed. 1995. 320 pp.

Ars amandi d'un morisque de 8761
Tunis. Texte établi par L. López-Baralt. Traduit de l'espagnol par G. Abderrahman. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 114 pp.

Aubé, P. 8762
Les empires normands d'Orient XIe-XIIIe siècles. Paris: Hachette-Pluriel 1995. 344 pp.

Badía y Leblich, Ali Bey 8763
Domingo
Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, ... between the years 1803 and 1807. London 1816. Reading: Garnet 1993. 2 vols. 339, 373 pp. Repr.

Benbilghith, C. 8764
L'armée tunisienne à l'époque de Mohamed Sadok Bey 1859-1882. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 8, 286 pp.

Bovill, E.W. 8765
The golden trade of the moors. West African kingdoms in the fourteenth century. Princeton, N.J.: Markus Wiener Publ. 1995. XIV, 299 pp.

Brauer, R.W. 8766
Boundaries and frontiers in medieval Muslim geography. Philadelphia, Pa.: American Philosophical Society 1995. 73 pp. (Transactions of the American Philosophical Society. 85,6.)

Byzanz, Islam, Abendland: 8767
Beiträge zur Geschichte und

Kultur des Mittelalters aus Vortragsreihen der Österreichischen Nationalbibliothek. Hrsg. von O. Mazal. Wien: Österreichische Nationalbibliothek 1995. 306 pp.

Camps, G. 8768
Les berbères. Mémoire et identité. 3e éd. Paris: Ed. Errance 1995. 260 pp.

Cardaillac, L. 8769
Morisques et chrétiens. Un affrontement polémique 1492-1640. 2e éd. Zaghouan: Centre d'Etudes et de Recherches Ottomanes, Morisques, de Documentation et d'Information 1995. 350 pp.

Le carrefour maltais. 8770
Sous la resp. de C. Villain-Gandosi. Aix-en-Provence: Edisud 1995. 222 pp.

Djelloul, N. 8771
Les fortifications côtières ottomanes de la régence de Tunis (XVIe-XIXe siècles). Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. T. 1.2. 858 pp.

Etats, sociétés et cultures 8772
du monde musulman médiéval Xe-XVe siècle. Sous la dir. de J.-C. Garcin. Paris: Presses Universitaires de France.
1. L'évolution politique et sociale. 1995. CCXI, 466 pp.

Faroqhi, S. 8773
Coping with the state: political conflict and crime in the Ottoman empire, 1550-1720. Istanbul: Isis 1995. 205 pp. (Analecta Isisiana. 17.)

Faroqhi, S. 8774
Making a living in the Ottoman lands 1480 to 1820. Istanbul: Isis 1995. 330 pp. (Analecta Isisiana. 18.)

Faroqhi, S. 8775
Kultur und Alltag im osmanischen Reich. Vom Mittelalter bis zum Anfang des 20. Jahrhunderts. München: Beck 1995. 400 pp.

Georgeon, F. 8776
Des Ottomans aux Turcs. Naissance d'une nation. Istanbul: Isis 1995. VII, 488 pp. (Analecta Isisiana. 16.)

Göçek, F.M. 8777
Rise of the bourgeoisie, demise of empire: Ottoman westernization and social change. New York: Oxford University Press 1995. 220 pp.

Gozalbes Cravioto, C. 8778
El urbanismo religioso y cultural de Ceuta en la edad media. Ceuta: Instituto de Estudios Ceuties 1995. 273 pp.

Gust, W. 8779
Das Imperium der Sultane. Eine Geschichte des osmanischen Reichs. München: Hanser 1995. 414 pp.

Guthrie, S. 8780
Arab social life in the Middle Ages. An illustrated study. London: Saqi 1995. 229 pp.

Har-El, S. 8781
Struggle for domination in the Middle East: the Ottoman-Mamluk war 1485-91. Leiden: Brill 1995. XV, 238 pp. (The Ottoman empire and its heritage. 4.)

Hatzopoulos, D. 8782
Le premier siège de Constantinople par le ottomans (1394-1402). Montréal: Hatzopoulos 1995. 168 pp.

Hunwick, J.O. 8783
The writings of Central Sudanic Africa. Leiden: Brill 1995. XXVI, 732 pp. (Handbuch der Orientalistik Abt. 1. Der Nahe und der Mittlere Ostenl. 13, Arabic literature of Africa. 2.)

Jewad, K. 8784
Du califat aux coups d'état. Les cinq coups d'état militares au

sein de l'Empire ottoman de 1908 à 1913. Pref. de J.-P. Charnay. Paris: Ed. Alphabeta 1995. 319 pp.

Kafadar, C. 8785
Between two worlds.
The construction of the Ottoman state. Berkeley, Cal.: University of California Press 1995. XV, 221 pp.

Kallfelz, W. 8786
Nichtmuslimische Untertanen im Islam: Grundlage, Ideologie und Praxis der Politik frühislamischer Herrscher ... . Wiesbaden: Harrassowitz 1995. IX, 180 pp.

Kleinert, C. 8787
Die Revision der Historiographie des Osmanischen Reiches am Beispiel von Abdülhamid II. Das späte osmanische Reich im Urteil türkischer Autoren der Gegenwart (1930-1990). Berlin: Schwarz 1995. 262 pp. (Islamkundliche Untersuchungen. 188.)

López Pérez, M.D. 8788
La corona de Aragón y el Magreb en el siglo XIV: 1331-1410. Barcelona: C.S.I.C., Institución Milá y Fontanals 1995. 968 pp. (Anuario de estudios medievales. 31: anejo)

Mafrici, M. 8789
Mezzogiorno e pirateria nell' età moderna (secoli XVI-XVIII). Napoli: Edizioni Scientifiche Italiane 1995. 349 pp.

Mantran, R.L. 8790
L'expansion musulmane VIIe - XIe siècles. 5. éd., corr. Paris: Presses Universitaires de France 1995. XVI, 334 pp. (Nouvelle clio. 20.)

Maurici, F. 8791
Breve storia degli arabi in Sicilia. Palermo: Flaccovio 1995. 165 pp. (Siciliana. 7.)

Mélanges Louis Cardaillac. 8792
Etudes réunies et prefacées par Abdeljelil Temimi. Zaghouan: Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et l'Information 1995. 819, 203 pp.

Özendes, E. 8793
Osmali imparatorluğu'nda fotoğrafçilik (1839-1919). Photography in the Ottoman Empire (1839-1919). Istanbul: Iletişin Yayinlari 1995. 271 pp.

The Oxford illustrated history of the Crusades. Ed. by J. Riley-Smith. Oxford: Oxford University Press 1995. 436 pp. 8794

Rauf, B. 8795
The last sultans. Ed. by M. Arim and Judy Kearns. Roberton: Meral Arim 1995. 366 pp.

Spaulding, J. - Kapteijns, L. 8796
An Islamic alliance: 'Ali Dinar and the Sanusiyya, 1906-1916. Evanston: Northwestern University Press 1994. 190 pp.

Spuler, B. 8797
The age of the caliphs: history of the Muslim world. Transl. by F.R.C. Bagley. Princeton, N.J.: Marcus Wiener Publishers 1995. XXX, 138 pp.

Das Staunen der Welt. 8798
Das Morgenland und Friedrich II (1194-1250). Berlin: Museum für Islamische Kunst 1995. 137 pp. (Bilderheft der Staatlichen Museen zu Berlin - Preussischer Kulturbesitz. 77/78.)

Süleyman the Magnificent and his age. The Ottoman Empire in the early modern world. Ed. by M. Kunt and C. Woodhead. London: Longman 1995. XIII, 218 pp. 8799

Triaud, J.-L. 8800
La légende noire de la Sanusiyya: une confrérie musulmane saharienne sour le regard français

(1840-1930). Vol. 1.2. Paris: Editions de la Maison des Sciences de l'Homme 1995. 1151 pp.

Türkische Wirtschafts- und Sozialgeschichte 1071-1920. Akten des IV. internationalen Kongresses, München 1986. Hrsg. von H.G. Majer und R. Motika. Wiesbaden: Harrassowitz 1995. VIII, 392 pp. 8801

Voyageurs arabes: Ibn Fadlân, Ibn Jubayr, Ibn Baṭṭûṭa et un auteur anonyme. Textes traduits, présentés et annotés par P. Charles-Dominique. Paris: Gallimard 1995. LVII, 1409 pp. (Bibliothèque de la Pléiade. 413.) 8802

Workers and the working class in the Ottoman Empire and the Turkish Republic 1839-1950. Ed. by D. Quataert ... . London: Tauris 1995. 208 pp. (Library of modern Middle East studies. 3.) 8803

Colonial History

Abd-El-Kader. L'émir Abdelkader. Autobiographie écrite en prison (France) en 1849 et publiée pour la première fois. Paris: Dialogues Ed. 1995. 124, 50 pp. (Ed. bilingue français-arabe) 8804

Alfani, I. 8805
'L'idea nazionale'. Nazionalismo ed età giolittiana. La guerre di Libia ed il passaggio dal movimento al partito. Roma; senza note tipografiche 1995. 311 pp.

Atti del incontro di studio Colonie africane e cultura italiana fra ottocento e novecento. Le esplorazioni e la geografia, Istituto Italo-Africano Roma, 20 maggio 1994. A cura di Claudio Cerretti. Roma: Centro Italiano per gli Studi Storico-Geografici, CISU 1995. VIII, 287 pp. 8806

Barth, B. 8807
Die deutsche Hochfinanz und die Imperialismen. Banken und Aussenpolitik vo 1914. Stuttgart: Steiner 1995. VII, 505 pp. (Beiträge zur Kolonial- und Überseegeschichte. 61.)

Briat, A.-M. 8808
Des chemins et des hommes. La France en Algérie (1830-1962). Helette: Curutchet, Editions Harriet 1995. 267 pp.

Cadioli, B. 8809
Poste e comunicazioni della Colonia Eritrea. Dall'insediamento in Assab all'occupazione di Massaua 1879-1885. Prato: Istituto di Studi Storici Postali 1995. 136 pp. (Quaderni di storia postale. 19.)

Cavalli, C. 8810
Più neri di prima. Colonizzazione e schiavitù in Congo nel diario di viaggio di un italiano agli inizi del novecento. A cura di F. Surdich. Reggio Emilia: Diabasis 1995. 236 pp.

Del Fra, L. 8811
Sciara Sciat. Genocidio nell'oasi. L'esercito a Tripoli. Roma: Databews 1995. 103 pp.

Djebari, Y. 8812
La France en Algérie. Vols. 1-3. Alger: Office des Publications Universitaires 1995. 809pp.

Hoisington, W.A. 8813
L'héritage de Lyautey. Noguès et la politique française au Maroc, 1936-1943. Traduit par S.K. Levin et M. Méraud. Paris: L'Harmattan 1995. 407 pp.

Hoisington, W.A. 8814
Lyautey and the French conquest of Morocco. Basingstoke: Macmillan 1995. VIII, 276 pp.

Ianari, V. 8815
Chiesa, coloni e Islam. Religione e politica nella Libia

italiana. Introduzione di A. Riccardi. Torino: SEI 1995. XV, 182 pp.

Lorcin, P.M. 8816
Imperial identities: stereotyping prejudice and race in colonial Algeria. London: Tauris 1995. X, 323 pp.

Meier, A. 8817
Hunger und Herrschaft: vorkoloniale und frühe koloniale Hungerkrisen im Nordtschad. Stuttgart: Steiner 1995. 303 pp. (Beiträge zur Kolonial- und Überseegeschichte. 62.)

Mekhaled, B. 8818
Chroniques d'un massacre, 8 mai 1945: Sétif, Guelma, Kherrata. Paris: Syros 1995. 256 pp.

Mémoires de la colonisation. 8819
Relations colonisateurs-colonisés. Colloque des 3 et 4 déc. 1993. Sous la dir. de R. Goutalier. Paris: L'Harmattan 1995. 231 pp.

Métois, A. 8820
La soumission des Touareg du Nord 1900-1904. Calvisson: Gandini 1995. 56 pp. Repr. of 1906 edition.

Pellegrini, V. - Bertinelli, A. 8821
Per la storia dell'amministrazione coloniale italiana. Milano: Giuffrè 1994. X, 137 pp. (Quaderni ISAP. Saggi. 31.)

Stora, B. - Daoud, Z. 8822
Ferhat Abbas: une utopie algérienne. Paris: Denoel 1995. 429 pp.

Tahtah, M. 8823
Entre pragmatisme, réformisme et modernisme. Le rôle politico-religieux des Khattabi dans le Rif (Maroc) jusqu'à 1926. Leiden: Rijksuniversiteit PhD 1995. XIV, 263 pp.

Uno dei ventimila. 8824
Diario del colono Giacomo Cason Libia 1938-1959. A cura di F. Prestopino. Bologna, s.e. 1995. 115 pp.

Vermale, P. 8825
Au Sahara pendant la guerre européenne. Correspondance et notes 1914-1917. Calvisson: Gandini 1995. 224 pp. Repr. of 1926 edition.

Modern History

L'Algérie dans la guerre. 8826
Sous la dir. de R. Leveau. Bruxelles: Ed. Complexe 1995. 153 pp.

Algérie. Textes et dessins inédits. Casablanca: Ed. le Fennec 1995. 114 pp. 8827

Amadis, S. 8828
La loi des incroyants. Paris: Plon 1995.

Gli arabi e noi. 8829
Atti del convegno di studi su Il nazionalismo arabo, Terni, maggio 1991. Istituto per la Storia del Risorgimento Italiano, Comitato di Terni. A cura di V. Pirro. Arrone (Terni): Thyrus 1995. 79 pp. (Collana storica. 4.)

Assima, F. 8830
Une femme à Alger. Chronique du desastre. Paris: Arléa 1995. 187 pp.

Bigeard, J.-M. 8831
Ma guerre d'Algérie. Paris: Hachette Carrière 1995. 160 pp.

Bills, S.L. 8832
The Libyan arena. The United States, Britain and the Council of Foreign Ministers, 1945-1948. Kent, Ohio: Kent State University Press 1995. XV, 109 pp.

Del Boca, A. 8833
Il Negus. Vita e morte dell'ultimo re dei re. Roma-Bari: Laterza 1995. VIII, 394 pp.

Butt, G. 8834
The lion in the sand.
The British in the Middle East.
London: Bloosbury 1995. VII, 214 pp.

Calchi Novati, G. 8835
Dalla parte dei leoni.
Milano: Il Saggiatore 1995. 175 pp.

Carlier, O. 8836
Entre nation et jihad:
histoire sociale des radicalismes
algériens. Paris: Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques 1995. 443 pp.

Charef, A. 8837
Miloud, l'enfant algérien.
La Tour-d'Aigues (Vaucluse): Ed. de l'Aube 1995. 220 pp.

Clayton, A. 8838
Histoire de l'Armée française
en Afrique, 1830-1962. Paris: Albin Michel 1994. 550 pp.

Clayton, A. 8839
The wars of French decolonization.
London: Longman 1994. X, 234 pp.
(Modern wars in perspective)

Dévoluy, P. - Duteil, M. 8840
La poudrière algérienne:
histoire secrète d'une république
sous influence. Paris: Hachette
1995. 360 pp.

Dore-Audibert, A. 8841
Des françaises d'Algérie dans
la guerre de libération: des oubliées de l'histoire. Paris: Karthala
1995. 297 pp.

Eatwell, R. 8842
Fascism: a history.
London: Chatto & Windus 1995. XXIII,
327 pp.

Egypt from monarchy to 8843
republic. A reassessment of
revolution and change. Ed. by S.
Shamir. Boulder, Colo.: Westview
Press 1995. V, 352 pp.

Fascism. Ed. by R. Griffin. 8844
Oxford: Oxford University
Press 1995. 432 pp. (Oxford paperbacks)

Frémeaux, J. 8845
Le monde arabe et la sécurité
de la France depuis 1958. Paris:
Presses Universitaires de France
1995. 327 pp.

Gandini, J. 8846
Alger de ma jeunesse 1950 -
1962. Calvisson: Eds. Gandini 1995.
239 pp.

Goytisolo, J. 8847
L'Algérie dans la tourmente.
Strasbourg: La Nuée Bleue 1995.
99 pp.

Grimaud, N. 8848
La Tunisie à la recherche de
sa sécurité. Paris: Presses Universitaires de France 1995. 222 pp.

Hanioğlu, M.Ş.: 8849
The Young Turks in opposition.
Oxford: Oxford University Press
1995. IX, 390 pp.

Hidouci, G. 8850
Algérie: la libération
inachevée. Paris: Ed. la Découverte
1995. 302 pp.

Hopkirk, P. 8851
Östlich von Konstantinopel.
Kaiser Wilhelms Heiliger Krieg um
die Macht im Orient. Aus dem Amerikanischen von R.-C. Rojahn. Wien:
Europa Verl. 1995. 540 pp.

Lanne, B. 8852
Répertoire de l'administration
territoriale du Tchad (1900-1994).
Paris: L'Harmattan 1995. 222 pp.

Libyen im 20. Jahrhundert. 8853
zwischen Fremdherrschaft und
nationaler Selbstbestimmung.
S. Frank und M. Kamp (Hrsg.).
Hamburg: Deutsches Orient-Institut
1995. 281 pp. (Mitteilungen ...52.)

Mackesy,,P.. 8854
British victory in Egypt 1801, the end of Napoleon's conquest. London: Routledge 1995. 282 pp.

Malek, R. 8855
L'Algérie à Evian. Histoire des négociations secrètes 1956-1962. Paris: Ed. du Seuil 1995. 401 pp.

Mimouni, R. 8856
La malédiction.
Paris: Pocket 1995. 285 pp.

Mimouni, R. 8857
Une paix à vivre.
Paris: Stock 1995. 189 pp.

Nouschi, A. 8858
L'Algérie amère 1914-1994.
Paris: Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme 1995. 349 pp.

Pelman, B. 8859
Le trésor de la casbah Souira. Une aventure de Pierre Meysonnier. Paris: Fleuve Noir 1995. 184 pp. (Aventures et mystères. 11.)

Roberts, J. 8860
Visions & mirages.
Middle East in a new era. Edinburgh: Mainstream Publ. 1995. 322 pp.

Sebillotte, R. 8861
Ksar el Ahmar ou une vie de colon dans le Sud-Tunisien.
Les Angles: Richard Sebillotte.
1. Tunisie: decouverte de Maknassy. 1995. 401 pp.
2. Maknassy avant la guerre. 1995. 572 pp.

Shamy, C. 8862
Orgueilleuse Kabylie.
Paris: L'Harmattan.
1. La vie et la guerre. 1995. 233 pp.

Volantini antifascisti nelle carte della Pubblica Sicurezza (1926-1943). Repertorio a cura di P. Carucci, F. Dolci, M. Missori. Roma: Ministero per i Beni Culturali e Ambientali, Archivio Centrale dello Stato 1995. 241 pp. 8863

Second World War

Caesar, K. 8864
Marsch und Kampf des Deutschen Afrikakorps 1941. Hrsg. vom Generalkommando des Deutschen Afrikakorps. Berlin: Mittler 1994. 207 pp.

Fraser, D. 8865
Rommel. Die Biographie.
Aus dem Englischen von H.J. von Koskull. Berlin: Siedler 1995. 544 pp.

Harding, D. 8866
Tobruk rescue.
Sutton: Severn House Publ. 1995. 213 pp.

Hommage à l'armée d'Afrique. 8867
Journée organisée par le Cercle Renaissance. Paris: CELU 1995. (L'astrolabe. No. 104.)

Kurowski, F. 8868
Der Afrikafeldzug. Rommels Wüstenkrieg 1941-1943. Der erste Einsatzreport in Farbe: Deutsch - Englisch - Italienisch. Unter Mitarb. von: A. Cioci, H. Kayser, J.S. Lucas. Holzminden: Hennig n.y. 270 pp.

Mabire, J. 8869
Les paras de l'Afrikakorps.
Paris: Grancher 1993. 260 pp.

McGuirk, D. 8870
Afrikakorps. Self portrait.
Shrewsbury: Airlife 1992. 184 pp.

The Oxford companion to the 8871
Second World War. General ed. I.C.B. Dear. Oxford: Oxford University Press 1995. 1368 pp.

Rauh, M. 8872
Geschichte des Zweiten Weltkrieges. Hrsg. vom Militärge-

schichtlichen Forschungsamt Freiburg i.Br.
Berlin: Duncker & Humblot.
T. 1. Die Voraussetzungen. 1991. 401 pp.
T. 2. Der europäische Krieg 1939-1941. 1995. 513 pp.

Watson, B.A. 8873
Desert battle. Comparative perspectives. Westport, Conn.: Praeger 1995. XII, 214 pp.

Williamson, G. 8874
Afrikakorps 1941-43.
Colour plates by R. Volstad. London: Osprey 1991. 63 pp. (Elite series. 34.)

LAW

Commercial law in the Middle East. Ed. by H.L. Ruttley and C. Mallet. London: Graham and Trotman 1995. XI, 393 pp. 8875

Dibattito sull'applicazione della shari'a. Torino: Fondazione G. Agnelli 1995. IX, 154 pp. (Dossier mondo islamico.1.) 8876

Faith and freedom. 8877
Wome's human rights in the Muslim world. Ed. by M. Afkhami. London: Tauris 1995. XI, 244 pp.

Human rights watch world report 1995: events of 1994. 8878
Human Rights Watch. New Haven, Conn.: Yale University Press 1995. XXVII, 362 pp.

Lahrichi, F.S. 8879
Répertoire de la législation marocaine. Paris: Editions LGDJ 1994. 512 pp.

Law and the Islamic world. 8880
past and present. Ed. by C. Toll and J. Skovgaard-Petersen. Copenhagen: Royal Danish Academy of Sciences and Letters 1995. 184 pp.

Mayer, A.E. 8881
Islam and human rights.
Tradition and politics. 2. ed. Boulder, Colo.: Westview Press 1995.

Schacht, J. 8882
Introduzione al diritto musulmano. Torino: Fondazione Giovanni Agnelli 1995. XX, 359 pp.

Waltz, S.E. 8883
Human rights and reform: changing the face of North African politics. Berkeley, Cal.: University of California Press 1995. XIV, 281 pp.

MEDICINE

Agnez, G. 8884
El-Hakim. Souvenirs d'un médecin au Sahara. Saint Mesmin: Docteur Guy Agnez 1995. 153 pp.

Foley, H. 8885
Moeurs et médecine des Touareg de l'Ahaggar. Calvisson: Gandini 1995. 128 pp. Repr. of 1930 edition.

Ibn Wafid 8886
Kitāb al-adwiya al-mufrada
(Libro des los medicamentos simples)
Madrid: C.S.I.C.-A.E.C.I.
Vol. 1. Edición, traducción, notas y glosarios de L.F. Aguirre de Cárcer. 1995. 496 pp.

Santé, médecine et société dans le monde arabe. 8887
Sous la dir. d'Elisabeth Longuenesse. Paris: L'Harmattan 1995. 322 pp. (Etudes sur le monde arabe. 7.)

PHILOSOPHY AND RELIGION

Bawa Yamba, C. 8888
Permanent pilgrims.
The role of pilgrimage in the lives of West African Muslims in Sudan.

Edinburgh: Edinburgh University Press 1995. XII, 237 pp. (International African library. 15.)

Benabdallah, A. 8889
L'Islam, concepts et préceptes (optiques et options afro-maghrébines). Rabat: Cap Tours 1995. 255 pp.

Benabdallah, A. 8890
Le soufisme afro-maghrébin au XIXe et XXe siecles. Rabat: Cap Tours 1995. 135 pp.

Bobzin, H. 8891
Der Koran im Zeitalter der Reformation. Studien zur Frühgeschichte der Arabistik und Islamkunde in Europa. Stuttgart: Steiner 1995. XIII, 597 pp. (Beiruter Texte und Studien. 42.)

Burckhardt, T. 8892
An introduction to Sufism. London: Thorsons 1995. 126 pp.

Burgat, F. 8893
Il fondamentalismo islamico, Algeria, Tunisia, Marocco, Libia. Torino: SEI 1995. VIII, 367 pp.

Burgat, F. 8894
L'islamisme en face. Paris: Ed. la Découverte 1995. 262pp.

Colonna, F. 8895
Les versets de l'invincibilité: permanence et changements religieux dans l'Algérie contemporaine. Paris: Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques 1995. 397 pp.

La construction religieuse du territoire. Sous la dir. de J. Vincent, D. Dory, R. Verdier. Paris: L'Harmattan 1995. 379 pp. 8896

Dekmejian, R.H. 8897
Islam in revolution. Fundamentalism in the Arab world. 2nd. ed. Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press 1995. XV, 307 pp.

Dittmar, A. 8898
Der Marabout: sakrale Autorität bei berbersprachigen Bevölkerungen des Mittleren und Hohen Atlas (Marokko). Egelsbach: Hänsel-Hohenhausen 1995. X, 168 pp. (Deutsche Hochschulschriften. 1081.)

Douglas-Klotz, N. 8899
Desert wisdom. The Middle Eastern tradition - from the goddess to the Sufis. Translations, commentaries, and body prayers. London: Thorsons 1995. XXXVII, 266 pp.

Francesca, E. 8900
Introduzione alle regole alimentari islamiche. Roma: Istituto per l'Oriente 1995. 66 pp.

Goddard, H. 8901
Christians and Muslims: from double standards to mutual understanding. Richmond: Curzon 1995. 200 pp.

Halliday, F. 8902
Islam and the myth of confrontation: religion and politics in the Middle East. London: Tauris 1995. 255 pp.

Halm, H. 8903
Le chiisme. Traduit de l'allemand par H. Hougue. Paris: Presses Universitaires de France 1995. 280 pp.

Hoffmann, C.H. 8904
Zwischen allen Stühlen. Ein Deutscher wird Muslim. Bonn: Bouvier 1995. 245 pp.

Ibn al Zayyât al Tâdilî 8905
Regard sur le temps des soufis. Vies des saints du sud marocain des Ve, VIe, VIIe siècles de l'Hégire. Casablanca: Eddif 1995. 428 pp.

Islam in Africa: perspectives for Christian-Muslim relations. The WARC consultation, 6 to 10th June 1994 ... . Ed. by H.S. Wilson. Geneva: World Alliance of Reformed Churches 1995. 106 pp. 8906

Mrozek-Dumanowska, A. 8907
Między ascetyzmem a reformacją: Islam w Libii. Warszawa: Semper: 1994. 80 pp.

The Qu'an and calligraphy: 8908
a selection of fine manuscript material. London: Quaritch 1995. IV, 145 pp. (Catalogue. Bernard Quaritch. 1213.)

Scholarly approaches to 8909
religion, interreligious perceptions and Islam. Ed. by J. Waardenburg. Frankfurt a.M.: Lang 1995. XV, 464 pp.

Secrecy and concealment: 8910
studies in the history of Mediterranean and Near Eastern religions. Ed. by H.G. Kippenberg and G.G. Stroumsa. Leiden: Brill 1995. XXIV, 406 pp.

Vikør, K.S. 8911
Sufi and scholar on the desert edge. Muḥammad b. 'Alī al-Sanūsī and his brotherhood. Evanston, Ill.: Northwestern Univ. Pr. 1994, London: Hurst 1995. X, 310pp.

POLITICS AND GOVERNMENT

Arms control and security in 8912
the Middle East: the search for common ground. Ed. by R. Eisendorf. Washington, D.C.: Initiative for Peace and Cooperation in the Middle East 1995. IX, 129 pp.

Aussenpolitische Aspekte. 8913
Hamburg: Hanspeter Mattes Verlag 1995. 504 pp. (Wuqûf. 9.1994)

Barbar, A.M. al- 8914
Political change in Libya. A study in the decline of the Libyan élite. Palermo: Centro Culturale al-Farabi 1994. 131 pp. (Quaderni del Centro Culturale al-Farabi. Storia e idee. 5.)

Ben Hammouda, H. 8915
Tunisie: ajustement et difficulté de l'insertion internationale. Paris: L'Harmattan 1995. 207 pp.

Benoît, B. 8916
Le syndrome algérien: l'imaginaire de la politique algérienne de la France. Paris: L'Harmattan 1995. 191 pp.

Bin-Sayeed, K. 8917
Western dominance and political Islam: challenge and response. Albany, N.Y.: State University of New York Press 1995. VIII, 197 pp.

Charef, A. 8918
Algérie: le grand dérapage. La Tour d'Aigues: Ed. de l'Aube 1995. 525 pp.

Cubertafond, B. 8919
L'Algérie contemporaine. 3. éd. réfondue. Paris: Presses Universitaires de la France 1995. 127 pp. (Que sais-je? 1977.)

Demain la Méditerranée: 8920
la parole est aux riverains du sud. Actes du séminaire de la Tour blanche, Toulon, 22-23 juin 1995.organisé par FMES, IAI. Paris: Publisud 1995. 273 pp.

Distant neighbours: the 8921
political economy of relations between Europe and the Middle East/North Africa. Ed. by N.N. Ayubi. Reading: Ithaca Press 1995. XVIII, 413 pp.

Gadant, M. 8922
Le nationalisme algérien et les femmes. Paris: L'Harmattan 1995. 302 pp.

Gottfried, T. 8923
Libya: desert land in conflict. Brookfield, Conn.: Millbrook Press 1994. 159 pp.

The government and politics 8924
of the Middle East and North Africa. Ed. by D.E. Long and B. Reich. Boulder, Colo.: Westview Press 1995. VII, 487 pp.

Heller, C. 8925
Die Aussenpolitik der Demokratischen Volksrepublik Algerien 1979 bis 1992. Eine Untersuchung der Ära Chadli am Beispiel der Aussenbeziehungen Algeriens. Marburg: Tectum-Verlag 1995. 165 pp.

Islamic movements in a changing world. Ed. by O.A. AbouZeid. Cairo: Centre for Political Research and Studies 1995. IX, 268 pp. 8926

Kerdoun, A. 8927
La sécurité en Méditerranée. Défis et stratégies. Paris: Publisud 1995. 197 pp.

Khader, B. 8928
Le partenariat Euro-Méditerranéen. Louvain-la-Neuve: Centre d'Etudes et de Recherches sur le Monde Arabe Contemporain 1995. 71 pp. (Cahier CERMAC. 119/120.)

Korbani, A.G. 8929
The political dictionary of modern Middle East. Lanham: University Press of America 1995. 258 pp.

Krooth, R. - Moallem, M. 8930
The Middle East: a geopolitical study of the region in the new global era. Jefferson, N.C.: McFarland 1995. XII, 290 pp.

Labat, S. 8931
Les islamistes algériens. entre les urnes et le maquis. Paris: Ed. du Seuil 1995. 343 pp.

Lancaster, R. 8932
The Arab Maghreb Union, its aims, challenges, and future relations. London: Gulf Centre for Strategic Studies 1995. 35 pp.

Lexique des relations internationales. Sous la dir. de P. Boniface, avec la coll. de C. Bacchetta ... . Paris: Ellipses-Marketing 1995. 243 pp. 8933

Mattes, H. 8934
Qaddafi und die islamistische Opposition in Libyen, zum Verlauf eines Konflikts. Hamburg: Deutsches Orient-Institut 1995. 147 pp. (Mitteilungen Deutsches Orient-Institut. 51.)

La Méditerranée inquiète. Sous la dir. de X. Gizard. La Tour d'Aigues: Ed. de l'Aube 1995. 193 pp. 8935

La Méditerranée: nouveaux défis, nouveaux risques. Sous la dir. de J.-F. Daguzan et R. Girardet. Paris: Publisud 1995. 255 pp. 8936

Middle Eastern security: prospects for an arms control regime. Ed. by E. Inbar and S. Sandler. London: Cass 1995. VII, 199 pp. 8937

Mokedeem, M. 8938
Des rêves et des assassins. Paris: Grasset 1995. 224 pp.

Mossadeq, R. el 8939
Consensus ou jeu de consensus? Pour le réajustement de la pratique politique au Maroc. S.l.: Sochpress 1995. 142 pp.

National threat perceptions in the Middle East. UNIDIR. J. Leonard ... . New York: United Nations 1995. VI, 109 pp. (Research paper United Nations Institute for Disarmament Research. 37.) 8940

Orientations 3: changing stories, postmodernism and the Arab-Islamic world. Ed. by I. Boer, A. Moors, T. van Teeffelen. Amsterdam: Rodopi 1995. 166 pp. 8941

Political liberalization and democratization in the Arab world. Ed. by R. Brynen ... . Boulder, Colo.: L. Rienner. 1. Theoretical perspectives. 1995. X, 350 pp. 8942

Politics and international relations in the Middle East. Continuity and change. Ed. by M.J. Davis. Aldershot: Edward Elgar 1995. XI, 158 pp. 8943

Politique étrangère. Le Maghreb à l'épreuve de l'Algérie. Sous la dir. de M. Chartouni-Dubarry. Paris: Masson 1995. 251 pp. 8944

Practical peacemaking in the Middle East. Ed. by S.L. Spiegel ... . London: Garland. 1. Arms control and regional security. 1995. XVI, 262 pp. 8945

Qadhafi's Libya, 1969-1994. Ed. by D. Vanderwalle. Basingstoke, Hampshire: Macmillan 1995. XXXI, 256 pp. 8946

Ravenel, B. Méditerranée, l'impossible mur. Paris: L'Harmattan 1995. 181 pp. (Les cahiers de confluences) 8947

Répertoire des partis intégristes musulmans. Paris: C.H.E.A.M. 1. La Méditerranée. Sous la dir de M.-L. Dumas. 1995. 184 pp. 8948

Sabot, J.-Y. Le syndicalisme étudiant et la guerre d'Algérie: l'entrée d'une génération en politique et la formation d'une élite. Paris: L'Harmattan 1995. 276 pp. (Logiques politiques. 26.) 8949

Silberzahn, C. - Guisnel, J. Au coeur du secret: 1500 jours au commandes de la DGSE. (1989-1993) Paris: Fayard 1995. 330 pp. (Document-témoignage) 8950

State and society in Africa: perspectives on continuity and change. Ed. by F. Shams. Lanham: University Press of America 1995. 158 pp. 8951

Touati, A. Algérie: les islamistes à l'assaut du pouvoir. Paris: L'Harmattan 1995. 266 pp. 8952

The U.S. media and the Middle East: image and perception. Ed. by Y.R. Kamalipour. Westport, Conn., London: Greenwood 1995. XXI, 242 pp. 8953

Water in the Middle East: legal, political and commercial implications. Ed. by J.A. Allan and C. Mallat. London: Tauris Academic Studies 1995. IX, 358 pp. 8954

Yallop, D.A. To the ends of the earth: the hunt for the jackal. London: Corgi 1994. 774 pp. 8955

SETTLEMENTS

Architecture beyond architecture: creativity and social transformations in Islamic cultures. The 1995 Aga Khan Award for Architecture. Ed. by C.C. Davidson ... . London: Academy Editions 1995. 176 pp. 8956

Kairouan. Sapho. Photogr. P. Vallet. Paris: Ed. du Demi-Cercle, Ministère de la Culture et de la Francophonie 1995. 92 pp. 8957

Moroccan interiors = Intérieurs marocains = Interieurs in Marokko. L. Lovatt-Smith. Ed. by A. Muthesius. Köln: Taschen 1995. 319 pp. 8958

Rachik, A. Ville et pouvoirs au Maroc. Casablanca: Afrique Orient 1995. 196 pp. 8959

Raymond, A. Le Caire des janissaires: l'apogée de la ville ottomane sous 8960

Abd al-Rahmân Katkhudâ. Paris: CNRS Eds. 1995. 128 pp.

Santelli, S. 8961
Tunis: le creuset méditerranéen. Paris: CNRS Eds. 1995. 126 pp.

Sayad, A. 8962
Un Nanterre algérien: terre de bidonvilles. Avec la collab. de E. Dupuy. Paris: Autrement 1995. 124 pp. (Autrement: série monde. 85.)

Zaoui, W. 8963
Oran: cartes postales anciennes. Paris: L'Harmattan 1995. 88 pp.

SOCIAL SCIENCES / POPULATION

African studies in social movements and democracy. 8964
Ed. by M. Mamdani and E. Wamba-dia-Wamba. Dakar: CODESRIA 1995. 626pp.

Afrique et monde arabe: echec de l'insertion internationale. 8965
Le sommet social des Nations Unies, enlisement de l'Afrique et du monde arabe ou départ d'un développement humain? S. Amin ... . Paris: L'Harmattan 1995. 186 pp.

Bourgeot, A. 8966
Les sociétés touarègues: nomadisme, identité, résistances. Paris: Karthala 1995. 544 pp.

Brooks, G. 8967
Nine parts of desire: the hidden world of Islamic women. London: Hamish Hamilton 1995. 255 pp.

Changing patterns of illiteracy in Morocco: assassment methods compared. V. Lavy ... . Washington, D.C.: World Bank 1995. 39 pp. (Living standards measurement study working paper. 115.) 8968

Children in the Muslim Middle East. Ed. by E.W. Fernea. Austin, Tex.: University of Texas Press 1995. XVI, 477 pp. 8969

Family, gender, and population in the Middle East: policies in context. Ed. by C. Makhlouf Obermeyer. Cairo: American University in Cairo Press 1995. XV, 260 pp. 8970

Femmes de Méditerranée. 8971
Politique, religion, travail. Sous la dir. de A. Dore-Audibert, S. Bessis. Paris: Karthala 1995. 264 pp.

Gadant, M. 8972
Parcours d'une intellectuelle en Algérie. Nationalisme et anticolonialisme dans les sciences sociales. Paris: L'Harmattan 1995. 171pp.

Haddad, R. 8973
Parole le femme.
Tunis: Ed. Elyssa 1995. 253 pp.

Hayat, N. 8974
La nuit tombe sur Alger la blanche: chronique d'une algérienne. Préf. E. Charles-Roux. Paris: Tiresias-Michel Reynaud 1995. 116pp.

Lévy, A. 8975
Il était une fois les juifs marocains: témoignage et histoire de la vie quotidienne. Paris: L'Harmattan 1995. 232 pp.

Malti-Douglas, F. 8976
A woman and her sûfîs.
Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies 1995. 23 pp. (Occasional papers)

Melman, B. 8977
Women's orients: English women and the Middle East 1718-1918. Sexuality, religion and work. 2. ed. Basingstoke: Macmillan 1995. XXIX, 417 pp.

Mujeres, democracia y desarrolo en el Magreb. Ed. G. Martín Muñoz. Madrid: Editorial Pablo Iglesias 1995. XIV, 214 pp. 8978

Noces tissées, noces brodées: costumes et parures féminins de Tunisie. Paris: Musée National des Arts d'Afrique et d'Océanie 1995. 140 pp. 8979

Probleme der Zivilgesellschaft im Vorderen Orient. F. Ibrahim ... . Opladen: Leske u. Budrich 1995. 180 pp. 8980

Rarrbo, K. L'Algérie et sa jeunesse. Marginalisation et désarroi culturel. Paris: L'Harmattan 1995. 267 pp. 8981

Rasmussen, S.J. Spirit possession and personhood among the Kel Ewey Tuareg. Cambridge: Cambridge University Press 1995. XI, 178 pp. 8982

Sciences sociales, sciences morales? Itinéraires et pratiques de recherche. Sous la dir. de M. Camau. Tunis: Alif, Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain 1995. 144 pp. 8983

Serhane, A. L'amour circoncis: essai. Casablanca: Eddif 1995. 264 pp. 8984

Toward civil society in the Middle East? A primer ed. by J. Schwedler. Boulder, Colo.: Rienner 1995. XII, 124 pp. 8985

Woodhull, W. Transfigurations of the Maghreb: feminism, decolonization and literatures. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press 1993. 233 pp. 8986

Yacine, T. Piège ou le combat d'une femme algérienne: essai d'anthropologie de la souffrance. Paris: Publisud-Awal 1995. 213 pp. 8987

GENERAL

Atti del simposio internazionale La civiltà islamica e le scienze. A cura di C. Sarnelli Cerqua, O. Marra e P.G. Pelfer, Firenze ... 1991. Napoli: CUEN 1995 8988

Cross, M. Maroc du Sahra à la mer. Introd. T. Ben Jelloun. Préf. P. Bowles. Paris: Abbeville 1995. 240 pp. 8989

Cross, M. Morocco: Sahara to the sea. New York: Abbeville Press 1995. 240 pp. 8990

Demain l'Algérie. Sous la dir. de G. Ignasse et E. Wallon. Paris: Syros 1995. 274 pp. 8991

Democracy, war and peace in the Middle East. Ed. by D. Garnham and M. Tessler. Bloomington, Ind.: Indiana University Press 1995. XXV, 294 pp. 8992

The encyclopaedia of Islam. Prepared by a number of leading orientalists. Ed. by C.E. Bosworth ... . New ed. Leiden: Brill. 8993
Vol. 8. Ned - Sam. 1995. XVII, 1056 pp.
Index 1-7. Glossary and index of technical terms to vols. I - VII and to the Suppl., fascicules 1-6. Compiled by J. van Lent ... . 1995. 308 pp.

Encyclopédie berbère. Union Internationale des Sciences Pré- et Protohistoriques Dir. de la publ.: G. Camps. Aix-en-Provence: Edisud. 8994
15. Daphnitae - Djado. 1995. Pp. 2223-2374.
16. Djalut - Dougga. 1995. Pp. 2375-2527.

Entwicklungszusammenarbeit in Kultur, Recht und Wirtschaft. Grundlagen und Erfahrungen aus Afrika und Nahost. Festgabe für 8995

Volkmar Köhler zum 65. Geburtstag. Hrsg.: U. Steinbach ... . Opladen: Leske u. Budrich 1995. IX, 420 pp.

8996
Espaces maghrébins: la force du local? Hommage à Jacques Berque. Sous la dir. de N. Marouf. En coll. avec O. Carlier. Paris: L'Harmattan, Université de Picardie Jules Verne, Les Cahiers du CEFRESS 1995. 271 pp.

8997
Europa und der Nahe Osten. W. Weidenfeld Hrsg. Gütersloh: Verl. Bertelsmann-Stiftung 1995. 60 pp.

8998
Fasolini, E.
Favole dal deserto. Il mondo meraviglioso del Maghreb. Tunisia-Algeria-Marocco. Bologna: EMI 1995. 127 pp.

8999
Faure, E. - Poli, M. - Durazzo, M.
La Tunisie héritière de Carthage. Paris: Jaguar 1995. 178 pp.

9000
Göttler, G.
Libyen. Von Leptis Magna zum Wau an Namus. Hohenthann: Reise-KNOW-HOW-Verl. Därr 1995. 425 pp.

9001
Hargraves, O.
Culture shock! Morocco. A guide to customs and etiquette. London: Kuperard 1995. 286 pp.

9002
Islam ansiklopedisi. Türkiye Diyanet Vakfi. Istanbul.
11. Elbistan - Eymir. 1995. 552 pp.
12. Eys - Fikhü'l-Hadîs. 1995. 549 pp.

9003
Istanbul. Ed. by J. and K. Miller. San Francisco: Chronicle Books 1995. 190 pp.

9004
Kreiser, K.
Istanbul und das Osmanische Reich: Städte, Bauten, Inschriften, Derwische und ihre Konvente. Istanbul: Isis. 1995. 273 pp. (Analecta Isisiana. 14.)

9005
Lanquar, R.
Tourisme et environnement en Méditerranée: enjeux et prospective. Pref. M. Batisse. Paris: Economica 1995. 174 pp. (Les fasc. du plan bleu. 8.)

9006
Libya. The silent treasures. Great Jamahiriya. Text by: General Board of Tourism. Tripoli: General Board of Tourism 1994. V.p. English/Arabic.

9007
Maghreb - peuples et civilisations. Sous la dir. de C. et Y. Lacoste. Paris: La Découverte 1995. 192 pp.

9008
El Magreb - coordenadas socioculturales. Ed. C. Pérez Beltrán y C. Ruiz-Almodóvar. Granada: Universidad de Granada, Grupo de Investigación Estudios Arabes Contemporáneos 1995. 508 pp.

9009
Mansel, P.
Constantinople. City of the world's desire 1453-1924. London: John Murray 1995. XVI, 528 pp. Repr.

9010
Merosi, M.
Somalia. Pref. di P. Petrucci. Roma: SEAM 1995. 316 pp.

9011
Mestiri, E.
La Tunisie. Paris: Karthala 1995. 193 pp. (Méridiens)

9012
The Middle East and North Africa, 1996. Regional surveys of the world. 42nd ed. London: Europa Publ. 1995. XX, 1068 pp.

9013
The Middle East and North Africa on file. New York: Facts on File 1995. 288 pp.

9014
The Middle Eastern environment: selected papers of the 1995 conference of the British Society for Middle Eastern Studies.

Ed. by E. Watkins. Cambridge:
St. Malo Press 1995. 253 pp.

North Africa. 9014
A Lonely Planet travel survival kit. D. Simonis ... . Hawthorn, Vic.: Lonely Planet Publications 1995. 795 pp.

Ohin, F. 9015
Pistenbeschreibung einer Libyenreise 1994-1995. Mit GPS-Koordinaten der gefahrenen Strecken 2. überarb. Aufl. Rosenheim: Eigenverl. Ohin, Poing: Brettschneider 1995. 184 pp.

Orient-Institut der 9016
Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. Red.: C. Schönig ... . Beirut: Orient Institut 1995. VII, 39 pp.

The Oxford encyclopedia of the 9017
modern Islamic world.
J.L. Esposito ed. in chief.
Vols. 1-4. Oxford: Oxford University Press 1995.

Proceedings of the 14th 9018
congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants, Budapest 29th August - 3rd September 1988. Budapest: Eötvös Lorand University Chair for Arabic Studies and Csoma de Koorös Society, Section for Islamic Studies.
Part 1. Ed. by A. Fodor. 1995. 341 pp. (The Arabist. 13-14.)

Robertazzi, C. 9019
L'Africa. Secoli VIII-XVIII.
Ill. di G. Bacchin. Milano: Jaca Books 1995.

Steinke, D. 9020
Libyen. 3, überarb. und erw. Aufl. Mit einem Beitrag von P. Morgenthal. Kronshagen: Peter Stein Verl. 1995. 376 pp. (Reise Handbuch)

Stora, B. 9021
L'Algerie en 1995: la guerre, l'histoire, la politique. Essai.
Paris: Michalon 1995. 114 pp.

Thoraval, Y. 9022
Dictionnaire de civilisation musulmane. Paris: Larousse 1995. 332 pp.

Tunisie. 9023
Ed.: P.-G. Bellin.
Paris: Ed. Nouveaux-Loisirs 1995. 376 pp. (Guides Gallimard)

La Tunisie aujourd'hui. 9024
J.-C. Klotchkoff, A. Keller ... . Paris: Jaguar 1995. 255 pp.

Weiss, W. - Westermann, K.-M. 9025
Souks et bazars d'Orient: de Fez à Samarcande. Trad. de l'allemand D.-A. Canal. Paris: Arthaud 1995. 256 pp.

Die Welt des Islam: zu den 9026
Quellen des muslimischen Orients. Eine Reise nach innen. A. Schimmel. Solothurn, Düsseldorf: Walter 1995. 167 pp.

